رسالة ماجستـــــــــــــــير

****

٠,٤٥٦

الجهاد في أدب الرسائـــل في القرنين السادس والسابـــــــــع

في مصـــــــــــــر والشـــــــــــــام

****

اعـــــــــــداد

****

عمـــر محمـــــد عمـــــر ربابعـــــــــــــــة

****

باشراف الاستـــاذ الدكتور عبدالكريم خليفـــــــــــــــة

****

مقدمة الى قسم اللغة العربية وآدابهـا في الجامعة الاردنية استكمالا لمتطلبات درجـــــة

****

الماجســـــــــتير

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدّمـــــــــــه

تعرضت بلاد الشام ومصر لغزو صليبي استهدف المسلمين أرضاً ودیناً وحضارةً وانساناً ، وبـــــدأ هذا الغزو في أواخر القرن الخامس الهجرى ، ودام طيلة القرنين السادس والسابع الهجريين تقريبا ٠

عانى المسلمون في مصر والشام معاناة شديدة من هذا العدوان ، الذى كانت ترفده حمـــــــلات عسكرية ، وأفواج بشريّة مدجّجة بأضخم أسلحة ذلك العصر ٠ وسيطر المعتدون على كثير مـــــن أرض المسلمين ، وقتلوا كثيرا من اهلها ، غير أن المسلمين سرعان ما استيقظوا على الخطـــــــر وهبّوا يدافعون عن دينهم وبلادهم ومقدساتهم وأنفسهم ، وانعكست آثار صراعهم مع الصليبيين فـــــي أدب القرنين السادس والسابع الهجريين : شعره ونثره، وكان لأدب القرنين السادس والسابع دور كبـــير في تصوير الصراع وحمل رسالة الجهاد ، والتعبير عن هموم المسلمين ومشاعرهم وحملها ٠

وتنبّه الباحثون في العصر الحديث الى قيمة أدب القرنين السادس والسابع في تصوير الصـــــراع بين المسلمين والصليبيين ، وحمل رسالة الجهاد الاسلامي في ذلك العصر ، فأصدروا دراسات عديـــدة بحثت في أدب عصر الحروب الصليبية في مصر والشام ، وأشادت ـ بمجموعها ـ بالدور الذى أدّاه أدب ـ هذا العصر في تصوير جهاد المسلمين ٠ ومن هذه الدراسات التي أفاد منها الباحث : " أدب الحروب الصليبية " للدكتور عبداللطيف حمزه ٠

عرض المؤلف في كتابه أحداث الحروب الصليبية ، وقسّمها الى مراحل أربع ، وتحدّث عـــــن دور الشعر في تصوير الصراع في كل مرحلة من هذه المراحل ٠ وخصّص الفصل التاسع من كتابه للحديث عـــن أدب الرسائل ، ودوره في تصوير الجهاد ضد الصليبيين ، وقد اقتصر في هذا الفصل على ذكر مجموعـــة من رسائل كبار كتّاب صلاح الدين كالقاضي الفاضل ، والعماد الاصفهاني ، وضياء الدين ابن الأثير

وليس في هذا الفصل أيّ اشارة الى رسائل الجهاد في عصر المماليك ، أو كتّابه ممن كان لهـــــم دور واضح في تصوير جهاد المسلمين وتسجيل انتصاراتهم مثل ابن عبد الظاهر ، وتاج الدين بن الأثير والشهاب محمود وغيرهم ٠

ويبقى الكتاب من الدراسات المفيدة للباحثين في هذا العصر بما احتواه من فصول تحدّثـــــــت عن الشعر والشعراء ، والخطابة والخطباء ، وكتب الجهاد والفروسية ورسائل فضائل البلاد وغيرها ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا الدراسة الثانية فهي : " الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام" لمحمد سيد كيلاني وقد عرض المؤلف في هذا الكتاب أدوار الحروب الصليبية ومراحلها وتحدث عن الأحوال الاجتماعية في عصر الحروب الصليبية ، وأثر الحروب الصليبية في نثر العصر وشعره . وتحدث الكاتب عن أشهر الشعراء والكتّاب في ذلك العصر .

وخصص المؤلف فصلا للرسائل النثرية ، قصره على اثبات نصوص طويلة لبعض رسائل هذا العصر ، ولكبار كتابه ، أمثال القاضي الفاضل ، والعماد الاصفهاني . ولم يتعرض لرسائل الجهاد في عصر المماليك ولا أشار اليها .

والدراسة الثالثة أصدرها الدكتور احمد أحمد بدوى بعنوان : " الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام " . وهذا الكتاب دراسة واسعة وشاملة لأدب عصر الحروب الصليبية، شعره ونثره ، وفيه فصل وضّح فيه المؤلف اثر الحروب الصليبية في أدب العصر ، شعره ونثره . وفي هذا الفصل اشارات ومواضيع كانت ذات فائدة لهذه الدراسة . ومن الدراسات التي عنيت بأدب عصر الحروب الصليبية كتاب الدكتور محمود مصطفى " الادب العربي في مصر من الفتح الاسلامي الى نهاية العصر الايوبي " وفي هذا الكتاب تحدث المؤلف عن الأدب والادباء من شعر ونثر في عصر الحروب الصليبية ، وركّز فيه على الأدب في مصر . وتحدث المؤلف عن النثر وخصّ ديوان الإنشاء في مصر وقوانين الكتابة الديوانية ومصطلحاتها بالحديث . وأصدر الدكتور محمد زغلول سلّام دراستين عن أدب العصر الايوبي ، الاولى جعلها عن " الأدب في عصر صلاح الدين" ، وفيها عرض للأحوال السياسية والإجتماعية والثقافية والعلمية في دولة صلاح الدين . كما تحدث المؤلف عن الأدب والادباء في مملكة صلاح الدين . وفي هذا الكتاب نصوص من رسائل الجهاد في زمن صلاح الدين أفاد منها الباحث .

أمّا الدراسة التالية فهي بعنوان " الأدب في العصر الايوبي " وفي هذه الدراسة كرّر المؤلف كثيراً من موضوعات دراسته السابقة ، وأضاف عليها دراسة للأدب والأدباء حتى نهاية العصر الايوبي . وفي هذا الكتاب رسائل وموضوعات ذات علاقة بهذه الدراسة .

ومن الدراسات الحديثة أيضا عن أدب عصر الحروب الصليبية كتاب : " الأدب في بلاد الشام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عصور الزنكيين والايوبيين والمماليك " للدكتور عمر موسى باشا وهذه الدراسة تتميز بالسعة والشمول لأدب العصر شعره ونثره

وعلى الرغم من صدور الدراسات السابقة وغيرها من الدراسات والابحاث ، فان الباحث لايعلم أنّ أحداً قد اصدر دراسة مستقلة تناول فيها دور نثر الرسائل في تصوير صراع المسلمين ضد الصليبيين ، وحمل رسالة الجهاد الاسلامي . علما بأن نثر الرسائل شارك فنون الأدب الأخرى في عصر الحروب الصليبية في حمل رسالة الجهاد ، والتعبير عن حال المجاهدين ، وتصوير الصراع . وهذه الرسائل كثيرة العدد، وهي وثائق تاريخية وسياسية لاحداث وحروب دامت قرنين . وهي فضلا عن ذلك أدب اسلامي ، تنطلق في تعبيرها عن رسالة الجهاد من العقيدة الإسلامية ، ومبادئها في النصر والهزيمة . وهذه الرسائل أدب له قواعد ومصطلحات تعارف عليها الكتاب في ذلك العصر كما أنّ لها سمات أسلوبية خاصّة .

ويشعر الباحث أن دور الرسائل في القرنين السادس والسابع في حمل رسالة الجهاد لم يلق عناية الباحثين الكافية لدرسه وايضاحه ، ومن هنا كانت هذه الدراسة محاولة لجلاء هذا الدور .

قسّم الباحث هذه الدراسة الى ثلاثة فصول ، وخاتمة ، وفهارس ، وتحدث في الفصل الأول عن الأحوال السياسية في بلاد الشام ومصر قبيل الحروب الصليبية ، وموقف المسلمين من هذا الغزو، وتطور الأحداث السياسية والعسكرية حتى تحرير عكّا سنة ٦٩٠هـ . وقد تبين ان النجاح الذى حقّقه الصليبيون في بداية أمرهم ، وفي كل وقت من أوقات تلك الحروب ، يعود الى اختلاف المسلمين، سواء بين الخلافتين الشيعية والسنية ، أو بين الامراء في بلاد الشام ومصر . وأثبتت أحداث ذلك العصر الحقيقة السابقة ولا أدل على هذا من الاشارة الى هذه المسألة، وهي أنّ صلاح الدين استرجع بيت المقدس بالوحدة والجهاد، ولما مات صلاح الدين ، تفرّق المسلمون بعده ، فجاء الصليبيون واستولوا على القدس من المسلمين . على أن المسلمين على الرغم مما واجهوا من تحديات وصعاب لم يتركوا الجهاد، وواصلوا القتال الى أن تمكنوا من طرد الصليبيين .

وتحدثت في الفصل الثاني عن دور الرسائل في حمل رسالة الجهاد ، وتبيّن فيه أن هذا النثر قد ترجم أحلام المسلمين وآمالهم باستعادة بيت المقدس ، وعبّر عن ايمانهم بالجهاد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أجل تحرير الارض • وواكب الانتصارات ووصفها وصفاتفصيليا ، وبشر المسلمين بها • واعتذر عن الهزائم وقلّل من شأنها وردّها الى قضاء الله وقدره ، وأشاد بالابطال ومجدّهم ، ووصف المدن والحصون والقلاع ، وأشار الى الأسلحة ووصف بعضها • وأشارت هذه الرسائل الى نظام التعبئة ، وأساليب القتال في ذلك العصر • ودعت الى الجهاد وحثّت عليه ، واستنجدت بالمسلمين ودعتهم الى انجاد المجاهدين• وتقديم المساعدات المادية والمعنوية والاسلحة والرجال لهم • وأخيرا كانت هذه الرسائل وسيلة المسلمين في تهديد الصليبيين وبعث الرعب والخوف في نفوسهم • واتضح في هذا الفصل أنّ رسائل الجهادقد قامت بدورها كاملا في حمل رسالة الجهاد •

وتحدثت في الفصل الثالث عن ديوان الانشا في مصر والشام ، ودوره في تطوير فن الرّسل وعرضت أشهر أساليبافتتاحالرسائل واختتامها ومصطلحاتها ، وقواعدها ، وجعلت الجزء الثاني من هذا الفصل للحديث عن الخصائص الأسلوبية لرسائل الجهاد - موضوع هذا البحث - وتبيّن في هذا الجزء أن نثر رسائل الجهاد له خصائصنثر الرسائل بشكل عام في عصر الحروب الصليبية ، وانّ هذه الخصائص هي في معظمها خصائص الطريقة الفاضلية التي سادت تلكالعصور ، وكانت تعتمد على الاكثار من المحسنات البديعية والسجع ، والاستعارات ، والتشبيهات ، والتورية ، وحل القرآن والاستشهاد به ، وحل الشعر ونثرهوالاستشهاد به ، والإكثار منالنثر الأمثال والحكم والوصايا والاقوال وغير ذلك • وتبيّن في هذا الفصل ان كتّاب ذلك العصر قد أعجبوا بطريقة القاضي الفاضل ، وعارضوه محاولين تقليده أو التفوق عليه •

وختم الباحث هذه الدراسة بخاتمة وفهارس للاعلام والبلدان والمصادر والمراجع •

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر التاريخية والأدبية أهمها :

أوّلا : " ذيل تاريخ دمشق " لابن القلانسي ، وهو من أهم المصادر التاريخية عن المراحل الأولى للحروب الصليبية ، وعن الاحوال السياسية والعسكرية في بلاد الشام ومصر قبيل قيام هذه الحروب - وصاحب هذا الكتاب معاصر للحروب الصليبية حيثكانت وفاته سنة ٥٥٥ هـ •

ثانيا :" الكامل في التاريخ " لابن الاثير ، وصاحب هذا المؤلف معاصر للحروب الصليبيةويتميز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتاب بالصدق والتفصيل ٠

ثالثا :" الروضتين في أخبار الدولتين " لأبي شامة المقدسي ، وهذا الكتاب من أهم المصادر عن فترة حكم نور الدين وصلاح الدين ، كما انّه من أهم المصادر عن أدب هذه الفترة٠ ويتميز الكتاب بالدقة والصدق حيث يشير الى مصادره التي ينقل عنها ٠ وفي هذا الكتاب عدد كبير من رسائل الجهاد ذات العلاقة بموضوع هذا البحث ٠

رابعا :" النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " لابن شداد٠ وهذا الكتاب يؤرخ سيرة صلاح الدين ومعاركه مع الصليبيين حتى وفاته ٠ ويتميز الكتاب بأنه مرسل وغير ملتزم بالإكثار من المحسنات البديعية والتشبيهات والاستعارات ٠٠٠ مما كان سائداً في أدب ذلك العصر : شعره ونثره ٠

خامسا :" الفتح القسي في الفتح القدسي" للعماد الأصفهاني ، وفي هذا الكتاب تسجيل لمعارك صلاح الدين وانتصاراته منذ فتحه بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ الى حين وفاته ٠ والكتاب ملتزم بالصنعة البديعية في كل سطر من سطوره ٠ وصاحبه العماد الأصفهاني كاتب من كتاب صلاح الدين ، وكان ينوب عن القاضي الفاضل عند غيابه عن الديوان واحتوى الكتاب عدداً من الرسائل ذات العلاقة بموضوع البحث ٠

سادسا :" مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب " لابن واصل الحموي ٠ وهو كتاب مهم عن علاقات الايوبيين بالصليبيين ، وعن علاقات الايوبيين لاسيما بعد وفاة صلاح الدين ٠ واحتوى الكتاب عدداً من الرسائل ذات العلاقة بموضوع البحث ٠ والحق به المحقق عدداً كبيراً من الرسائل لاسيما في الجزئين الثاني والثالث ٠

سابعا :" صبح الأعشى في صناعة الإنشا " للقلقشندي : وهو أهم المصادر عن الإنشاء وديوان الانشاء وفن الترسل ، وعلاقات الدول في مصر والشام بالخلافة العباسية ٠ وقد احتوى الكتاب عدداً كبيراً من رسائل الجهاد ذات العلاقة الوثيقة بموضوع الدراسة ٠

ويتميز الكتاب بالسعة والشمول والاحاطة حتى إنّه جاء وافياً في حديثه عن الإنشاء،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويغني عن كثير من المؤلفات السابقة عليه والتي نقل عنها واعتمد عليها " كمعالم الكتابة ومغانم الاصابة " لابن شيث القرشي ، " وحسن التوسل في صناعة الترسل " للشهاب محمود وغيرهم .

أما وقد انتهت هذه الدراسة ، فإنني أسجل شكري وامتناني وعرفاني ، الى الأساتذة الأفاضل الذين كان لجهودهم فضل كبير على الرسالة وصاحبها وهم : الأستاذ الدكتور **عبدالكريم خليفة** ، المشرف على الرسالة ، والذى وهب الدراسة قصارى جهده من أجل إخراجها على أكمل صورة . **والأستاذ الدكتور** محمود ابراهيم الذى قرأ الرسالة مخطوطة ، وكانت له ملاحظات ذكيّة ، وآراء صائبة أثرت البحث وصوّبت كثيرًا من أخطائه . **والدكتور عبدالجيل عبد المهدي** الذى اطّلع على البحث ، وكانت له ملاحظات سديدة أفادت الباحث ووجهته نحو الأفضل . وأخيرًا فإنّ الباحث لايدّعي الكمال ، فالكمال للّه وحده سبحانه وتعالى ، ويؤكد أنّ النقص من طبائع البشر ويستذكر قول العماد الأصفهاني: "إني رأيت أنّه لايكتب انسان كتابًا في يومه الا قال في غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان مستحسن ، ولو قدّم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جميع البشر" .

" والسلام عليكم ورحمة اللهوبركاته "

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــــــــــــــل الأوّل

الأحـــوال السياســـيـــــة والعسكريـــــــــــــــــــــة في مصـر والشـام في القرنين السادس والسابـع الهجريـــــــــين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحوال السياسية والعسكرية في بلاد الشام

عاشت بلاد الشام حالة من الفوضى وعدم الاستقرار إثر دخول السلاجقة اليها ومحاولاتهم المتكررة لانتزاع مدن الشام من ولاة الفاطميين . ففي سنة ٤٦٣هـ حاصرت قوات السلاجقة حلب ، وشرعت تضايقها ، عندها أدرك حاكمها انّ الأولى له اعلان الطاعة للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ، لأنه لايستطيع مقاومة زحفهم على مدينته ، وأمر بإعلان الخطبة للخليفة العباسي ، والسلطان السلجوقي(١) .

اكتفى السلاجقة بإعلان الطاعة الاسمية للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي بعده في حلب ، في حين اتجهت قوات سلجوقية أخرى بقيادة اتسز إلى جنوب بلاد الشام ، فاستولت على مدينة الرملة ثم سارت الى بيت المقدس وحاصرته ، واستولت عليه ، وعلى ما يجاوره من البلاد ما عدا عسقلان (٢) . وفي هذا العام حاصر اتسز دمشق ، ونهب اعمالها ، غير انّه لم يستطع فتحها .وأخذ يضايقها كل عام في موسم الغلّات ، فيأخذها يتقوّى بها وعسكره الى أن كانت سنة ٤٦٨هـ حيث سار اليها وحاصرها ، وضيّق عليها عدة مرّات الى أن تمكن من دخولها ، والاستيلاء عليها ، وإعلان الخطبة للخليفة العباسي (٣) .

أغرت هذه الانتصارات السريعة السلاجقة بغزو مصر ذاتها ، واتجهت قواتهم بقيادة اتسز*

---

(١) ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ، ص١٦٧

ابن الأثير ، الكامل ، ح١٠ ، ص٦٢-٦٣

(٢) ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٦٦-١٦٧

ابن الأثير ، الكامل ، ح١٠، ٦٨

(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٨٢-١٨٣

ابن الأثير ، الكامل ، ح١٠، ص٦٨

* اتسز : هو ابن اوف الخوارزمي كان يلقب بالملك المعظم عمّر قلعة دمشق وأطلق عليه أهل دمشق لقب اقسيس . أزال الرفض عن أهل الشام ، وأبطل الاذان بحيّ على خير العمل وأمر بالترضي على الصحابة ـ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ح١٢، ص١١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى مصر سنة ٤٦٩ هـ ، ولما وصلها خرج اليه أمير جيوشها وقاتله ، فانهزم اتسز وتفرّق جيشه ، وعاد الى دمشق فاستخفّ به أهل دمشق ، مما دفع السلطان السلجوقي الى عزله ، وأقطع الشام لأخيه تتش ، وجعل له ما يتمكن من فتحه والاستيلاء عليه من بلاد الشام (١).

أدرك بعض ولاة الفاطميين في بلاد الشام أنّ الوقت قد حان للاستقلال بولاياتهم نظراً لانشغال الخلافة في مصر بمعالجة ما حوا لها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، ومن هؤلاء قضاة طرابلس من بني عمّار ، الذين رفضوا طاعة الفاطميين ، واتصلوا بالسلاجقة وطلبوا ودّهم بإرسال الهدايا والأموال ، واستطاعوا الحفاظ على المدينة بأيديهم الى أنّ احتلها الصليبيون(٢). وفعل قضاة صور ما فعله قضاة طرابلس ، فأعلنوا العصيان على الفاطميين واستقلوا بولايتهم ، غير أنّ الفاطميين أعادوها الى نفوذهم وسيطرتهم بعد أنْ أرسلوا حملة بحريّة لهذه الغاية سنة ٤٨٢ هـ (٣).

لم تشهد بلاد الشام - منذ دخول السلاجقة اليها - استقراراً سياسياً أو عسكرياً ، فبعد أن سيطروا على كبرى مدنها ، نشب الصراع بين أمرائها وحاول كل أمير أنْ يوسع حدود إمارته ، أو يفرض سلطانه وسيادته على غيره (٤). ففي سنة ٤٧١ هـ هاجم تتش دمشق ، وقتل اتسز واستولى عليها ، ثم شرع في بسط سلطانه على حلب ، وأخذ في مضايقتها مما جعل أهل حلب يتنازلون عنها لأمير الموصل لاعتقادهم أنّهم لايستطيعون حماية المدينة من السقوط في يد تتش ، وأنّ باستطاعة أمير الموصل أن يحافظ عليها (٥). وفي سنة ٤٧٢ هـ تسلّم أمير الموصل حلب من أهلها ، وضمّها الى ولايته . وأرسل

---

(١) ابن القلانسي ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٦-١٨١
ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠ ، ١١١

(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص١٨٢، ١٩٧
ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠، ص٢٠٣

(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق، ص١٨٢، ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠، ص١٧٦،
ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٥، ص١٢٨.

(٤) ابن القلانسي ، ص١٨٣، وابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠، ص١١٥

(٥) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص١١٢- ١١٤
ابن كثير البداية والنهاية ، جـ١٢- ص١١٩
د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١، ١٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمير الموصل مسلم بن قريش الى أمير انطاكية سليمان بن قتلمش يدعوه الى طاعته ، ويأمره بدفع الجزية ، فرفض أمير انطاكية وأدّى هذا الى قيام معركة بين الاثنين انتهت بمقتل أمير الموصل (١).

وفي عام ٤٧٩هـ نشب الصراع على حلب بين سليمان بن قتلمش أمير انطاكية وتتش ملك دمشق، واسفرت المعركة عن انتصار تتش ، وانهزم سليمان بن قتلمش وقتل نفسه بخنجره . أدى هذا الانتصار الى زيادة سلطة تتش في الشام ، فخشي السلطان ملكشاه ان يستقل تتش بالشام ، ولذا انتزع حلب منه ، وأقطعها لاحد أمرائه ويدعى قسيم الدولة آقسنقر (٢). استمر تتش في محاولاته للسيطرة على مدن بلاد الشام ، فهاجم حمص بعلبك سنة ٤٨٣هـ وطرد صاحبه واستولى عليه(٣).

واستغل تتش وفاة السلطان ملكشاه فعاد الى حلب محاولا احتلالها ، وهاجمها فنشبت معركة حامية بينه وبين أميرها قسيم الدولة أسفرت عن انتصار تتش ، ووقع قسيم الدولة أسيراً ، فقام تتش بقتله وتخلّص منه وبهذا أصبح تتش أقوى أمراء بلاد الشام ، واستطاع ان يفرض سلطانه على غالبيتها لسنوات قليلة أي : الى حين وفاته سنة ٤٨٨ هـ (٥).

سيطر تتش على دمشق ، وحلب ، وانطاكيه وفي سنة ٤٧٩هـ تنازل عن انطاكية لأحد أمرائه من التركمان ويدعى ياغي سيان الذى استطاع الحفاظ عليها الى أن هاجمها الصليبيون واحتلوها سنة ٤٩١ هـ (٦)

---

(١) ابن القلانسي ، ص١٩٢، ابن الأثير ، الكامل ، ح١٠، ص١٣٩-١٤٠

(٢) ابن القلانسي ، ص٢٠٦-٢٠٨ ، وابن الأثير الكامل ، ح١٠، ص٢٤٢-٢٤٥.

(٣) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ح٥ ، ص١٣٠.

(٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٠٦-٢٠٨
ابن الأثير ، الكامل ، ح١٠ ، ص٢٤٢-٢٤٥

(٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ح٥، ص٨٧، ابن الأثير، الكامل ، ح١٠، ص١١١.

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ح١٠ ، ص١٤٧-١٤٨، ٢٠٧

٣٥٥٦٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أدّت وفاة تتش الى زيادة تفكك بلاد الشام وانقسامها ، حيث انقسمت مملكة تتش التي كانت تشمل غالبية الشام بين ولديه رضوان ودقاق ، وكانت حلب وما حولها من نصيب رضوان، ودمشق وماحولها من نصيب دقاق . وقد دب الشقاق بين الأخوين وحاول كل أمير منهما ان يسيطر على أملاك والده ويستأثر بها ، لابل شرع كل منهما يدبّر المؤامرات على الاخر في الوقت الذى خرج فيه الصليبيون للاستيلاء على بيت المقدس وبلاد الشام وغيرها من أرض المسلمين (١) .أمّا بيت المقدس والساحل الشامي من جبيل حتى الجنوب فكانت بأيدي ولاة في طاعة الفاطميين .(٢)

والى جانب هذه الإمارات كانت بعض الحصون التي تحكمها بعض العائلات كحصن جعبر الذى يحكمه بنو عقيل (٣) . وحصن شيزر الذى كان يحكمه بنو منقذ (٤) .

---

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢١٤-٢١٥ . / ابن الأثير ، الكامل ، حـ١ ، ص٢٦٩ - ٢٧٠

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠، ص٧٦-٨٣، ٨٥ . /ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٥، ص١٥٨

(٣) ابن الأثير ، التاريخ الأتابكي ، ص٧٣ .

ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٨٤ .

(٤) شيزر : قلعة تشمل على كورة بالشام قرب المعرّة ، بينها وبين حماة يوم واحد .

- ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣، ص٣٨٣.
- أبو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ص١١١
- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٥، ص١١٣-١١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحوال الخلافة الفاطمية

مرّت الخلافة الفاطمية في النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى بدور ضعف أفقدها كثيراً من ممتلكاتها في بلاد الشام . واستمر ضعف الخلافة في ازدياد حتى وصول الصليبيين الى هذه البلاد . ويمكن ارجاع هذا الضعف الى عدّة أسباب منها :

أوّلا : الكوارث الاقتصادية والمجاعات التي عمّت مصر لاسيما في الفترة بين سنة ٤٥٧-٤٦٣ هـ فقد تعرّضت مصر لمجاعة كبيرة سماها المؤرخون الشدّة العظمى ، وقرنها الناس بالقحط والمجاعة التي حدثت في أيام يوسف عليه السلام . وكان سبب هذه المجاعة : ضعف السلطة وفساد الادارة واستيلاء الأمراء على الدولة ، وانتشار الفتن ، وقصور النيل وغير ذلك . وقد ترتب على هذا الوضع ارتفاع الاسعار ، وانتشار الوباء والامراض ، وانتشار اللصوص وقطّاع الطرق وازدياد الفوضى (١). وقد عمّت هذه المجاعة مصر جميعها ، ولم يسلم منها حتى الخلفاء فقد قيل إن الخليفة المستنصر باع كل ما في قصره من ذخائره وأثاث وسلاح ، وصار يجلس على الحصير ، وتعطلت دواوينه وذهب وقاره (١).

ثانيا : ضعف الخلفاء وسيطرة الوزراء واستبدادهم بالسلطة حتى عرف هذا العصر بعصر الوزراء العظام ومن أشهر هؤلاء الوزراء بدر الجمالي الذى استدعاه المستنصر لمعالجة الأوضاع الاقتصادية السيئة التي عرفت بالشدة العظمى فنجح في معالجتها وقبض على زمام السلطة سنة ٤٦٥ هـ ، وظلّ في مصر الى أن مات في خلافة المستنصر فتولى الوزارة من بعده ابنه الأفضل الذى استبدّ هو أيضا بالسلطة حتى أصبح المستنصر في عهده كالمحجور عليه (٢).

---

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٥ ، ص١٥، ١٥، ١٦، ١٨، ٢٢، ٢٣.

- المقريزي ، اغاثة الامة بكشف الغمة ، ص ٢٤-٢٥

- المقريزي ، الخطط ، حـ٢ ، ص٣٤

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، حـ٥ ، ٢٢، ٢٣،

- خطط المققريزي حـ٢ ، ص٣٤

- جمال الدين الشيال ، مصر الاسلامية ، حـ٢ ، ص١٣، دار المعارف ، ١٩٦٧.

- د. حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي ، حـ٤ ، ص٣٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا : الانشقاق العقائدي في صفوف الفاطميين: فبعد وفاة المستنصر نصّب الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ابن أخته أبا القاسم أحمد بن المستنصر ولقبه " المستعلي بالله" . وقد أدّى ذلك الى انقسام الفاطميين الى فريقين : فريق نادى بإمامة المستعلي فسموا المستعلية ، وفريق آخر نادى بامامة نزار الابن الأكبر للخليفة فسموا النزارية(١). وفرّ نزار الى الاسكندرية ، وتبعه الأفضل وحاربه حتى ظفر به وقتله (٢).

وفي أيام المستعلي اضطربت أحوال مصر ، وخسرت كثيراً من أملاكها في الشام . يقول ابن تغري بردي : "وفي أيامه وهنت دولتهم ،وانقطعت دعوتهم من أكثر مدن الشام ، واستولى عليها الأتراك والفرنج ، ونزل الفرنج على انطاكية وحاصروها ثمانية أشهر وأخذوها في سادس عشر من رجب سنة ٤٩١ هـ . وأخذوا المعرّة سنة اثنتين وتسعين ، ثم أخذوا القدس فيها أيضا في شعبان ، واستولى الملاعين على كثير من مدن الساحل(٣)."

الهجوم الصليبي على بلاد الشام

في الوقت الذى كانت فيه بلاد الشام غارقة في الصراعات السياسية والعسكرية والمذهبية، وفي الوقت الذى كانت فيه مفككة ، ومقسمة الى دويلات و ممالك ، بدأ الصليبيون هجومهم سنة ٤٩٠هـ اذ دخلوا الى آسيا الصغرى ، واستولوا على عاصمة السلاجقة نيقية(٤). وفي العام التالي ٤٩١هـ وصل الصليبيون الى انطاكية ، فحاصروها الى أن تمكنوا من دخولها والاستيلاء

---

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق، ص٢١١ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ص١٤٢-١٤٥
المقريزي ، الخطط ، ج٢، ص٣٤-٣٥
د. حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٤، ص٣٢١.

(٢) المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص٣٤ ، وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ١٤٤
د. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٤، ص١٨٠-١٨١.

(٣) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص١٤٥.

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢١٨ ، وابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٥، ١٤٦
نيقية : من اعمال استانبول على البر الشرقي/عن ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ٣٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليها . وواصلوا سيرهم حتى وصلوا معرّة النعمان ، فاحتلوها وقتلوا كثيراً من اهلها[١].

ولم يمض سوى عام حتى وصل الصليبيون الى هدفهم الأول وهو بيت المقدس ، ففي سنة ٤٩٢هـ وصل الصليبيون الى القدس ، وحاصروه ، ونصبوا عليه الأبراج ، وقد صبر المسلمون رغم طول مدة الحصار التي زادت على أربعين يوماً ، غير أنّ الصليبيين قد تمكنوا من الإستيلاء على البلد في يوم الجمعة ثالث وعشرين شعبان من هذه السنة . فهجموا على البلد ، وأوقعوا بأهله القتل والسلب والسبي ، حتى قيل إنّهم قتلوا من المسلمين مايزيد على سبعين الفاً منهم جماعة من أئمة المسلمين وعلمائهم[٢]. وفي عام ٤٩٤ هـ استولى الصليبيون على مدن : حيفا ، أرسوف ، قيسارية وأعملوا السيف في رقاب أهلها[٣].

وفي العام التالي ٤٩٥هـ هاجم الصليبيون طرابلس ، وقاتلوها ، وانضمّ اليهم نصارى منطقه طرابلس ، فاضطر أميرها من بني عمار الى مهادنتهم بدفع الأموال والخيول لهم فرحلوا عن مدينته الى انطرسوس واستولوا عليها[٤].

وفي عام ٤٩٧ هـ استولى الصليبيون على عكا ، وثغر جبيل ، وغدروا بأهله وصادروا أموالهم وفرضوا عليهم الضرائب والغرامات (٥). وفي هذا العام حاول الصليبيون احتلال طرابلس مرّة أخرى ولكنهم فشلوا .

وفي سنة ٥٠٢ هـ استطاع الصليبيون الاستيلاء على طرابلس ، فأسروا الرجال وسبوا النساء والأطفال ونهبوا الأموال وكتب دور العلم . وكانت مدينة غنية كما وصفها ابن الأثير الذي قال عنها " فان أهلها كانوا من أكثر البلاد أموالاً وتجارةً " وفرض الصليبيون على أهل طرابلس الضرائب والعقوبات (٦).

---

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٢٠-٢٢٢ / وابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠ ، ص٢٧٢-٢٧٨

معرّة النعمان : مدينة قديمة مشهورة في سوريا ، من اعمال حمص بين حلب وحماه ياقوت معجم البلدان حـ٥ ، ص١٥٦

(٢) ابن الأثير ، الكامل حـ١٠ ، ص٢٨٢-٢٨٤ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٥ ص١٤٨-١٤٩.

(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ٢٢٥ وابن الاثير ، الكامل حـ١٠ ، ٣٢٤.

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠ ، ص٣٤٤.

(٥) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ٢٣١-٢٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل حـ١٠ ، ص٤٧٢

(٦) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٣١ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة ٥٠٣ هـ نزل الصليبيون على بيروت وحاصروها حتى فتحوها عنوة (١) . وفي العام التالي ٥٠٤ هـ حاصروا صيدا ، ومنعوا عنها المسيرة والامدادا ت وأجبروا أهلها على الاستسلام وطلب الأمان واستولوا على المدينة ، ونقضوا عهدهم لأهلها فأخرجوهم منها وصادروهم وقدّروا على من أقام بها نيّفا وعشرين ألف دينار (٢).

كانت صور آخر مدن الساحل التي امتنعت على الصليبيين الى أن كانت سنة ٥١٨ فحاصرها الصليبيون حصاراً طويلاً ، وأرسل والي الفاطميين الى مصر طالبا النجدة ، وموضّحاً خطورة الموقف فتأخرت نجدة مصر واعتقد الوالي أن الفاطميين لن ينجدوه ، فراسل الصليبيين ، واتفق معهم على تسليم المدينة مقابل خروج أهلها مع ما يستطيعون حمله . ووقف على باب المدينة ، وأهلها يخرجون منها وهم يحملون ما يستطيعون حمله ، ثم سلّم المدينة للصليبيين(٣).

وهكذا استولى الصليبيون على معظم بلاد الشام ، بسبب تفرق كلمة المسلمين واختلافهم .

---

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٦٨. و ياقوت : معجم البلدان ، حـ١ ، ص٥٢٥
ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠ ، ص٤٧٥
ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٥ ، ص١٧٠

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠ ، ص ٤٧٩
ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٥ ، ص١٧٠

(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٣٣٦-٣٣٧
ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠ ، ص٦٢٠-٦٢٢
ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية ، ص٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسلمون في مواجهة الصليبيين

أثار نبأ سقوط انطاكية بيد الصليبيين فزع بعض حكام المسلمين وخوفهم من الخطر الذى يتهدّدهم فأسرعوا الى أنطاكية لنجدتها ، ووقف الزحف الصليبي على بلاد الشام والقضاء على خطره قبل استفحاله.

لما سمع كربوغا امير الموصل التركماني باستيلاء الفرنج على انطاكية ، جمع الجيوش وسار الى الشام ، فاجتمع عنده وانضم اليه بعض أمراء الشام منهم : أمير دمشق ، وأمير حمص ، وأمير حماة ، وأمير سنجار ، وأمير ماردين واتفق هؤلاء الأمراء على الذهاب الى انطاكيه ، وقتال الصليبيين واستخلاص انطاكية منهم ، وذهبت جيوش المسلمين الى انطاكية ، والتقت بالصليبيين هناك في معركة خسرها المسلمون ، و انهزموا وتشتّت شملهم ، وقتل منهم خلق كبير(١).

خارت قوى المسلمين في بلاد الشام بعد هذه الهزيمة، وأدرك الحكام والأمراء عجزهم ، وضعفهم وعدم قدرتهم على مواجهة الصليبيين ، فانفرط حلفهم وسارع أعضاؤه قبل غيرهم الى مهادنة الصليبيين ومسالمتهم كفّا لأذاهم .

فحين مرّ الصليبيون ببلاد الشام في طريقهم الى بيت المقدس ، اتصل بهم بعض حكام المسلمين في الشام وقدموا لهم المساعدات والهدايا، والأدلاّء لإرشادهم على الطريق الى بيت المقدس فقد أرسل أمير حماة الهدايا الى ريموند الصليبي(٢). وأرسل أمير شيزر رسله الى الصليبيين أثناء مرورهم بكفر طاب ، يعرض عليهم تقديم الأدلاء والمؤن بأسعار رخيصة اذا اجتنازوا أرض امارته بعدوء، ولم يتعرضوا له بأذى (٣). وهادنهم أمير مصياف أثناء مرورهم بإمارته في الطريق الى بيت

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ، ١٠، ص٢٨٨-٢٩١

ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٥، ص١٤٧

(٢) نسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، جـ١ ، ص٢٧٧

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، جـ١٠، ص٢٧٨

نسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، جـ١ ، ص٢٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدس (١)٠ وكذلك فعل أمير حمص (٢)٠ وراسلهم أمير طرابلس وبادر باطلاق نحو ثلثمائة من أسرى المسيحيين الذين كانوا بالمدينة ، ودفع لهم تعويضاً قدره خمسة عشر الف دينار ، وأمدّهم بدواب الحمل ، وخمسة عشر من الجياد الفائقة ، وأرسل معهم الأدلاء ليتولوا إرشادهم على الطريق الى بيت المقدس (٣)٠

وفعلت إمارة بيروت ما فعلته غيرها من الامارات في بلاد الشام ، فأرسلت الهدايا وسمحت لهم باجتياز بلادهم بشرط ان لا ينزلوا الضرر بالأشجار المثمرة ، والكروم والمحصولات ، كما تولوا إرشاد الجيش الصليبي على الطريق الى صيدا (٤)٠

وحين وصل الصليبيون الى عكا ، راسلهم أميرها وقدم لهم الهدايا والمؤن الوفيرة مقابل تعهدهم بعدم الاعتداء على الكروم والضياع الخصيبة المحيطة بالمدينة (٥)٠ وحين اقترب الصليبيون من بيت لحم ، خرج أهلها ، فرحين ، مسرورين ، مؤكدين رغبتهم في الخلاص من ظلم المسلمين ، وحثّوا الصليبيين على إتمام هذا العمل وإنقاذهم من عسف المسلمين(٦)٠ وصل الصليبيون الى بيت المقدس بعد عام واحد فقط من احتلالهم انطاكية، دون أن يجدوا في طريقهم مقاومة تذكر، ولم يسارع الأمراء الى الاتحاد لمنع الصليبيين من الوصول الى بيت المقدس ، بل آثر كل منهم السلامة ، ومال الى المهادنة ، مؤثرا مصالحه الشخصية ، متناسياً مصالح المسلمين ، وظل أمراء الشام

---

(١) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص٣٨٨٠

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠، ص٢٧٨٠

(٣) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٨٨٠

(٤) رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية ، ج١، ص٣٨٨-٣٨٩

(٥) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص٣٨٩

(٦) رنسيمان تاريخ الحروب الصليبية ، ج١ ، ص٣٩١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحكامه لاهين في منازعاتهم الداخلية وخصوماتهم ، وظلت الأمة مشغولة بخلافاتها وضعفها وقضاياها التافهة (١)٠وفي عام٤٩٢ هـ ، استولى الفرنج على بيت المقدس ، وأوقعوا بأهله كثيرا من القتلى والأسرى، ونهبوا من المدينة ما وجدوه من ذهب وفضة ، وقتلوا في ساحات الأقصى سبعين ألفا أو ما يزيد من المجاورين والعلماء والطلاب والعبّاد والزهاد(٢)٠ وذهب الناس هاربين من الشام الى بغداد، مستغيثين بالخلافة العباسية ، والسلطان السلجوقي ، ولما سمع الناس ببغداد الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا ، وارتفع العويل وندب الخليفة الفقهاء الى الخروج الى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد ، فخرج عدد من العلماء والفقهاء قاصدين السلطان السلجوقي ، غير انّ مساعيهم قد خابت (٣)٠ ولعل سبب تقاعس السلاجقة عن الاستجابة لنداء الخليفة العباسي والمسلمين هو : انشغالهم بالحرب من أجل السلطة والنفوذ(٤)٠

أمّا الفاطميون فقد أرسلوا نجدة لبيت المقدس ، وصلت بعد سقوط المدينة بأيدى الصليبيين فأعادوا المحاولة في العام التالي ٤٩٣هـ ، فحدثت معركة بينهم وبين الصليبيين في عسقلان ، انتهت بانهزام الفاطميين (٥)٠

انتقد بعض المؤرخين موقف الفاطميين من الغزو الصليبي ، وشككوا فيه ٠ فابن الأثير اتهمهم بالتآمر على المسلمين فقال : " وقيل ان أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام الى غزّة ، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الاقسيس الى مصر ، وحصرها ، فخافوا وارسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج الى الشام

---

(١) ابن كثير ، البدايه والنهاية ، ج١٢، ص١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ٠

(٢) ابن الأثير، الكامل ج١٠، ص٢٨٢-٢٨٥/ابن تغري بردي ، ج٥، ص١٤٨-١٥٠، ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج٥ ص٢١٠

(٣) ابن الأثير، الكامل ج١٠، ص٢٨٥-٢٨٦/ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص١٥٢٠ ابن كثير البداية والنهاية ، ج١٢، ص١٥٦٠

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢، ص١٥٧، ١٥٨، وغيرها ، وابن العبري، تاريخ مختصر الدول١٩٧

(٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٥، ص١٤٩، ١٥٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليملكوه ، ويكون بينهم وبين المسلمين (١). ولامهم ابن تغري بردي على تقصيرهم في الإسراع الى انطاكية للدفاع عنها ومنع سقوطها بيدالصليبيين ، وتساءل عن سبب عدم مشاركة الفاطميين مع جيوش المسلمين التي اجتمعت في الشام وأسرعت الى انطاكية تحاول منع سقوطها ووقف زحف الصليبيين الى بيت المقدس . "يقول ابن تغري بردي متسائلا : ولم ينهض الأفضل بإخراج عساكر مصر ، وما أدري ماكان السبب في عدم إخراجه مع قدرته على المال والرجال " (٢).

وأشار ابن تغري بردي في أماكن عدة من كتابه " النجوم الزاهرة " الى تقصير الفاطميين في الدفاع عن حمى الإسلام ، ولامهم على هذا التقصير ، فهم لم يحافظوا على بيت المقدس، ولم يمنعوا الصليبيين من احتلاله ، كما أنهم لم يسارعوا الى استعادته (٣). ولامهم على تقصيرهم في إرسال النجدات الى طرابلس التي تمنع سقوطها بيد الصليبيين. يقول ابن تغري بردي " ... ومن هذا يظهر عدم اكتراث أهل مصر بالفرنج من كل وجه : الأول من تقاعدهم عن المسير في هذه المدة الطويلة. والثاني لضعف العسكر الذى أرسلوه مع أسطول مصر ولو كان لعسكر الأسطول قوة لدفع الفرنج من البحر عن البلد حسب الحال . والثالث : لم لا خرج الوزير الأفضل بن أمير الجيوش بالعساكر المصرية كما كان فعل والده بدر الجمالي في أوائل الامر .." (٤).

ولامهم على تقصيرهم في الحفاظ على مدينة صور وذلك لعدم ارسال النجدات السريعة لهم . فقد قاتل أهل صور الصليبيين ، ودافعوهم عن البلد الى أن يئسوا من نصرة مصر ، فسلموها للفرنج بالأمان في سنة ٥١٨ هـ . وقد عقّب ابن تغري بردي على استسلام صور بعد أن انقطع أملها بنجدة من من مصر فقال : " وهذه زيادة في النكاية بالمسلمين من صاحب مصر "(٥).

---

(١) ابن الأثير، الكامل ، حـ١٠، ص٢٧٣

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٥ ،ص١٤٧

(٣) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٥، ص١٤٩

(٤) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٥، ص١٧٩، ١٨٠

(٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٥، ص١٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الصعب على الباحث أن يثبت ما أورده ابن الأثير عن علاقة الفاطميين المباشرة بقيام الحروب الصليبية، وقدوم جحافلهم الى بلاد الشام ، والذي يستطيع الباحث أن يؤكده أنّ علاقة الفاطميين بالسلاجقة كانت علاقة عداء مذهبي وسياسي ولا أدل على هذا العداء من خروج جيش فاطمي على رأسه الافضل الى بيت المقدس أثناء انشغال السلاجقة بقتال الصليبيين على انطاكية ، وقد تمكن هذا الجيش من طرد نواب السلاجقة ، واسترداد المدينة المقدسة منهم (١)٠وقد حال هذا العداء الشديد دون اشتراكهم مع أمراء الشام الذين ذهبوا الى انطاكيه لانجادها، وتخليصها من الصليبيين (٢)٠

لم يدعم الفاطميون نفوذهم في المناطق التي استرجعوها من الارتقة في فلسطين والساحل، ولذا فقد كان من السهل ان تسقط هذه المدن والمناطق بأيدي الصليبيين فسالمهم أهالي بيروت وسقطت بأيديهم اللد والرملة ، وبيت لحم وغيرها (٣)٠

وحين وصل الصليبيون الى بيت المقدس ، كان والي الفاطميين قد اتخذ الاحتياطات التي وجدها ضرورية وكفيلة لحماية المدينه المقدسة ، ومن جملتها تقوية تحصينات المدينة والتأكد من سلامة أسوارها وتأمين التموين لها من طعام وماء ، واعتمد في الدفاع عن بيت المقدس على حامية كبيرة من الجند المصريين والسودان (٤)٠ الا أن هذه القوات لم تمنع سقوطها ، ولما وصل

---

(١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، ص١٩٧
ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ٢٢١
ابن الأثير ، الكامل ، ح١٠، ص٢٨٣

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، ح٥، ص١٤٧، ابن الأثير ، الكامل ، ح٨، ص١٨٦، ١٨٧ ، ط دار الكتاب ، ١٩٨٦ ٠

(٣) رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ص ٣٧٧-٣٩١

(٤) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهره ، ح٥، ص١٤٨-١٤٩
رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ص ٣٩٤-٣٩٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خبر سقوط بيت المقدس الى الأفضل أمير جيوش مصر ، جمع العساكر ، وحشد وسار الى عسقلان، وأرسل الى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوه في بيت المقدس من القتل والتدمير ، فأعادوا الرسول بالجواب ، وباغتوا المصريين ، وقاتلوهم وأوقعوا بهم خسائر كبيرة ، وغنموا منهم ماكان في معسكرهم من مال وسلاح ، وانهزم الأفضل ، ودخل عسقلان ، ومضى عسكره المنهزمون فاستتروا في شجر الجميز وكان كثيرا هناك ، فأحرق الصليبيون الشجر ، وضايقوا عسقلان ، وعاد الأفضل في خواصه الى مصر ، ونزل الفرنج على عسقلان ، وضايقوها ، واجبروا أهلها على دفع الجزية(١).

ولم يكتف الأفضل بالمحاولة السابقة لاستعادة القدس ، ففي العام التالي ٤٩٣هـ ، جهّز جيشاً كثيفاً ، وعليه سعد الدولة القواسمي ، فالتقى الفرنج بعسقلان وقاتلهم قتالاً شديداً ، فكبا به فرسه فقتل ، وثبت المسلمون وقاتلوا حتى قتلوا كثيراً من الفرنج ، الا انهم لم يحرزوا نصراً ، ولم يفلحوا في استرداد المدينة المقدسة(٢).

فشل الفاطميون في استرجاع المدينة المقدسة أو تحقيق نصر على الصليبيين لأن حملاتهم كانت علنية ، ولأنهم لم يضعوا الخطط العسكرية الكفيلة بإنجاحها ، ولم يستخدموا عنصر المباغتة الذي استخدمه الصليبيون مرات متعددة(٣).

وصف باحث معاصر حروب الفاطميين مع الصليبيين بأنها كانت أشبه باستعراض عسكري كان الفاطميون يعرضون فيها كل ما لديهم من قوات عسكرية وأسلحة دون ان يجمعوا المعلومات من الجواسيس عن اعدائهم الصليبيين ، ودون أن يحافظوا على سرّية تحركات قواتهم ، وأماكن

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠ ، ص٢٨٦

(٢) ابن تغربردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٥ ، ص١٥٢

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠ ، ص٢٨٦ ، ٣٩٤

أمينة البيطار ، تاريخ العصر الأيوبي ، ص٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تواجـــدهم (١)٠ وفي سنة ٥٠٤ هـ راسل حاكم عسقلان الفاطمي الصليبيين ، وبعث اليهم الأمـــــوال والهدايا وهادنهم كفّا لشرّهم ، وتخلّصاً من اعتداءاتهم التي كانت تتكرّر على مدينته (٢)٠ وســـــرى هذا الضعف الى الأفضل أمير جيوش مصر ، فاتصل بالصليبيين وهادنهم عجزاً بعد أنْ أخـــــــــذوا قافلةً عظيمةً من المسلمين (٣)٠

كانت مصر تعاني من الصراعات بين الحاكمين ، وكان الأفضل أحد ضحايا هذه الصراعات ، فقـــد قتل الأفضل بتدبير من الخليفة كما قيل (٤) وانفتح باب الصراع على السلطة ، ووصف ابن الأثير أحـــوال مصر بعد مقتل الأفضل فقال : " وكانت الوزارة في مصر لمن غلب ، والخلفاء من وراء الحجـــاب والوزراء كالمتملكين ، وقلّ أنْ وليها أحد بعد الأفضل الا بحرب أو قتل أو ما شابه ذلك"(٥)٠

أمّا حكام المسلمين في بلاد الشام فقد أصابهم الذعر من الفرنج وأدركوا أنْ ليس بمقدورهم قتـــال الصليبيين ولذا استسلموا لهم وهادنوهم ٠ وقد وصف ابن الأثير حال حكام المسلمين في الشـــــام فقال : " فعظم خوف المسلمين منهم ، وبلغت القلوب الحناجر ، وايقنوا باستيلاء الفرنج علـــى سائر الشام لعدم وجود الحامي له ، والمانع عنه ، فشرع أصحاب الممالك الإسلامية بالهدنـــــة معهم ، فامتنع الفرنج من الإجابة الا على قطيعة يأخذونها الى مدة يسيرة"(٦)٠

---

(١) أمينة البيطار ، تاريخ العصر الايوبي ، ص ٣٢

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠، ص٤٨٠

(٣) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهره ، حـ٥، ص٢٠٩

(٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٠٣-٢٠٤
ابن الأثير ، الكامل ، حـ ١٠، ص٢١٨
د٠ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ٠٠٠٠ حـ٤ ، ص١٨١-١٨٢

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص١٨٥

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠، ص٤٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي سنة ٥٠١هـ قصد الصليبيون مدينة صور ، وشرعوا في بناء حصن بجانبه ، ليتخذوه نقطة انطلاق للاستيلاء على صور ، واستمر الصليبيون بجوار مدينة صور شهراً ، مما جعل والي صور يدرك أنّ ليس له الا مهادنتهم لكف أذاهم ، ومنع سقوط المدينة في أيديهم ، فهادنهم ، ودفع لهم مبلغ سبعة آلاف دينار ، فقبضها منه بغدوين ورحل عنه (١).

وفي العام التالي ٥٠٢ هـ اصطلح ظهير الدين أتابك طغتكين حاكم دمشق وبغدوين الصليبي ملك بيت المقدس واتفقا على وضع الحرب أربع سنين(٢). وفي هذا العام قُسّم استغلال البقاع التابعة لإمارة طغتكين ، فكان للصليبيين الثلث ، وللأتراك الثلث وللفلاحين الثلث .أو كما أوردها ابن القلانسي : " للأتراك الثلث ، وللإفرنج والفلاحين الثلثان "(٣).

وفي العام التالي ٥٠٣ هـ نقض الفرنج الصليبيون هدنتهم وأغاروا على (فنّية من أراضي امارته ولما علم طغتكين بذلك خيّم بإزائها ومنعهم من مضايقتها ، ثم راسلهم ، فاشترطوا عليه أن يسلّم اليهم بعض الحصون، وأن يأخذوا ثلث استغلال البقاع ، وأنْ تدفع بعض الحصون التابعة لامارة دمشق أموالا معينة للفرنج كلّ سنة ، وتعهد الصليبيون من جانبهم بعدم الاعتداء على أراضي امارة طغتكين ، غير أنّ هذا الاتفاق قد نقضه الفرنج بعد مدة يسيرة كشأن الهدن والاتفاقات الأخرى -(٤).وفي هذا العام ٥٠٣ هـ راسل والي بعلبك الصليبيين طالباً المصالحة والمهادنة (٥).وفرض الصليبيون على امارة شيزر مبلغ عشرة آلاف دينار قطيعة تحمل اليهم بعد أن عاثوا وخرّبوا في أرضها(٦). وفرض

---

(١) ابن القلانسي ، ص٢٥٥

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠ ، ص٤٦٧

(٣) ابن القلانسي ، ص٢٦٤

(٤) ابن القلانسي ، ص ٢٦٤

(فنّية: بلدة عند طرابلس من سواحل الشام.ياقوت ، معجم البلدان، حـ٣، ص٥٥
طغتكين: مملوك تتش بن الب ارسلان ، كان يلقب ظهير الدين وصفه ابن الأثير فقال" كان عاقلا خيرا ، كثير الغزوات والجهاد للفرنج، حسن السيرة في رعيته، مؤثراً للعدل فيهم "
ابن الأثير الكامل ، حـ١٠، ص٦٥٢

(٥) ابن القلانسي ، ص ٢٦٦

(٦) ابن القلانسي ص٢٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصليبيون على صيدا مبلغ ستة آلاف دينار تحمل الى ملك بيت المقدس وكانت قبل ذلك ألفي دينار (١). وهادنهم أمير حلب رضوان بن تتش ففرضوا عليه مبلغ عشرين ألف دينار مقاطعة وعشرة من الخيل، تحمل اليه كل عام، وأن يطلق سراح أسرى الفرنج (٢).

وفي سنة ٥٠٤هـ فرضوا على صاحب حماة الفي دينار (٣) ولجأ الصليبيون الى نقض مابينهم وبين المسلمين من هدن ومصالحات بهدف الحصول من المسلمين على مكاسب مادية أعلى وأكبر. ففي سنة ٥٠٣ هـ نقض الفرنج هدنتهم مع أتابك دمشق طغتكين، مما جعله يوافق على رفع حصة الصليبيين من استغلال البقاع الى النصف بدلا من الثلث (٤).

ويبدو انهم قد زادوا ما فرضوه على رضوان صاحب حلب الى اثنين وثلاثين الف دينار بعد أن كان يدفع لهم في العام السابق ٥٠٣ هـ مبلغ عشرين الف دينار (٥). وفي سنة ٥٠٣ هـ فرضوا على صاحب صور مبلغاً من المال، مقابل تعهدّهم له بعدم الاعتداء على مدينته صور (٦).

وقد وصل حكام الشام في ذلك الوقت الى درجة من الانحطاط، وضيق الأفق جعلتهم يخونون المسلمين، ويحتمون بالصليبيين في سبيل المحافظة على مصالحهم الشخصية، فقد راسل طغتكين اتابك دمشق صاحب انطاكية الصليبي واجتمع الاثنان على بحيرة قدس* قرب حمص، فتعاقدا وتعاهدا، وعاد كل الى امارته، وكان سبب هذا خوف طغتكين من السلطان السلجوقي الذى

---

(١) ابن القلانسي، ص٢٦٩

(٢) ابن القلانسي، ص ٢٧٣

(٣) ابن الأثير، الكامل، حـ ١٠، ص٤٨٢ هـ

(٤) ابن القلانسي، ص ٢٦٤

(٥) ابن الأثير، الكامل، حـ١٠، ص٤٨٢

(٦) ابن القلانسي، ص٣٠٠-٣٠١

* قدس: بلد بالشام قرب حمص، واليه تنظف بحيرة قدس/ ياقوت، معجم البلدان، حـ٤، ص٣١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نسب اليه مقتل مودود زنكي قائد الحملة التي أرسلها السلطان السلجوقي سنة ٥٠٤ هـ الى الشام لمحاربة الصليبيين (١). وسلّم بعض حكام المسلمين المدن في سبيل كف أذاهم عن أراض امارته، كما فعل ارتق حلب سليمان بن عبد الجبار سنة ٥١٣ هـ . فقد سلمهم حصن الأثارب ، مقابل تعهدهم بعدم الاعتداء على أراضي حلب (٢).

وفي سنة ٥٢٢هـ عرضت فرقة الباطنية على الصليبيين قلعة بانياس ، مقابل ان يحموهم من المسلمين ، ويسمحوا لهم ان يعيشوا في الأراضي التي يسيطرون عليها ، وكان من آثار هذا العمل ازدياد طمع الصليبيين بالاستيلاء على دمشق (٣).

حملة السلطان محمد السلجوقي لقتال الصليبيين

لم تنقطع اعتداءآت الصليبيين على المسلمين ، ففي سنة ٥٠٤ هـ هاجمت مراكب صليبية مراكب تجارية قادمة من مصر الى الشام ، وفيها الأمتعة الكثيرة ، وأخذوها وغنموا ما مع التجار وأسروهم (٤) . كانت هذه الحادثة وما سبقها من حوادث سطو ، وما كانت عليه حال المسلمين من الذل والهوان ، حافزا قويا لمجموعة من المسلمين من أهل حلب وتجارها على الذهاب الى بغداد للاستعانة وطلب النجدة . ولما وصلوا الى بغداد قصدوا جامع السلطان واستغاثوا، ومنعوا من الصلاة ، وكسروا المنبر ، فوعدهم السلطان انفاذ العساكر للجهاد . وفي الجمعة الثانية قصدوا جامع الخليفة ، ودخلوه ، وكسروا المنبر ، فأرسل الخليفة الى السلطان يأمره

---

(١) عن بعثة السلطان لقتال الصليبيين : ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠، ص٤٨٧
وابن القلانسي ، ص٢٧٩

(٢) ابن القلانسي ، ٣٣١ ، الأثارب: قلعة بين حلب وانطاكية ـ بينها وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ
عن : ياقوت، معجم البلدان ، جـ١، ص٨٩.

(٣) ابن القلانسي ، ٣٥٦
ابن الأثير ، الكامل ، ح١٠، ٦٥٧

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ص٢٦٣، ط دار الكتاب ، ١٩٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمعالجـــــة الموقـــــف (١).

وفي العام التالي ٥٠٥ هـ اجتمعت العساكر التي أمرها السلطان بالمسير الى قتـــــــال الفرنج ، وسارت الى الشام بقيادة أمير الموصل ويدعى مودود زنكي (٢). وفي الطريق الى الشـــــام فتحوا عدة حصون للفرنج ، غير ان أمير الرها الصليبي أفشل هذه الحملة باستمالة بعض قادتهـــــا والإيقاع بينهم فاختلفوا ورفعوا الحصار عن إحدى قلاع الملك الصليبي ، ثم تابعوا مسيرهـــــــم حتى وصلوا أبواب حلب ، فخشيهم أميرها رضوان بن تتش ، وأغلق أبواب مدينته في وجههم، لابـــل سخّر لهم من يعتدي على جنودهم بالقتل والخطف (٣).

وفي سنة ٥٠٧ هـ قاتل مودود ومعه بعض أمراء الشام الصليبيين ، وحققوا بعض الانتصـــــارات عليهم ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وعادوا الى دمشق (٤). وفي يوم الجمعة دخل مودود للصلاة فـــي المسجد وصلى ، وفي أثناء خروجه وثب عليه باطني فجرحه ، فمات من يومه ، وقيل ان موتـــــه كان مؤامرة دبرها ضده طغتكين حاكم دمشق (٥).

وهكذا انتهت محاولة جادة لقتال الصليبيين بسبب اختلاف القادة ، وتدبيرهم المؤامـــــرات ، وبسبب فساد أحوالهم . فقد انعدمت الثقة بين قادة المسلمين وتحالف بعضهـــــم مع الصليبيين ، وقيل ان طغتكـــين حاكم دمشق تحالف سرّا مع الصليبيين لينصروه على مـــــودود اذا حاول الاعتداء على مملكته دمشق (٦).

---

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص١٧٣، ابن الاثير ، الكامل ، حـ١٠، ص٤٨٧.

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٢، ص١٧٣، ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ٢٧٩.

(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص٢٧٩

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٢، ص١٧٦

(٥) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص١٩٩، وابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠، ٤٩٧
البداية والنهاية ، حـ١٢، ص١٧٣-١٧٦

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، جـ١٠، ص٤٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استمرت حالة الذل والهوان بعد المحاولة السابقة ، وسيطر الصليبيون على المسلمين وفاقت هذه السيطرة كل توقع ، وبلغت الى درجة أنّهم ارسلوا الى دمشق ، واستعرضوا الرقيق ممن أخذ من الروم ومن الأرمن وسائر بلاد النصرانية ، وخيروهم بين الإقامة عند أربابهم والعودة الى أوطانهم ، فمن اختار المقام تركوه ، ومن آثر العودة الى أهله أخذوه (١). ولم تكن الحال مع الصليبيين في مدن الشام الأخرى افضل منها في دمشق . ففي حلب كان الصليبيون يقاسمون المسلمين أعمالها مناصفة (٢).

أصاب الذل المسلمين بسبب فساد قياداتهم ، وكانت حاجتهم شديدة الى قائد شجاع ، يقضي على الخلافات ، ويوحّد البلاد ، ويجاهد الصليبيين ، وشاءت إرادة الله أن يبزغ فجر الأمل من الموصل ، فيظهر عماد الدين زنكي قائداً عسكرياً محنّكاً مما جعل سلطان السلاجقة يوليه حكم امارتين كبيرتين في العراق هما بغداد والموصل ، وذلك في سنة ٥٢١ هـ (٣).

وقد بدأ هذا القائد المسلم يسعى لتثبيت سلطانه تمهيدا لقيادة حركة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين ، ففي سنة ٥٢٢ هـ ضم حلب الى مملكته ، فرحب به أهل حلب واعتبروه منقذهم من سيطرة الصليبيين ، وكان انضمام حلب الى مملكته أولى خطوات الوحدة الاسلامية (٤). وضم بعد ذلك حماة ، وحاصر حمص وأعلن عزمه على الجهاد (٥).

(١) ابو شامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق١ ، ص٧٧

ابن قاض شهبة ، الكواكب الدرية في السيرة النورية ص٩٢

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق ٢ ، ص٧٧

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠ ، ص٦٤١

ابوشامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق ١ ، ص٧٥-٧٦

(٤) ابن الأثير ، الباهر في الدولة الاتابكية ، ص٣٨

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠، ص٦٤٦-٦٤٧/
ابو شامة ، الروضتين ، ج١ ، ق١، ص٨٧،
الاثارب : قلعة معروفة بين حلب وانطاكيه بينها وبين حلب ثلاثة فراسخ .
ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص ٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي سنة ٥٢٣ هـ حاصر حصن الأثارب، وقاتل الفرنج وهزمهم ، وكان من هذا الحصن ضرر كبير على المسلمين في حلب (١). وعرف الصليبيون قوة عماد الدين فهادنوه على حصن حارم مناصفة (٢).

وقد عمل عماد الدين على استكمال توحيد بلاد الشام ، والاستمرار في جهاد الصليبيين فحاول الاستيلاء على دمشق في سنة ٥٢٩ هـ ، غير انه فشل في ذلك (٣). وكان يدرك ان وحدة بلاد الشام والانتصار على الصليبيين لاتتم دون دمشق .

كانت انتصارات عماد الدين بداية تحول الأمور لصالح المسلمين، فقد قال ابن الأثير يصف احوال المسلمين إثر انتصار عماد الدين على الصليبيين في حصن الأثارب :" وقد استدار المسلمون بتلك الأعمال ، وضعفت قوى الكافرين ، وعلموا أنّ البلاد قد جاءها مالم يكن لهم في حساب ، وصار قصاراهم حفظ ما بأيديهم ، بعد أنْ كانوا قد طمعوا في ملك الجميع (٤).

واصل عماد الدين معاركه مع الصليبيين ، ففي سنة ٥٣١ هـ هاجم حصن بعرين (٥). وحاصره حصاراً شديداً ، ومنع عنه العدة والعتاد ، فتضايق الصليبيون وطلبوا الصلح ، فصالحهم لعلمه ان هناك نجدات عسكرية صليبية في طريقها لنجدة الحصن . واشترط عليهم تسليمه الحصن ، ودفع مبلغ قدره خمسون الف دينار، مقابل اطلاق سراح أمرائهم الأسرى (٦).

---

(١) ابوشامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق١ ، ص٧٨

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، ح١، ق١، ص٨١(حارم : قلعه وكورة من أعمال حلب/معجم البلدان ج٢، ٢٠٥،

(٣) ابن القلانسي ، ص٣٩١، وابن الاثير ، الكامل ، حـ١١، ص٢١-٢٢

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٠، ٦٦٣

(٥) بعرين: بلد بين حمص والساحل ، وبلفظ بارين

- ياقوت ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص٤٥٢

(٦) ابن القلانسي ، ط المطبعة اليسوعية، ١٩٠٨ ، ص٢٥٨-٢٥٩

ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ٥١-٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستولى في هذا العام ٥٣١ هـ على المعرّة ، وكفر طاب (١)٠ وفي العام التالي ٥٣٢ هـ استولى عماد الدين على حمص وبعض أعمال دمشق ، وأخذ يسعى للاستيلاء على دمشق فجاء اليها في سنة ٥٣٤ هـ ٠٠٠ وحاصرها في محاولة الاستيلاء عليها ٠ فلجأ حاكمها الى الصليبيين واستنجد بهم ضد عماد الدين ووعدهم ببانياس ان هم أعانوه على عماد الدين ٠ وخوفهم من عماد الدين وقال لهم: " اذا ملك دمشق لم يعد لكم بقاء بالشام " فعرفوا صدق مايقول ، فأعانوه ، وأنجدوه ومنعوا عماد الدين من الاستيلاء على دمشق ٠ وفازوا ببانياس (٢)٠ وكان الصليبيون في الرّها قد استشرى شرّهم وضايقوا المسلمين ، ونقضوا هدنتهم مع عماد الدين ، ولم يحافظوا عليها ٠

فأخذ عماد الدين ينتظر فرصة مناسبة للهجوم على المدينة ، وشرع في جمع الأخبار عنها ، الى أن علم ان صاحبها جوسلين قد غادرها ومعه خيالته ، عندها ايقن عماد الدين ان في استطاعته فتح المدينة ، فأسرع اليها ، وحاصرها ، وقاتلها الى أن تمكن من فتحها في هذا العام ٥٣٩ هـ ، فكانت أول إمارة صليبية محرّرة (٣)٠ وقد تعرضت حياة عماد الدين لمؤامرة انتهت بقتله أثناء حصار لقلعة جعبر سنة ٥٤١ هـ ، فقد قتله غلام من أصل افرنجي اثناء نومه (٤)٠

أدّت وفاة عماد الدين الى انقسام دولته الى قسمين ، مملكة في حلب، كانت من نصيب

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص٥٣-٥٤

المعرّة : مدينة كبيرة قديمة مشهورة من اعمال حمص بين حلب وحماة

ياقوت ، معجم البلدان ، حـ٥ ، ص١٥٦

كفرطاب : بلدة بين المعرة وحلب

ياقوت ، معجم البلدان ، حـ٤ ، ص٤٧٠

(٢) ابن القلانسي ، ص٤٢٤-٤٢٧ ، وابو شامه ، الروضتين ، حـ١ ، ق٢، ص٨٤، ابن الأثير ، الكامل حـ١١، ص٧٣-٧٥٠

(٣) ابن القلانسي ، ص٤٣٥-٤٣٧ و أبو شامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق٢، ص٩٤-٩٦ ٠

ابن تغري بردي ، النجوم الزاهره ، حـ٥ ، ٢٧٥

(٤) ابن القلانسي ص٤٤٥ وابن الأثير ، الكامل ، حـ١١، ص١٠٩-١١١

قلعة جعبر : على الفرات كانت تسمى دوسرة ، ياقوت ، معجم البلدان ، حـ٢ ، ١٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابنه نورالدين ، والثانية في الموصل وكانت لسيف الدين غازى ابنه الاكبر (١).

حاول جوسلين صاحب امارة الرّها المحرّرة استغلال وفاة عمادالدين ، واسترجاع الرها ، فراسل الأرمن وحثّهم على العصيان والامتناع على المسلمين ، وسار اليهم ، ودخل البلد ، واعتصم المسلمون بالقلعة ، ولما علم نور الدين هبّ اليها سريعاً بجيوشه ، فهرب جوسلين ، وأعاد نور الدين سيطرته على المدينة وأمر بإخلاء النصارى منها (٢).

سار نورالدين على طريق والده في جهاد الصليبيين ، وأخذ يعد المسلمين للجهاد ، ويحصن مدنهم ، وأنفق الأموال الكثيرة في بناء الأسوار والقلاع والتحصينات (٣)، وبنى الأبراج على الطرقات بين المسلمين والفرنج ، وجعل فيها من يحفظها ومعهم الحمام الهوادي ، فاذا رأوا من العدو أحداً ، أرسلوا الطيور فأخذ الناس حذرهم وتجهزوا لهم فلم يبلغ العدو منهم غرضا (٤). وقد واجه نور الدين الصليبيين وخاض ضدهم عدة معارك على الرغم من الحملات التي وصلت من أوروبا بعد أخذ المسلمين الرها . ففي سنة ٥٤٣ هـ وصلت الى الشرق حملة صليبية بقيادة ملك الالمان ، فسار اليه الصليبيون في الشام ، وبعد التشاور بينهم ، استقر رأيهم على مهاجمة دمشق ، فساروا اليها ، وحاصروها فاستنجد حاكمها بسيف الدين غازي صاحب الموصل ، ولجأ الى مراسلة الصليبيين وهددهم بأنه سيسلم دمشق لصاحب الموصل إن لم يرحلوا عنها . عندها لجأ فريق الشام الى اقناع ملك الألمان بالرحيل عن دمشق ، وخوفوه من قوة ملك الموصل فرحل وعاد الى بلاده ، وفشلت الحملة في تحقيق أهدافها (٥).

---

(١) ابوشامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق١ ، ١١٩-١٢٢ وابن الاثير ، الكامل ، حـ١١، ١١٢-١١٣.

(٢) ابن القلانسي ، ص٤٤٩-٤٥٠ و ابن الاثير ، حـ١١ ، ص١١٤ ،

(٣) ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدريّة في السيرة النورية ، ص٣٥ و ٥٧

(٤) ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدريّة في السيرة النورية ، ص٣٨

(٥) ابن القلانسي ، ص ٤٦٢ - ٤٦٣ و ابن الاثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص ١٢٩-١٣١

و أبو شامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق١ ، ص١٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذا العام ٥٤٣ هـ استولى نور الدين على حصن العريمة بالقرب من طرابلس (١) وهزم الفرنج بأرض بصرى وكانوا قد اجتمعوا للإغارة على حلب (٢). وفي العام التالي ٥٤٤ هـ استولى على حصن فاميه (٣). وهزم الصليبيين قرب انطاكية ، وقتل كثيرا منهم ، وكان ممن قتل صاحب انطاكية الذى كان عاتيا من عتاة الفرنج وعظيما من عظمائهم (٤).

وفي العام التالي ٥٤٥ هـ هزم جوسلين الصليبي نور الدين قرب حلب ، "لا أنّ نور الدين ثأر لنفسه وتمكن من أسر جوسلين" فكان أسره من أعظم الفتوح لأنه كان شيطانا عاتياً شديداً على المسلمين ، قاسي القلب ، فاصيبت النصرانية كافة بأسره ." ثم سار نور الدين الى حصون جوسلين واستولى عليها (٥).

كان نور الدين يدرك ان استنقاذ بيت المقدس ، وتحرير بلاد المسلمين ، يحتاج الى توحيد بلاد الشام ، فقد كانت دمشق بيد حاكم خائن ، يؤثر مصالحه الخاصة على مصالح المسلمين ولذا كان يتعامل مع الصليبيين ، وينحاز الى جانبهم . وقد أخذ نور الدين يحاول الاستيلاء عليها ، ويتحين الفرص لذلك ، الى أن كانت سنة ٥٤٩ هـ ، حيث راسل أهلها ، واستمالهم ، وبذل الأموال سرّا ليعينوه على احتلالها . وكان الباعث على استيلاء نور الدين على دمشق أنّ الفرنج قد ازداد طمعهم بالاستيلاء على دمشق عقب استيلائهم على عسقلان في العام السابق ٥٤٨هـ . ولذا فقد أخذ يعمل سرّا لاحتلال دمشق الى ان كان له ماأراد قبل أن يتمكن الفرنج من نجدة حاكمها . وكان نور الدين يدرك أنّ الطريق الى بيت المقدس غير ممكن دون دمشق رقم (٦)

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص١٣١-١٣٢

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق١ ، ص١٤٤-١٤٥ وابن الاثير ، الكامل ، حـ١١ ، ١٣٤

(٣) ابوشامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق١ ، ص١٥٩ .

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص١٤٤ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص١٥٤-١٥٥

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ١٩٧-١٩٨

- وتاريخ ابن القلانسي ، ٤٧٩-٤٨٠

- ابن الأثير ، الباهر في التاريخ الأتابكي ، ص ١٠٧

- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٥ ، ص٣١٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما استولى نور الدين على دمشق ، خافه بعض الصليبيين ، وأرسل اليه أصحاب قلعة تل باشر يعرضون عليه تسليم القلعة له ، فوافق وارسل لهم من تسلّمها (١).

وفي سنة ٥٥١هـ صالح نورالدين الصليبيين على أن يعطوه نصف أعمال حارم (٢). وعاد اليها في سنة ٥٥٧ هـ محاولا فتحها غير انه لم يتمكن من ذلك (٣).

وفي سنة ٥٥٨ هـ كسر نور الدين الصليبيين على حارم ، وفتحها ، وأوقع فيهم كثيراً من القتلى وأسر بعض ملوكهم منهم صاحب انطاكية ، وقومص طرابلس الذي وصفه ابن الاثير بأنه " شيطان الفرنج ، وأشدهم شكيمة على المسلمين ، كما كان من الأسرى ابن جوسلين الذي كان أمير الرها "(٤).

وفي سنة ٥٥٩ هـ أستولى على بانياس من الصليبيين ، وكانت بيدهم منذ سنة ٥٤٣ هـ .وكان قد لتخفيف هاجمها . ضغط الصليبيين على أسد الدين شيركوه الذي كان محصوراً في مدينة بلبيس في مصر (٥). كان نورالدين يخشى على مصر من الصليبيين الذين أخذوا يهاجمونها ، ولذا أخذ يسعى الى السيطرة عليها ، وتوحيدها مع بلاد الشام ، لما في ذلك من قوة للمسلمين ، وحماية لمصر . وقد شجّعه على هذا ماكانت تعانيه مصر من خلافات مستمرة على الوزارة واستعانة بعض الوزراء بالصليبيين الأمر الذي كان يعرّض مصر لخطر استيلاء الصليبيين عليها (٦).وقد وجد نورالدين

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١، ص١٩٩

تل باشر : قلعة حصينة شمالي حلب ، بينها وبين حلب يومان/ياقوت : معجم البلدان حـ٢ ، ص٤٠

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص٢٠٨

حارم : حصن من اعمال حلب ، يقع قرب انطاكية /ياقوت : معجم البلدان ، حـ٢ ، ٢٠٥

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص٢٨٥

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص٣٠١-٣٠٤

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص٣٠٤-٣٠٥ ، وأبوشامة : الروضتين ، جـ١، ق٢، ٣٣٥-٣٣٧

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ص٢٢-٢٤ ، ٤٨-٤٩، ١٤١-١٤٤، ١٨٤، ١٩١-١٩٣ ، ٢٧٤ ، والمقريزي الخطط ، حـ٢ ، ص٣٧، ٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فرصته في تحقيق وحدة مصر والشام حين استعان به أحد وزراء مصر ويدعى شاور ضد آخر ويدعى ضرغام، وكان شاور خدّاعا خبيثا ، فوعد نور الدين بثلث خراج مصر ، وان يكون نائبا له في حكم مصر اذا نجح في اعادته الى الوزارة (١). فلبّى نور الدين نداء شاور وأرسل حملتين متتاليتين، حملة الثانية (٥٦٢) لاعادته الى الوزارة ، غير أنّه نقض ماكان قد اتفق به مع نور الدين ، وحين رأى طمع أسد الدين بمصر استنجد بالصليبيين وخان المسلمين ، وخرج بالجيوش من القاهرة ومعه ملك الصليبيين وحصروا شيركوه ثلاثة أشهر ثم وقع الصلح على أنّ يرحل الفرنج عن القاهرة ، وأن يخرج أسد الدين وجنوده من مصر ، في حين أبقى الصليبيون قوة لهم في القاهرة ، بيدها مفاتيح المدينة ليمنعوا نور الدين من ارسال العساكر الى مصر . وقد تسلطت هذه القوة على المسلمين ، الأمر الذي ضايق الخليفة العلوي العاضد وجعله يستغيث بنور الدين . فاستجاب نور الدين لاستغاثة الخليفة العلوي، وأرسل حملة عسكرية على رأسها أسد الدين شيركوه ، فوصلت الى مصر ، ونجحت في دخول القاهرة ، وقتل شاور بعد ذلك ، وأسندت الوزارة الى أسد الدين شيركوه ، وكانت وفاته بعد ذلك بقليل ، فاجتمع الرأي على اسناد الوزارة لصلاح الدين الايوبي (٢).

ازداد خوف الصليبيين من المسلمين بعد نجاح قوات نور الدين في الاستيلاء على مصر ولذا أرسلوا الى فرنج صقلية والأندلس ، يستنجدون بهم ضد نور الدين وصلاح الدين في مصر ، ويقولون لهم: اذا لم تخرجوا لحرب المسلمين استولوا عى بيت المقدس . فكان من اثر ذلك ان وصلت حملة من صقلية الى مصر سنة ٥٦٥ هـ ، ونزلت مقابل مدينة دمياط . ولما علم نور الدين سار الى نجدة صلاح الدين ، فحاصر الكرك . وفشلت الحملة وعادت الى بلادها خائبة بعد أن خسر الصليبيون كثيراً من القتلى ، والمعدات العسكرية . ويعود سبب فشل هذه الحملة الى تضافر قوى المسلمين في مصر والشام ، فقد أرسل نور الدين الى صلاح الدين كثيراً من الأموال ، وقام بالضغط على الصليبيين

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص٢٩٨-٣٠١

ابو شامة : الروضتين ، حـ١ ، ق٢، ص٣٣١-٣٣٥

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١، ص٣٣٤-٣٤٥

- أبو شامة ، الروضتين ، جـ١ ، ق٢ ، ص٤٣١-٤٣٩

ابن كثير ، البداية والنهاية ، ح١٢، ص٢٥٥-٢٥٨ ،

وخطط المقريزي ، حـ٢، ص٣٧-٣٨ و حـ ٢ ٧٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمحاصرة بعض حصونهم كحصن الكرك (١).

وفي بلاد الشام أدّت وفاة نورالدين سنة ٥٦٩ هـ ، الى ازدياد طمع الصليبيين بالاستيلاء على دمشق ، نظراً لاختلاف المسلمين ، فقد ورث نورالدين ابنه الملك الصالح اسماعيل ، وكان طفلاً لايتجاوز عمره الحادية عشرة ، فأخذ الأمراء يتصارعون حوله ويتنافسون ، فاغتنم الصليبيون هذه الخلافات، وهاجموا بانياس من أعمال دمشق ، وأجبروا المسلمين على مهادنتهم(٢). كانت هذه الظروف قد اطمعت صلاح الدين في الاستيلاء على بلاد الشام وتوحيدها مع مصر ، والتفرغ بعد لقتال الصليبيين واسترداد بيت المقدس منهم ، فاتجه بجيوشه الى بلاد الشام بحجة حماية مملكة الملك الصالح ، وشرع في الاستيلاء على مدن الشام الواحدة تلو الاخرى ، فاستولى على دمشق ، وحمص، وبعلبك ، واستعصت عليه حلب مدة من الزمن ، الى أن كانت سنة ٥٧٩ هـ حيث استطاع الاستيلاء عليها ، وضمها الى مملكته(٣).

بعد أن نجح صلاح الدين في تحقيق وحدة بلاد الشام ومصر ، عمل على بث روح الحرب والجهاد في نفوس المسلمين ، وتهيئة عقولهم لهذا الواجب المقدس ، عن طريق المدارس العديدة التي أنشأها في مصر والشام ، كما حرص صلاح الدين على ان يكون هو نفسه قدوة صالحة لهذا العمل، فكان مجلسه لايخلو من ذوى الفضل وأولي النباهة الذين كانوا يتجاذبون بحضرته أطراف الفوائد لاسيما فضائل الجهاد وفرائض التأهب والإستعداد(٤).

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص٣٥١-٣٥٢

ابوشامة ، الروضتين ، جـ١ ، ق ٢ ، ص٤٥٦-٤٦٠

- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٣٨ ، ط دار الموىد المصرية ، دون تحقيق

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١، ص٤٠٥-٤٠٦

أبو شامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق١ ، ص٥٨٩-٥٩٤

ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢، ص٧ . وابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية ، ص٢٣٠

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ح١١، ص٤١٥، ٤١٧، ٤٢٩-٤٣١، ٤٥١، ٤٩٦-٤٩٧

ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ٥٠-٥٩

ابوشامة، الروضتين ، جـ١ ، ق٢، ص٦٠٧-٦١٦

(٤) ابوشامة ، الروضتين ، حـ١، ص٦٥، ابن شداد، النوادر السلطانية ، دار المؤيد، ص١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان من يريد أن يتقرب الى صلاح الدين يحثه على الجهاد ، أو يذكر له شيئاً من أخبار الجهاد ولقد ألفت له كتب عديدة في هذا الموضوع ، وكان وزراؤه وكتّابه في مقدمة الذين لبّوا رغبته . يقول العماد : " وكنت قد جمعت له كتاباً في الجهاد بدمشق مدة مقامي فيها بجميع آدابه وأحكامه فقدمته بين يديه ، فأعجبه وكان يلازم مطالعته " (١).

ويقول ابن شداد : " وأنا ممن جمع له في الجهاد كتاباً ، جمعت فيه آدابه ، وكل آية وردت فيه وكل حديث روى فيه ، وشرحت غريبها ، وكان رحمه الله كثيراً ما يطالعه ، حتى أخذه منه ولده الأفضل " (٢).

وكان الهدف الأسمى لصلاح الدين هو الفوز بشرف تحرير بيت المقدس . ففي سنة ٥٨١ هـ مرض صلاح الدين مرضاً شديداً ، " فنذر لئن شفاه الله من مرضه هذا ليصرفنّ همّته كلّها الى قتال الفرنج" ولا يقاتل بعد ذلك مسلماً ، وليجعل أكبر همه فتح بيت المقدس ولو صرف في سبيل الله جميع ما يملكه من الأموال والذخائر ، وليقتلنّ البرنس صاحب الكرك بيده لأنه نقض العهد، وتنقّص الرسول ... " (٣).

وما زال صلاح الدين يعد العدة ويحشد الحشود الى ان كانت سنة ٥٨٣ هـ ،حيث قرّر خوض معركة فاصلة مع الصليبيين ، فاجتمع اليه اثنا عشر ألفاً ، غير المتطوعة واستولى على بحيرة طبرية ومنع الماء عن الصليبيين ، ودارت معركة حطين ، فانتصر المسلمون نصراً عظيماً على الصليبيين، وانهزم الصليبيون ، ووقع فيهم الخزي والذل وكثير من الخسائر في الأموال والرجال والسلاح (٤).

---

(١) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٢٤

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢، ص٢٢١/ابن شداد ، النوادر السلطانية/ط دار المؤيد/ ص١٧

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٢ ، ص٣١٦

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص٥٣٤-٥٣٨

- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢، ص٣٢٠-٣٢٣
- ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢، ص١٨٩-١٩٣
- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٧٦
- العماد الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص٧٦-٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت معركة حطين نقطة تحول كبرى في تاريخ الصراع الاسلامي الصليبي ، فقد ارتفعت معنويات المسلمين وهم يرون ذل الصليبيين وخزيهم • وقد ذكر ابن كثير ان بعض الفلاحين شوهد وهو يسوق نيّفا وثلاثين أسيرًا من الصليبيين وقد ربطهم بطنب خيمه وأن بعضهم باع أسيرًا بنعل ليلبسها في رجله (١)• ويعود الفضل في هذا الانتصار العظيم الى توفيق الله وتأييده أوّلا والى صدق نوايا المسلمين في جهادهم ، والى حنكة صلاح الدين ومهارته العسكرية •

كانت معركة حطين انتصاراً حاسماً ، استرجع صلاح الدين بعدها كثيرًا من مدن المسلمين منها عكا ، ويافا ، وصيدا ، وعسقلان ، وجبيل ، وبيروت ، وكثيرًا من الحصون والقرى المجاورة (٢)

كما كانت معركة حطين مقدمة لفتح بيت المقدس • ففي هذا العام ٥٨٣ هـ ، قصد العلماء والصالحون ، صلاح الدين لأنهم سمعوا عن عزمه على فتح بيت المقدس ، واجتمع اليه كثير من الجيوش فسار الى بيت المقدس وكانت في غاية الحصانة فحاصره الى أن تمكن من تسلّمه من الصليبيين ، وسمح لهم بالخروج مقابل أموال يدفعونها (٣)•

وفي العام التالي ٥٨٤ هـ استولى صلاح الدين على حصن الكرك الذى كان يقطع الطريق على الذاهبين الى مصر والحجاز • فتخلص من شرّه وأمّن الطريق بين شطري دولته (٤)•

ثارت ثائرة الصليبيين عقب استرجاع صلاح الدين بيت المقدس وأيقنوا أنّ نهاية وجودهم على أرض المسلمين قد اقتربت ، فأرسل قساوستهم وأساقفتهم الى الغرب يحرضون على الخروج لحرب المسلمين واستعادة بيت المقدس منهم• وقدتزعم اسقف صور حملة التضليل ضد المسلمين

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٢، ص٣٢١

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١، ص٥٣٩-٥٤٦

(٣) ابن الأثير، الكامل ، حـ١١، ص٥٤٦-٥٥٣، والعماد : الفتح القسّي ، ص١٢٤-١٤٠
ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٢، ص٣٢٣-٣٢٥ •

(٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢، ص٢٥٩-٢٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستخدم كل أساليب الخداع والتضليل التي تحرك العواطف ، وتنمي الحقد على الإسلام. فقد صور قبر المسيح وقد داسه عربي بفرسه ، كما رسم الفرس وقد بالت على القبر (١). ولبس الحداد في أثناء حملات التشهير بالإسلام والمسلمين ، والدعوة الى الخروج لحربهم ، واسترجاع بيت المقدس منهم . وصور المسيح ، فجعله مع رجل عربي يضربه ، وجعل الدماء تسيل على وجهه ، وقال : هذا نبي الاسلام محمد يضرب المسيح ، وقد جرحه وأدماه" وكان أسقف صور من أشدّ الصليبيين حيلة ، وأقدرهم على تهييج الجموع ضد المسلمين .(٢)

نجحت هذه الحملة العدائية ضد المسلمين في إخراج حملة صليبية قادها بعض ملوك أوروبا ، استهدفت استرجاع بيت المقدس من ايدى المسلمين . وقد نجحت هذه الحملة في الاستيلاء على مدينة عكا سنة ٥٨٧ هـ ، وأسر الصليبيون من بها من المسلمين ، وقتلوهم جميعهم (٣). ولم تفلح هذه الحملة في الاستيلاء على بيت المقدس بسبب الاستعدادات .التي اتخذها صلاح الدين ، فقد حصّن بيت المقدس ، وأكمل بناء السور ، وعمّر الخنادق ، ونصب المناجيق ، وبعد أن أكمل هذه الاستعدادات جمع جنوده واستشارهم فيما يفعلونه لصد الصليبيين ومنعهم من الاستيلاء على بيت المقدس ، ثم ألقى فيهم خطبة مؤثرة يحثهم فيها على الدفاع عن دماء المسلمين وأموالهم ومقدساتهم ، وقال: " الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله : اعلموا أنكم جند الإسلام اليوم ومنعته ، وأنتم تعلمون أنّ دماء المسلمين وأموالهم وذراريهم في ذممكم معلقة ، والله عز وجل سائلكم يوم القيامة عنهم ، وأن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه عن العباد والبلاد غيركم ، فان وليتم - والعياذ بالله - طوى البلاد ، وأهلك العباد ، وأخذ الأموال والأطفال والنساء ، وعبد الصليب في المساجد ، وعزل القرآن منها والصلاة ، وكان ذلك كله في ذممكم ، فإنكم أنتم الذين تصديتم لهذا كلّه ، وأكلتم

---

(١) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص١٣٦-١٣٧ والبداية والنهاية ، حـ١٢، ٣٣٥

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، حـ١٢، ص٣٣ والبداية والنهاية ، حـ١٢، ٣٣٥

(٣) العماد الاصفهاني : الفتح القسّي في الفتح القدسي، ص٣٣١-٣٣٤
ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص١١٥ ، وخطط المقريزي ، حـ٣ ، ص٨٧
ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ١٢، ص٣٤١-٣٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيت مال المسلمين لتدفعوا عنهم عدوّهم ، وتنصروا ضعيفهم ، فالمسلمون في سائر البلاد متعلقون بكمو السلام " (١).

وقد أراح الله المسلمين من شرّ الصليبيين فقد اختلف ملوكهم ، ورحلوا عن بيت المقدس وانتهى الأمر بينهم وبين صلاح الدين والمسلمين الى المهادنة ، وبقيت القدس في أيدى المسلمين .(٢).

وفي العام التالي ٥٨٩ هـ اصيب المسلمون بفقد هذا القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي(٣).فكانت وفاته ضربة قوية أصابت وحدة المسلمين في مصر والشام بأفدح الأضرار ، وأدت الى تراجع حركة الجهاد الإسلامية القوية التي قادها صلاح الدين ، فقد أدّت وفاته الى انقسام دولته بين أولاده ، كما أدّى الى اختلافهما وتحاربهما ، لابل ازدادت الخلافات والانقسامات بين أبناء البيت الأيوبي (٤).

كانت أوروبا متحمسة لإرسال حملة جديدة الى الشرق منذ وفاة صلاح الدين ، وكان على رأس المتحمسين لإرسال الجيوش هنري السادس بن فريدريك بربروسا امبراطور ألمانيا ، الذى دفع بجموع الصليبيين الألمان الى بلاد الشام منذ سنة ٥٩٣ هـ ، وقد هاجمت هذه القوة الصليبية بعض المسلمين في أطراف القدس ، فأسرع العادل الى صد هذا الاعتداء الصليبي ، وطلب النجدة من أمراء

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٢، ص٣٤٨-٣٤٩

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ١٢ ، ص٣٤٩-٣٥٠

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ٣ ، ص٣-٦

ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ١٢ ، ٢-١٠

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١٣ ، ص٢١-٢٧

المقريزي : السلوك ، حـ١ ، ق١ ، ص١٢٨، ١٥٤، ١٥٧، ٢١٤

ابن واصل : مفرّج الكروب ، حـ٣ ، ص٢٩، ٣١، ٤١، ٤٤، ٥٣، ٦١، ٦٢، ٦٨، ١١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بني أيّوب في الشام ومصر ، وشكل جيشاً موحداً أحاط بالصليبيين قرب عكا ، ثم دار قتال عنيف بين الطرفين انهزم فيه الصليبيون وانتصر المسلمون ، وقتلوا منهم جماعة ، وأسروا أخرى ، ورجعوا بغنائم كثيرة ، وزحف المسلمون الى يافا ، ودخلوها (١).

وفي هذا العام ٥٩٣ هـ هاجم الصليبيون بيروت ، واستولوا عليها (٢). وقد شجعهم هذا على التفكير في الاستيلاء على بيت المقدس ، فساروا نحوها الا أن المسلمين قد اوقفوهم عند حصن تبنين بسبب المقاومة العنيفة التي أبداها جنود العادل وأمراء الأيوبيين الذين انضموا اليه (٢) . و كان الأيوبيون يتناسون أحقادهم ويسارعون الى الوقوف متحدين في وجه عدوهم ساعة الخطر . فقد قال المقريزى عنهم : " وكاد هذا النزاع ان يؤثر في ملكهم ، ويضعف سلطانهم ، ويقلّل من هيبتهم أمام عدوهم ، لولا أن الله كان يمنّ عليهم بنسيان هذه الأحقاد ، حال ظهور الخطر الصليبي على البلاد " (٣).

لقد فشلت هذه الحملة الصليبية في تحقيق أهدافها بسبب اتحاد المسلمين واستمر العادل في مناوشة الصليبيين والدفاع عن المسلمين ، فقد خرق الصليبيون هدنتهم معه وخرجوا سنة ٦٠٠ هـ طالبين بيت المقدس ، وكان الملك العادل في دمشق ، فارسل الى سائر الممالك يطلب النجدات ، وجمع جيوشه والتقى الصليبيين قرب عكا ، فعسكر الفرنج ببرج عكا ، وأسروا من كان هناك ، وسبوا ونهبوا ، وانقضت السنة والأمر على ذلك (٤). استمرت الحال مدة أربعة عشر عاماً ، وغارات الفرنج لا تنقطع والملك العادل يواجههم ويدافعهم ، أدرك الصليبيون أنّه لا أمل لهم بالانتصار

---

(١) ابو شامة ، الروضتين ، ج٢ ، ٢٣٣

ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٣، ص٧٣

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٣ ، ص ٧٤

ابوشامة ، الروضتين ، جـ٢ ، ص٢٣٣

(٣) المقريزي ، السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٦٣

(٤) المقريزي ، السلوك ، جـ١ ، ق١ ، ص١٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على المسلمين في الشام الا باحتلال مصر ، فاتجهت قواتهم عبر البحر من عكا الى دمياط سنة ٦١٥ هـ (١)٠ ونزلوا على بر دمياط ، وعسكر الصليبيون على ضفة النيل الغربية في مواجهة المسلمين ، وكان المسلمون قد حصنوا المدينة وحفروا حولها خندقاً ، وسوراً ، وجدراناً ، وكان في مصر الملك الكامل بن العادل فسار بجيوشه الى دمياط ، ونزل جنوبي المدينة ، وشرع في مواجهة الصليبيين ٠ وقام والده الملك العادل بمهاجمة بعض أملاك الصليبيين في الشام ، وذلك من أجل تخفيف الضغط عن الكامل في مصر (٢)٠ وقدصبر المسلمون في مصر ، رغم قلة الأقوات ، وغلاء الأسعار وانقطاع الصلة بينهم وبين سلطانهم الملك الكامل ، فقد كانت أخبارهم لاتصل اليه الا بحيلة رجل من رجاله يسمى شمايل كان يخاطر بنفسه ، ويسبح في النيل ، فيدخل الى مدينة دمياط ، ويأتي بأخبار أهلها ، فاذا دخل اليها قوّى قلوب أهلها ، ووعدهم بقرب وصول النجدات (٣)٠

وأخيرا استطاع الفرنج الاستيلاء على دمياط في ٢٧ شعبان سنة ٦١٦ هـ ، فغدروا بالمسلمين ووضعوا السيف في رقاب أهلها فقتلوا كثيرا منهم (٤)٠ ثم زحفوا صوب القاهرة ليحتلوها فخرج الملك الكامل بجيوشه وما وصل اليه من نجدات اخوانه في الشام وقابلهم عند المنصورة ، وكان الوقت وقت فيضان النيل ، والسدود ممتلئة ، فأطلق المسلمون الماء على الأرض التي يتواجد فيها الصليبيون فأغرقوها بالماء ، بحيث لم يبق سوى ممر ضيّق يستطيعون العودة عن طريقه الى دمياط ، فوجدوه وقد أغلق بألفي فارس معهم آلاف من المرتزقة (٥)٠

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٢ ، ص٣٢٣

ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٣ ، ص٢٥٨

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٢ ، ص ٣٢٣-٣٢٥

(٣) المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق١ ، ص١٩٨

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٢ ، ص٣٢٦-٣٢٧

ابن واصل ، مفرج الكروب، حـ٤ ، ص٦١٦-٦١٧

(٥) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٢ ، ص٣٢٩-٣٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ساء موقف الصليبيين ، فأرسلوا الى السلطان الكامل طالبين الصلح وأن يرحلوا عن دمياط ومصر ، على ان يسمح لهم بالخروج من المأزق الذى وقعوا فيه . فوافق الملك الكامل على ذلك ، وطلب منهم رهائن من ملوكهم يبقون معه حتى يسلموا دمياط (١). وقد تم فعلا جلاء الصليبيين عن المدينة في ١٩ رجب سنة ٦١٨ هـ . وقد آثر الملك الكامل ان يرحلهم عن دمياط على ان يفنيهم لان ذلك ربما كان سبباً في قيام حملة صليبية أشد وأنكى (٢). وفي اليوم الذى تسلّم فيه المسلمون دمياط ، قدمت نجدة عظيمة من الصليبيين قيل انها الف مركب فعدّ تأخرهم الى مابعد تسلّمها صنعاً جميلاً من الله سبحانه وتعالى (٣).

بعد ان طرد الأيوبيون الصليبيين عن دمياط بتعاونهم ووحدتهم لم يحافظوا على هذا التعاون بينهم ، فسرعان ما دبّت الخلافات بينهم . و بدأ الخلاف بين السلطان الكامل وأخيه الملك المعظم منذ سنة ٦٢٠ هـ (٤)

وكان من جراء خلافات الأيوبيين ان عمل كل منهم على الاستعانة بأعداء المسلمين فاستنجد الملك الكامل بالإمبراطور فردريك الثاني ضد أخيه الملك المعظم ، وتعهّد له باعطائه القدس(٥).

---

(١) ابوشامة ، ذيل الروضتين ، ص١٣٠، وابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٤ ، ٦١٧
ابن كثير ، البداية والنهاية ، ح١٣ ، ص٨٠-٨٣.

(٢) د. عبداللطيف حمزه ، أدب الحروب الصليبيه ، ص١٥١

(٣) المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق١، ص٣٠٩.

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٢ ، ص٤٦٣
وأبو شامة ، ذيل الروضتين ، ص١٣٣-١٣٤
والمقريزي ، السلوك ، ح١ ، ص٢١٤

(٥) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٤ ، ص٢٣٤-٢٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استجاب الامبراطور فردريك الثاني لنداء الملك الكامل ، وجاء الى الشرق على رأس قوات قليلة عرفت باسم الحملة السادسة ، وحين وصل الإمبراطور فردريك الثاني كان سبب استدعائه قد زال، فقد مات الملك المعظم في سنة ٦٢٤ هـ واستقر الوضع بين أبناء البيت الايوبي (١).

حاول الملك الكامل التنكر لفردريك بما وعده ، عندها لجأ فردريك الى الحيلة والاستعطاف فأرسل الى الملك الكامل رسولين محملين بالهدايا النفيسة مطالبين الكامل بتنفيذ ما وعد به من تسليم بيت المقدس . وقد انتهت الاتصالات بين الاثنين الى عقد اتفاق يافا والذى كان من شروطه ان تسلّم المدينة المقدسة للصليبيين على ماهي عليه من الخراب، وأن لايقام فيها حصون أو قلاع ، وتبقى سائر القرى حولها للمسلمين ، وان تبقى منطقة المسجد الاقصى في أيدى المسلمين على ان لايحمل المسلمون فيها سلاحاً ، وأن يطلق الملك الكامل سراح من عنده من الأسرى ، وان يأخذ الصليبيون بيت لحم والناصرة ، وتبنين ، وصيدا ، وان يتعهد الإمبراطور الصليبي بمساعدة الملك الكامل ضد جميع خصومه ، وكانت مدة هذه الهدنة عشر سنين (٢). وقد أثارت هذه الهدنة سخط المسلمين على الملك الكامل ، واعتبروها وصمة في جبينه وحرض الملك الناصر داود الناس ضد ابن عمه الكامل وأمر الخطباء بالتشهير به . وفعلا قام الخطباء بالحث على الجهاد ، وذكر فضائل القدس والأقصى ونعتوا الملك الكامل بالخيانة والتقصير (٣).

دخل فردريك مدينة القدس عقب صلحه مع الملك الكامل ، وزار الأماكن المقدسة كالمسجد الأقصى وقبة الصخرة ، وكنيسة القيامة ، وتوّج نفسه بيده بعد ان رفض رجال الكنيسة تتويجه وأعلن للمسيحيين انه يرفض ان يسيء احد منهم للاسلام ، أو مقدسات المسلمين (٤). لم يتقيد الصليبيون

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١٢ ، ص٤٧١ و ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٤، ص٢٣٤

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٤ ، ص٦١٦-٦١٨ و ابن الأثير ، الكامل ، حـ ، ص٤٨٢-٤٨٤
ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٣ ، ص ٨٣-٨٤

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٤ ، ص٢٤١-٢٤٣
المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ص٢٣٠-٢٣١

(٤) المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ص٢٣٠-٢٣١
د. عبداللطيف حمزة ، أدب الحروب الصليبية ، ١٥٣-١٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصليبيون بنصوص معاهدتهم مع الملك الكامل ، فشرعوا في تحصين المدينة فعمّروا أسوارها ، وبنو برجاً ، وقلعةً فيها . استمرت المدينة المقدسة في أيديهم مايزيد على عشر سنين كان الأيوبيون مشغولين بخلافاتهم ، وانقساماتهم ، لاهين عن المدينة المقدسة (١).

وفي سنة ٦٣٧ هـ نهض الملك الناصر داود لتحرير بيت المقدس ، فحاصر المدينة ونازل القلعة وهدمها ، ورمى البرج بالمنجنيق وهدمه ، وأخرج الفرنج من المدينة ، وتسلّمها بعد حصار دام سبعة وعشرين يوما (٢).

أدّت استعادة المسلمين لبيت المقدس الى قيام حملة صليبية جديدة استهدفت هذه المرّة احتلال مصر ، لأن الصليبيين أدركوا ان الخطوة الأولى لاسترجاع بيت المقدس يجب ان تكون احتلال مصر ، وقاد هذه الحملة ملك فرنسا لويس التاسع ، ووصلت الى مصر ونزلت جيوشه في دمياط فوجدوها خالية من السكان والمدافعين ، فاستولوا عليها ، وغنموا ما وجدوه فيها من الأسلحة العظيمة ، والأقوات الكثيرة ، والأموال والأمتعة (٣). ودارت بعد ذلك معارك بين المسلمين والصليبيين في المنصورة ، ثم زحف الصليبيون نحو القاهرة ،و مات الملك الصالح نجم الدين أيوب قبل انتهاء المعركه مع الصليبيين ، فكتمت زوجته شجة الدر خبر موته خوفا من الفرنج ، وخوفاً ان تضعف معنويات المسلمين ، واستدعت ولده تورانشاه من حصن كيفا فمرّ في طريقه على دمشق ، وتسلطن بها ، ثم سار الى مصر ، وتولى مقاليد السلطة . ثم واصل تورانشاه قتال الصليبيين ، فدارت معركة عظيمة في المنصورة ، انتصر فيها المسلمون ، وانهزم فيها الصليبيون ، وتشتّت شمل جيشهم ، وأسر ملكهم وقدرت خسائرهم بثلاثين ألفا ، ولم تدم فترة حكم تورانشاه طويلا ، فقد ثار عليه مماليكه بعد

---

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٤، ص٢٥٧
اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ١ ، ١٣٨

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٥ ، ص٢٤٧
اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص١٤١

(٣) المقريزي ، الخطط ، حـ١ ، ٤١١-٤١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبعين يوماً وقتلوه ، وبموته انقضتدولة بني أيوب (١).

كان انتصار المسلمين في معركة المنصورة ايذانا ببدء مرحلة ضعف الممالك الصليبية في الشرق ، حيث انقطعت عنها النجدات من الغرب ، وصار زوال هذهالممالك أمرا محتما . وتولى المماليك مهمة استكمال تحرير أرض المسلمين في مصر والشام منالصليبيين ، كما وقفوا أيضاً في وجه الخطر التتري الذى هدّد أمن المسلمين وسلامتهم فيكل مكان، فقاتل قطز التتار في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ وانتصر عليهم (٢).

واستولى بيبرس علىالسلطة وواصل القتال ضد الصليبيين ، وحرر كثيراً من مدن المسلمين. ففي سنة ٦٦٣ هـ استولى على قيسارية وأرسوف (٣).وفي السنة التالية ٦٦٤ هـ استولى على صفد(٤). وفيسنة ٦٦٦ هـ استولى على يافا وانطاكية(٥).

وواصل قلاوون الجهاد ضد الصليبيين وتحرير الارض الاسلامية منهم ، فاستولى على طرابلس سنة ٦٦٨ هـ ، وفي العام التالي عاجلتهمنيته ، فجاء بعده ولده الأشرف خليل بن قلاوون ، وواصل مهمة تحرير الارض الإسلامية وطرد المحتلين ، فاستولى سنة ٦٩٠ هـ على عكا ، وهي آخر معاقل الصليبيين القوية ، ولما سقطت عكا استسلمت له بعض الحصون المجاوره ، وانتهى وجود الامارات الصليبية على الأرض الاسلامية ، وزالت دولتهم . (٦)

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٣ ، ص١٧٧-١٧٨

- المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق١ ، ص ٢٣٠-٢٣١

- المقريزي ، الخطط ، حـ٣ ، ص٩٠

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٣ ، ٢٢٠-٢٢٣. والنجوم الزاهرة ، حـ٧ ، ٧٩

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٣، ص ٢٤٤، ٢٤٥

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٣، ص ٢٤٦، ٢٤٧

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٣ ، ص ٢٥١ ،

(٦) ابن كثير ، البدايه والنهاية ، حـ١٣ ، ص٣٢٠-٣٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

****

الجهاد في أدب الرسائل

****

في القرنين السادس والسابع

****

في مصر والشام

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ترجمة أحلام المسلمين باستعادة بيت المقدس

تدلّ رسائل الجهاد في عصر الحروب الصليبية على انها شاركت أدب ذلك العصر في حمل رسالة الجهاد ، ووصف أحوال المسلمين، وأكدت هذه الرسائل انّ الجهاد كان هدف المسلمين الأكبر . لقد ترجمت رسائل ذلك العصر مشاعر المسلمين نحو المدينة المقدسة ، حيث إنّ لهذه المدينة مكانة كبيرة في نفوس المسلمين ، ولذا كان تخليصها من الصليبيين حلماً من أحلامهم ، وأمنية من أمانيهم . جاء في رسالة أرسلها نورالدين محمود الى الخليفة العباسي ، المستضيء بالله ، في بغداد : " ... وقسطنطينية والقدس يجريان الى أمد الفتوح في مضمار المنافسة ، وكلاهما في وحشة ليل الظلام المدلهم على انتظار صباح المؤانسة ، والله تعالى بكرمه ، يدني قطاف الفتحين لأهل الاسلام يوفق الخادم لحيازة مرامي الامام ... " (١).

وتمنّى نور الدين - في رسالة أخرى للخليفة - ان يمكّنه الله من تحقيق أماني المسلمين باسترجاع الأقصى ، وتحريره من الصليبيين في وقت قريب، كما تمنى ان يحرّر كلّ مدن المسلمين . وقال نورالدين في هذه الرسالة : " ... ونسأل الله استدناء قواصي المنى ، واقصاء عبدة الصليب الأنجاس من المسجد الأقصى . وأن يجعل فتح بيت المقدس مفتتح مراده ، ومقتدح زناده ، ومقترحة في جهاده ، وأن يملكه الساحل بجميع بلاده ... " (٢).

وأكد صلاح الدين في غير مناسبة ان الواجب يدعوه ويدعو المسلمين الى الجهاد، لتخليص بيت المقدس من الصليبيين ، والا استحقوا غضب الله ، وكانوا آثمين . وجاء في رسالة الى الخليفة العباسي : " ... وعرفنا أنّ البيت المقدس ان لم تتيسر الأسباب لفتحه ، وأمر الكفر ان لم نجرد العزم لقلعه ، والا ثبتت عروقه ، واتسعت على المسلمين خروقه ، وكانت الحجة لله قائمة ، وهم القادرين بالقعود آثمة ... " .(٣)

---

(١) ابوشامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق٢ ، ص٥٤٧

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، حـ١ ، ص٢١٥

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد ان استولى صلاح الدين على كثير من مدن الساحل عقب انتصاره في حطين أرسل الى الخليفة العباسي رسالة عدد فيها انتصاراته وفتوحه ، وأشار فيها الى أن الوقت قد حان لتحرير القدس ، وجاء في هذه الرسالة : " ... وما يتأخر النهوض الى القدس ، فهذا أوان فتحه ، ولقد دام عليه ليل الضلال ، وقد آن ان يسفر فيه الهدى عن صبحه ... " (١).

الدعوة للوحدة وذم التخاذل والمتخاذلين المهادنين للفرنج والمتعاونين معهم

ساء السلطان صلاح الدين ان يرى اختلاف المسلمين بعد وفاة نور الدين ، وساءه أن يرى بعض قادة دمشق يهادنون الصليبيين ، ويدفعون لهم الأموال ، ويطلقون أسرى كانوا بيد المسلمين ، كل ذلك لأنهم ضعفوا عن مقاومة الصليبيين الذين اغتنموا فرصة موت نور الدين ، واختلاف امراء المسلمين حول ولد الملك الصالح اسماعيل ، فهاجموا بانياس ، وهددوا بالاستيلاء على دمشق ، واجبروا أمراء دمشق على مصالحتهم (٢). كان صلاح الدين في مصر يرقب حال المسلمين ، فلما سمع بخبر هذا الصلح ، أرسل الى قاضي قضاة دمشق شرف الدين بن أبي عصرون (٣)، رسالة ، من انشاء القاضي

---

(١) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٨٩

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص٤٠٨-٤٠٩
أبو شامة ، الروضتين ، ق١ ، حـ٢، ٥٩٤

(٣) شرف الدين بن ابي عصرون : عبدالله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون ، أحد أئمة الشافعية أصله من الموصل ، ولي قضاء سنجار ، ودرس في المدرسة الغزالية ايام نور الدين ، وانتقل الى حلب ، وبنى له نور الدين مدرسة فيها ، وأخرى في حمص . قدم دمشق فيزمن صلاح الدين وولي قضاءها سنة ٥٧٣ هـ . توفي سنة ٥٨٥ هـ .

- ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٢ ، ص٣٣٣-٣٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفاضل ، أبدى فيها ضجره ، وأسفه ، وعدم رضاه عن هذا الصلح الذي يغضب الله ورسوله والصالحين ويضعف المسلمين ، ويبدد أموالهم التي كان يجب أن تصرف في الجهاد في سبيل الله ، وأن تبذل في مصالح المسلمين ـ وجاء في هذه الرسالة : " ورد الخبر بصلح بين الفرنج والدمشقيين وبقية بلاد المسلمين مادخلت في العقد ، ولا انتظمت في سلك هذا القصد ـ والعدو لهما واحد ، وصرف مال الله الذى أعدّ لمغنم الطاعة ، ومصلحة الجماعة في هذه المعصية المغضبة لله ولرسوله ولصالحي الأُمة ...." .

وحذر صلاح الدين أهل دمشق من العدو الصليبي ، ودعاهم الى رفض الصلح وقال : " ... وان العدو طالب لايغفل ، وجادّ لاينكل ، وليث لايضيع الفرصة ، ومجدّ لايميل الى الرخصة ، فان كانت الجماعة ساخطين ، فيظهروا أُمارات السخط والتغيير ..." . وأبدى صلاح الدين في نهاية رسالته حرصه على المسلمين ، وغيرته عليهم ، وأشار الى استعداده لقتال الصليبيين ، وقال : " فان كانت الجماعة ساخطين فيظهروا امارات السخط والتغيير ... لاسيما ونحن نغار لله ونغير ، ونقصد للمسلمين ما نجمع به صلاح الرأى وصواب التدبير . وقد منعنا عساكرنا ان تفترق خوفاً ان يقصد العدو ناحية حارم بالمال الذى قويت به قوته ، وثرت به ثروته ، وانبسطت به خطوته ..." . وأكّد صلاح الدين ان العدو لايمكنه ان يهاجم المسلمين مادام يعرف انهم متحدون وقال : " ... فانه ما دام يعلم انا مجتمعون ، وعلى طلبه مجمعون ، لايمكنه ان يزايل مراكزه ، ولا يبادر مناهزه"(١).

وذمّ صلاح الدين أمراء الموصل وحلب الذين هادنوا الصليبيين ، واستعانوا بهم ، وأكد حرصه على مصلحة المسلمين ، وقال في رسالة الى الخليفة العباسي : " ... وقد علم الله انّا لهدنتهم كارهون ، وفي مصلحة أهل الإسلام راغبون ، ولكنّا بلينا بقوم كالفراش أو أخف عقولا ، وكالأنعام أو أضلّ سبيلا ، ان بني معهم فعلى غير أساس ، وان عدد الغدر منهم فيهم أكثر من الأنفاس..."(٢) . ودعا صلاح الدين الى وحدة المسلمين ، والى جهاد اعداء الدين ، وقال في رسالة الى الخليفة

---

(١) ابوشامة الروضتين ، حـ١ ، ق٢ ، ص٥٩٤-٥٩٥

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشرح فيها خلافاته مع أمراء الموصل وحلب : " ... وما يريد الخادم الا من تكون عليه يدالله وهي الجماعة ، ولا يؤثر الا ما يتقرب به اليه وهو الطاعة ، ولا يتوخى الا ما تقوم بالحجة اليوم ويوم تقوم الساعة ." (١).

ان الرسالة السابقة توضح لنا اضطراب أحوال المسلمين السياسية بعد وفاة نور الدين، وتعكس قلق صلاح وخوفه على بلاد الإسلام . وهي ترسم الطريق الصحيح لتخليص المسلمين من خوفهم واضطرابهم ومن المعروف ان صلاح الدين قدم الى دمشق لإنقاذ ملك نور الدين ثم شرع في الاستيلاء على مدن الشام الواحدة بعد الأخرى حتى استولى عليها جميعها (٢). ثم شرع في قتال الصليبيين، وحقق انتصارات عظيمة عليهم ، وأرسل رسائل البشرى التي تهنأ المسلمين بالفتح وتصف الانتصار .

التهاني بالفتوح والانتصارات

كان للإنتصارات التي حققها المسلمون على الصليبيين رنّة فرح في قلوب المسلمين ، فتبارت أقلام الكتاب في تدبيج الرسائل التي تهنّيء المسلمين من خلفاء وأمراء ، وأكابر ، وتصف لهم عظمة الفتح وجلاله.

كثرت رسائل التهاني بالفتوح وتمجيد الانتصارات حتى قيل : إنّ العماد الأصفهاني قد أنشأ سبعين كتاب بشارة بمناسبة فتح بيت المقدس وحدها (٣). ويبدو أنّ كثيراً من هذه الرسائل مازالت مجهولة ، فانّ ما وصل من رسائل وصف الفتوح والتهاني بها قليل بالنظر الى ما قيل عن العماد .

لقد كانت المعاني التي تحدث الكتّاب عنها في رسائلهم مستمدة من مبادىء الإسلام ومفهومه للجهاد : فالنصر في الإسلام نعمة من الله ، يجب الإكثار من ذكرها والتحدث عنها استجابة

---

(١) ابوشامة الروضتين ، ج٢ ، ص٢٤

(٢) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٥٠-٥٩، أبوشامة ، الروضتين، جـ١ ، ق٢، ص٦٠٧-٦١٦

(٣) ابوشامة ، الروضتين ، ج٢ ، ص٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقوله تعالى : " وأمّا بنعمة ربك فحدّث " (١). وهي نعمة تستحق الشكر والعرفان له عز وجل. وقد اكثر كتاب الرسائل في رسائلهم من ترديد هذا المعنى ، من هذا ما قاله القاضي الفاضل عن فتح بيت المقدس : " ... والعنوان لكتاب وصف هذه النعمة ، فانها بحر للأقلام فيه سبح طويل ، ولطف الحق للشكر فيه عبء ثقيل وبشرى للخواطر في شرحها مآرب ، ويسرى للأسرار في اظهارها مسارب، ولله في اعادة شكره رضا ، وللنعمة به دوام لايقال معه هذا مضى ..." (٢).

ومن معاني الجهاد الثابتة في الإسلام معنى مشاركة الملائكة للمجاهدين في المعارك حين يصدقو الله في جهادهم . فقد جاء في كتابه العزيز : " اذ يوحي ربك للملائكة أني معكم فثبتوا اللذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب " (٣).

وقال العماد في واحدة من رسائله : " ... وأعان الله بانزال الملائكة والروح ، واتى بهذا النصر الممنوح . (٤) ـ وقال أيضا " ... نصرنا الله بملائكته المسوّمين ..." (٥).

أمّا هدف الجهادفي الإسلام فهو الانتصار للدين واعلائه ، وهذا ما أوضحه الكتّاب في رسائلهم يقول القاضي الفاضل عن هدف صلاح الدين من قتال الصليبيين : " ... وكان الخادم لايسعى سعيه لهذه العظمى ، ولا يقاسي تلك البؤسى ، ولا يناجز من استمطله في حربه .... الا لتكون الكلمة مجموعة والدعوة الى سامعها مرفوعة ، فتكون كلمة اللهي العليا ..." (٦).

وأكثر الكتّاب في رسائلهم من التحدث عن مظاهر انتصار الدين ، وانهزام الكفار والملحدين فأكثروا من الإشارة الى عودة الأذان الى البلاد المفتوحة واقامة الصلاة ، وجلوس الفقهاء والعلماء

---

(١) سورة الضحى ، آيه ١١ .

(٢) القلقشندي ، حـ٦ ، ص٤٩٧

(٣) سورة الانفال ، آيه ١٢

(٤) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢، ص٩٧

(٥) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢، ص٩٩

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٤٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المساجد للفتوى والتدريس ، وارتفاع أصوات الخطباء على المنابر . وأشار الكتاب في رسائلهم الى اختفاء أصوات النواقيس والى خروج الرهبان والقسوس واختفائهم من المدن الإسلامية المفتوحة، وقارن الكتاب بين حال المدن المفتوحة قبل الفتح وبعده (١).

قال القاضي الفاضل : " ... وقد بدّل الكفر بالإيمان ، والناقوس بالأذان وجلس العلماء والفقهاء في مجالس الرهبان ...." (٢).

وقال أيضا : " وأقيمت الخمس وكان التثليث يقعدها ، وجهرت الألسنة بالله أكبر وكان سحر الكفر يعقدها ...(٣).

وقال شهاب الدين محمود : " ... والسعادة بدّلت بيعه مساجد ، ومحاريبه قبلة ..."(٤). ـ وعبّر الكتاب عن فرحتهم بهذه الانتصارات ، ووصفوها بأنها تجديد للإسلام من بعد غربة . قال العماد : " ... الحمدلله الذي أعاد الاسلام جديداً ثوبه ، مبيضّا نصره ..."(٥).

وقرن الكتاب فتوح هذا العصر بفتوح النبي وصحابته وانتصاراتهم لاسيما معركة بدر : يقول ابن الأثير عن نصر حطين : " ... فعند ذلك أيّدالله الإسلام بنصره ، وأعاد اليهم يوم بدره ..."(٦). ـ وقال العماد عن فتح القدس : " ... ولقد منّا عليك مرّة أخرى ، فالأولى في عصر النبي والصحابة ، والأخرى هذه التي عتق فيها من ذلّ الكآبة ..." (٧). ومثل هذه المعاني وردت في رسائل أخرى (٨).

---

(١) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢، ص٩٩-١٠١
اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٥٣

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٩٩

(٣) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٠١

(٤) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ٢٥٣

(٥) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٢٠٣

(٦) ديوان رسائل ابن الاثير ، حـ١ ، ص٦٨

(٧) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ٢٠٤

(٨) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٤٧، ٢٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصف المعارك والانتصارات

واكب نثر الرسائل انتصارات المسلمين على أعدائهم ووصفها وبشّر بها . ورسم الكتّاب في رسائلهم صورة وافية لمعارك المسلمين مع أعدائهم ، وأوردوا كثيراً من دقائق تلك المعارك وتفاصيلها ، وحدّدوا زمانها ومكانها ، وبينوا ما أسفرت عنه تلك المعارك من نتائج ، وما وقع في صفوف الأعداء من خسائر .

ومن الانتصارات والفتوح التي وصفتها رسائل الجهاد : معركة حطين (١)، وفتح بيت المقدس(٢) وأرسوف (٣) ، وصفد (٤)، والشقيف (٥)، والمرقب (٦)، وعكا (٧)، وغيرها .ولم ينس الكتاب وصف بعض معارك المسلمين مع أعدائهم في البحر ، فقد أنشأ ابن الأثير رسالة تصف قتال الأسطول على ثغر عكا ، ووصف معركة بحرية على ذلك الثغر (٨) . حدّدت بعض رسائل الجهاد أزمان المعارك وتواريخ الفتوح ، بالسنة ، وبالشهر وربما باليوم والساعة ، ومن ذلك معركة في غزه بين صلاح الدين والصليبيين سنة ٥٦٦ هـ (٩)، ومعركة المنصورة

---

(١) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٨٢-٨٣

(٢) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٩٦-٩٧ - والقلقشندي، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٤٩٦-٥٠٤

(٣) اليونيني، ذيل مرآة الزمان ، حـ٢ ، ص٣١٩-٣٢٠

(٤) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٢ ، ص٣٣٨-٣٤٣

(٥) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٢ ، ص٣٧٧-٣٨١

(٦) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٤١-٢٤٤

(٧) المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق٣ ، ص١٠٠٢-١٠٠٤

(٨) رسائل ابن الأثير ، حـ١ ، ص٧٢-٧٣

(٩) ابوشامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق٢ ، ص٤٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سنة ٦٤٨(١)، وفتح أرسوف (٢)، وفتح صفد (٣)، والاستيلاء على حصن الشقيف(٤) ، وفتح عكّا (٥).

وصف القتال:

ووصفت هذه الرسائل المعركة وصفا تفصيلياً ، وتتبعت خطواتها ومراحلها ، وأشارت الى نهايتها ونتائجها . ومن هذه الرسائل رسالة تصف استيلاء المسلمين على صفد سنة ٦٦٤ هـ . فبعد أن بين كاتبها كمال الدين بن العجمي أسباب اختيار المسلمين لفتح صفد ، وصف جنود المسلمين وعسكره ، ثم شرع في التحدث عن المعركة فحين وصل المسلمون الى صفد ، وشاهدهم الصليبيون داخلهم الرعب والخوف من هذه العساكر الكثيرة والجيوش الجرارة ، فانهزموا وتحصّنوا بحصونهم ، يقول كاتب الرسالة : " فحين شاهد أعداء الله آساد اللفتصول من رماحها باساورها .... وانها اقبلت نحوهم بجحافل تضيّق رحب الفضاء ... ولوا مدبرين ، وأدبروا على أعقابهم ناكصين ، ولجأوا الى معقلهم معتقلين لا متعقّلين ..." .

وكانت الخطوات التالية في هذه المعركة هي حصار الحصن والتضييق على من بداخله ، فكان حصاراً شديداً كما صوره الكاتب ، فقد أمطر المسلمون الحصن بوابل من سهامهم وضايقوا الحصن حتى لو أراد النسيم ان يدخل اليه لما استطاع . لقد كانت معركة حامية في ذلك اليوم ، ولذا لم يكتف المسلمون برشق الحصن بالسهام ، فقد قذفوه بحجارة المجانيق الثقيلة التي تهدم الحصون المنيعة، ولم يكتفوا بذلك فبعد ان هدمت حجارة المنجنيق الحصن ، شرع الحجارون في فتح مسارب الى داخل

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، حـ٦، ص٣٦٧، والمقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق٢، ص٣٥٦-٣٥٧ - والخطط ، حـ١ ، ص٤١٦.

(٢) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٢ ، ص٣١٩-٣٢٠

(٣) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٢ ، ص٣٤٣

(٤) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٢ ، ص٣٧٨

(٥) المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق٣ ، ص١٠٠٢-١٠٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحصن ، وأشعلوا فيه النيران : يقول ابن العجمي : " ... فعند ذلك زحفنا اليه من كل جانب حتى صرنا كالنطاق بخصره .... وأمطرنا عليه من السهام وبلاً سحبت ذيوله سحبه المتراكمة ... وضايقناها حتى لو قصد وفد النسيم وصولاً اليه لما تخلّص .... ثم وكلّنا به من المجانيق كلّ عالي الضوارب ... ترفع لمدورها الستائر فتدخل[1] حجاره بغير استئذان ... فلم يزل يصدع بثبات أركانه حتى هدمها ... وفي ضمن ذلك لصق الحجارون بجداره ، وتعلقوا باذيال أسواره ففتحوا أسرابا ، وأججوها جحيما يستعر جمرها التهاباً ... "[1].

وعلى الرغم من شدّة هذه المعركة ، فانّ الصليبيين قاتلوا قتالاً شديداً ، وهذا يجعل النصر أكثر اهمية وعظمة . يقول الكاتب " ... ومع ذلك فقاتلوا قتال مستقتل لا يرى من الموت بدّا ..." . وقاتلهم والمسلمون ، وصبروا على شدائد المعركة الى أن أحرزوا التفوق والنصر على الأعداء " ... فاستحلو وجه الموت على جهامته جميلاً ، فعند ذلك خاب ظن أعداء الله وسقط في أيديهم ، وصار رجاء السلامة أقصى تمنيهم ..." (١). عند ذلك نزلوا من الحصن وطلبوا الأمان من السلطان ، فأمنهم واعتق أرواحهم وتسلم الحصن وقت صلاة الجمعة ثامن عشر شوال .

نظام التعبئة في جيش المسلمين:

أشارت بعض هذه الرسائل في وصفها للمعارك الى أسلوب القتال ونظام التعبئة في الجيش الإسلامي كما أشارت الى أساليب القتال التي اتبعها المسلمون في قتال أعدائهم . ويبدو ان نظام التعبئة عند المسلمين كان يقوم على مبدأ تقسيم الجيش الى خمسة أقسام هي : الميمنة ، والميسرة والقلب والجناحان . وهذا النظام عرفه المسلمون منذ زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وربما قبل ذلك . ويسمى هذا النظام بنظام الصف المستوي (٢). وقسّم صلاح الدين قواته في معركة حطين(٣).

---

(١) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان، حـ٢ ، ص٣٤٠-٣٤٢

(٢) مجلة المورد عدد١٢ ، ص٧-١٣ ، وعدد خاص بالفكر العسكري عند العرب

(٣) حطين : موضع بين طبرية وعكا ، وبينه وبين طبرية فرسخين ، وقد حدثت فيه معركة مشهورة بين المسلمين والصليبيين عرفت باسمه .

- ياقوت ، معجم البلدان ، حـ٢ ، ص٢٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفق هذا النظام . يقول عبدالله بن احمد المقدسي في وصفه لنظام جيش صلاح الدين في المعركة : " ... فعرض جنده ورتبهم ، وجعل تقي الدين في الميمنة (١)، ومظفر الدين في الميسرة (٢)، وكان هو في القلب ، وجعل بقية العسكر في الجناحين... " (٣).

المدينة المفتوحة :

تحدّث كتاب الرسائل في رسائلهم عن المدن المفتوحة قبل الفتح وبعده ، فوصفوها بالحصانة والمنعة حتى ان احدا لم يستطع فتحها من قبل . وهي فضلا عما سبق مدينة تجمّع فيها أشدّ جنود الصليبيين قوة وفتكا ، ويقول القاضي الفاضل عن غزّة : " ... وهي على ما علم بكرا لم تفترعها الحوادث ، وحصاناً لم يطمثها كل طامث ، وهي معقل الديوية الذين هم جمرة الشرك ، وداهية الافك ..." (٤). وهذا الوصف يعني ان فتحها امراً عظيماً ، من اجله بذل المسلمون جهوداً كبيرة حتى فتحوها واستولوا عليها ، وهذا يعني ايضا ان جيوش المسلمين التي استولت عليها كانت تتميز بالقوة والشجاعة .

---

(١) تقي الدين : عمر بن شاهنشاه ، هو ابن اخت صلاح الدين ومن رجاله الذين اعتمد عليهم في اقامة دولته في مصر والشام ، ناب عن السلطان في مصر سنة ٥٧٩ هـ . اختلف مع صلاح الدين وحاول السير الى المغرب ، فترضاه السلطان ، وولاه حماة سنة ٦٢٨هـ.

- ابن خلكان ، وفيات الأعيان / أبو شامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق٢ ، ص٤٨٧

ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٢ ، ص٣٤٦

(٢) مظفر الدين : هو الملك المظفر ابو سعيد كوكبري ، ابن زين الدين علي بن تبكتين ، أحد الأجواد والسادات والكبراء والملوك الأمجاد . عمّر الجامع المظفري بسفح قاسيون كان شهماً ، شجاعاً ، فاتكاً ، عاقلاً ، عالماً ، عادلاً ، تقيّا ، أنفق أموالاً كثيرة في فك اسرى المسلمين حتى قيل إنّه فك أسر ستين الف أسير . كانت زوجته خاتون بنت أيوب أخت صلاح الدين .

- ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٣ ، ص١٣٧

(٣) ابو شامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٨٣

(٤) ابو شامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق٢، ٤٨٩-٤٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقدّم نفر الرسائل المبررات والأسباب التي جعلت المسلمين يقدّمون فتح هذه المدينة أو تلك على غيرها من مدن الصليبيين ، ومن هذه الأسباب : عظم ضررها على المسلمين، وكثرة اعتداءاتها على بلاد الاسلام ، وكونها مركزاً لقوة الصليبيين ، ومعقلاً من معاقله الحصينة التي تجمّع فيها رجاله وسلاحه . يقول ابن العجمي : " ... واعتقدنا ذلك بما رأيناه أولى بالتقديم وأحرى، وتبيّناه أشدّ وطأة على الإسلام واعظم ضرا ، وهي صفد التي باء باثمها حاملها على النصرانية، ومسلطها بالنكاية على البلاد الاسلامية ، حتى جعلها للشرك مأسدة آساده ، ومراد مراده، ومجرّ رماحه ، ومجرى جياده ، كم استباح بسببها للإسلام من حمى ، وكم استرق الكفار بواسطتها مسلماً من الأحرار ومسلما، وكم تسرّب منها جيش الفرنج الى بلاد المسلمين فحازوا مغنماً ، وقوضوا معلما ... " (١).

ان الأسباب السابقة تعجل أمر الإسراع الى فتحها انتصاراً للاسلام والمسلمين، حتى اذا فتحها المسلمون عاقبوها على سوء ما صنعت ، فاحرقوها بما فيها ، ودمروها على من فيها ، حتى صارت أطلالا خاوية ، عبرة للمعتبر وذكرى للذاكر تسرّ المسلمين تسوء الكافرين . ويبدو ان الكتاب قد أرادوا بذلك رفع الروح المعنوية للمسلمين والتأكيد على مبدأ سيطرة المسلمين على أعدائهم سيطرة تامة ، حتى انه لن يقوى مرّة أخرى على محاربتهم والثأر لما أصابه . يقول القاضي الفاضل عن غزّة بعد احتلالها : " ... وفي الحال أمرنا بالنار ان تشتعل فيها وبالهدم ان ينقل فيها معاوله وينتقل فهل ترى لهم من باقية ، أو تنظر الا طلوعها على عروشها خاوية ، وعراصًا من سكانها خالية ، وقد بقيت عبرة للعابر ، وذكرى للذاكر ، وموعظة سارة للمسلم مرغمة للكافر ..." (٢). وقال

---

(١) ذيل مرآة الزمان ، حـ ٢ ، ص ٣٤٠

(٢) أبوشامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق٢ ، ص٤٨٩ - ٤٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتح الدين ابن القيسراني (١) في رسالة يصف فيها استيلاء المسلمين على أرسوف (٢) : سنة ٦٦٣هـ : " ... وأضرمنا بها النيران ، فعجّل الله لهم بها في الدنيا قبل الاخرة الإحراق ، ..." (٣).

ومن ناحية اخرى فقد أراد المسلمون تدمير المدن والقضاء على كل مظاهر الحياة فيها ، لإيقاع الرعب في نفوس الصليبيين وتأديبهم ، ولم يترددوا في ارسال الرسائل الى الصليبيين ، التي فصلت لهم ما أحدثه المسلمون من الخراب والإحراق والتدمير الشامل لكافة معالم المدنية ، فضلا عما قام به جنود المسلين من نهب وسبي واسترقاق لأهل المدينة المفتوحة (٤).

عساكر المسلمين في المعركة

وتحدثت الرسائل في اثناء وصفها للمعارك عن عساكر المسلمين ورسم الكتّاب صورة مشرّفة لجنود المسلمين في انتصاراتهم على الصليبيين ، فوصفوهم بصفات كثيرة منها : الاستعداد للجهاد والتأهب له ، واستعدادهم لبذل أرواحهم ونفوسهم في سبيل الله ، والسهر الدائم على مصالح المسلمين

---

(١) فتح الدين محمد بن القاضي محي الدين عبدالله بن نشوان بن عبدالظاهر الجذامي الرومي ، المصري ، ولد في القاهرة سنة ٦٣٨ هـ . سمع الحديث وتفقّه بالفقه ، واشتغل بالإنشاء ، فمهر فيه . كان له مشاركة في إدارة الدولة ، وفتح الدين هذا أول من سُمّي بكاتب سر السلطان . مات في رمضان سنة ٦٩١ هـ قبل والده .

- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ ٨ ، ص٣٥
  السيوطي ، حسن المحاضرة ، حـ١ ، ص٢٤٥

(٢) أرسوف : مدينة في فلسطين ، على ساحل البحر الأبيض المتوسط بين قيسارية ويافا .

- ياقوت ، معجم البلدان ، حـ١ ، ص١٥١

(٣) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ح ٢ ، ص ٣١٩

(٤) أنظر رسالة محي الدين بن عبدالظاهر الى ملك انطاكية الصليبي في

- القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ٨ ، ص٢٩٩ - ٣٠٢
- المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق٣ ، ص٩٦٦-٩٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والحذر من العدو والتيقظ له ، والتّصبر على شدّة القتال وأهواله ، وحب الاستشهاد في سبيل الله . ووصفوا هذه الجيوش بالكثرة ، والبسالة .

وصمت الكتاب عن التحدث عن جنود المسلمين في الهزائم ، كما صمتوا عن التحدث عن الهزائم ذاتها ، واكتفوا بالإشارة اليها ، والتقليل من شأنها ، وعدّوها قضاء وقدراً ، ليس للمسلمين قدرة على دفعه أو منعه (١).

الاستعداد للجهاد والتأهب له : من الصفات التي أبرزها أدب الرسائل في حديثه عن المجاهدين المسلمين صفة الإعداد للمعركة ، وهو اعداد مادي ، يشمل على تجهيز أنفسهم بالسلاح ، واعداد معنوي يتمثل في حب الجهاد ، والاستعداد للتضحية بالمال والنفس في المعركة ، يقول ابن الأثير في الإشارة الى عسكر المسلمين يوم حطين : " ... وفي يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاخر نهضت الجيوش الاسلامية مجدّة في تشمير ذيلها ، معدّة ما استطاعت من قوتها ومن رباط خيلها .. تحمل الأعمار القصار تحت الأرماح الطوال ، وترغب في اشتراء الجنة بالأنفس والأموال..."(٢).

ومن صفات عسكر المسلمين : الانتصار لدين الله والإخلاص له ، فالحرب هي حرب بين عقيدتي الكفر والايمان ، ولذا فقد أبرز أدب الرسائل هذه الحقيقة . يقول تاج الدين بن الاثير (٣) - في حديثه عن فتح حصن المرقب : " واعتدنا مسعانا في طاعة الله عما اذا كانت مساعي الملوك عزما ..." (٤). وقال

---

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٥٨-٦١، ٦٥ /والفتح القسي ، ص٥١٩

(٢) ابن الأثير ، ديوان رسائل ابن الاثير ، حـ١ ، ص٦٧

(٣) تاج الدين بن الاثير : احمد بن المولى شرف الدين سعيد بن شمس الدين محمد بن الاثير الحلبي كاتبا من كتاب ديوان الانشاء بدمشق ثم بمصر . كتب للظاهر بيبرس والمنصور قلاوون . تولى كتابة السر بعد فتح الدين محمد بن الظاهر . توفي سنة ٦٩١ هـ .
عن : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، حـ٨ ، ص٣٤

(٤) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ ٤ ، ص٢٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيضـا : " ... أخلصنا النية لله عز وجل في نصرة الإسلام ، وتقاضينا ديونه على الأنام ..."(١). ومن صفات عساكر المسلمين الانتظام ، والطاعة ، والاستعداد للتغلب على كل مشاق القتال ، يقـول القاضي الفاضل : " ... والعساكر بالسهل والوعر منتظمة ، والهمم على السهل والصعـب مزدحمـة ..." (٢) . ويتصف جنود الاسلام باليقظة ، وذلك حفاظاً على حياة المسلمين ومصالحهم. يقول ابن الأثير عن جنود الإسلام يوم حطين : " ... وبات الناس يحرسون العدو على تيقّظ وتحفّـظ فما منهم الا من أسهر عينه في ذات الله فأتعب ، وليس الا من لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقال أوجب ..." (٣).

ومن صفات جنود الاسلام الشجاعة والإقدام ، فقد جاء في رسالة تصف جنود المسلمين في استيلائهم على غزة : وانقضوا عليها انقضاض البزاة على طرائدها ، وأسرعوا اليها إسراع العطاشى الـى مواردها ..." (٣). ووصف ابن الأثير جنود المسلمين الذين استولوا على طبرية سنة ٥٨٣ هـ ، فصورهم أسوداً تنقض على عقبان ، وجلامد في غدران ، وهم مجرّبون في ميدان المعارك ، ذوو خبرة ودراية ومراس وكيف لايحرز النصر على عدوه من هذه صفاته ؟ ! . يقول ابن الأثير : " ... ورماها بأسود علـى عقبان ، وجلامد في غدران ، من كل شهم يجرد من قلبه مايجرده من عضبه ، ويسدّد من جنانـه ما يسدده من سنانه ، وكلهم ممن بلاه المولى وجرّبه ، وسقاه من بأسه ودرّبه . فخاضوا بنجوم صعـاد في سماء صعيد ، ويعتصمون بدروع صبرٍ لادروع حديد ..." (٤). و قد اعتاد الكتاب ان يصفوا عساكـر الإسلام بالكثرة ، فهي كالسيل الجارف ، والذي يغرق كل ما أُتي عليه ، وصفهم تاج الدين بن الأثيـر فقال : " ... وجئناهم مجيء السيل ، وظللنا عليهم ظلل الغم ، وغشيهم منا ما غشي فرعـون وجنوده من اليـم " (٥). ووصفوها في كثرتها بالبحر ، والغيث ، وفي شجاعتها بالليث . يقول تـاج الدين ابن الأثير : " ... وعسكرنا بحمدالله تعالى مثل البحر اذا طما ، والغيث اذا هما ، والطـود اذا سما ... قد ملأ الفجاج ، واستعذب الأجاج ..." (٦).

---

(١) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٤٥

(٢) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٩٢

(٣) رسائل ابن الاثير ، حـ١ ، ص٦٧

(٤) القلقشندي ، صبح الاعشي ، حـ٧ ، ص٢٢

(٥) رسائل ابن الاثير ، حـ ١ ، ص ٦٥

(٦) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونظراً لكثرة عساكر المسلمين ، فقد كانتتستولي علىكل ما تمر به ، وينظم اليها جنـــود تلك البلاد . يقول تاج الدين بن الاثير : " ... وصلنا الى الشام في جنود تقبل مثل قطع الليل ، وتندفع اندفاع السيل ، وكلما مررنا بمملكة سالت بجموعنا أوديتها ، وغصّت بعساكرنا انديتها ، وانضم الينا جنودها ، وخفقت علينا بنودها ..." (١). وقد تكررت مثل هذه المعاني في رسائل كثيرة(٢).

ووصفت هذهالرسائل فرسان المسلمين بالفتوة والشباب ، والسرعة والخفة ، والشجاعـــة وممارسة القتال ولذ هم غير مبالين بأهوالها ، يخوضونهاكأنها ساحة لعب ولهو ، جاء في رسالـــة تصف فتح صفد : " ... فتقدم اليه من فرساننا كل حديدالشبا ، جديد الشباب ، يهوى الى الحـرب فيرى منه ومنطرفه أسد فوق عقاب ، ويخف نحوها متسرعاً فيقال أذا لقاء اعداء أم لقاء أحباب، فهـــم فوارس كمناصلهم رونقاً وضياء ، تجرى بهمجياد كذوابلهم علا ومضاء . اذا مشوا الى الحرب مزجـوا المرح بالتيه فيُظنُّ في أعطافهم كسل ، وهزوا قاماتهم مع الذوابل فجهلت الحرب من منهـــم الأســل ..." (٣).

ان هذه الصورة الجميلة المشرقة لفرسان المسلمين وليدة عاطفة الفرح بالنصر ، والشعـــور بالتفوق على الأعداء ، وقد امتزجت في هذه الصورة الحقيقة بالخيال .

الصليبيون في المعركـــه :

تحدّث الكتاب في وصف المعارك والانتصارات عن جيوش الصليبيين ، وملوكهم ووصف نشـــر الرسائل الصليبيين في المعركة بصفات متعددة ومنها : الإستعداد للمعركة مادياً ومعنوياً ، وهذا أمر طبيعي ، وذلك لتعظيم الانتصار عليه ، وإبراز عظمة الجيوش الإسلامية التي استطاعت ان تهـــزم هذا العدو القوي ، اذ لا معنى للانتصار على عدو لم يستعد للمعركة ، وليس في هذا النصر عظمـــة للمسلمين أو قوة لجيوشهم . يقول ابن الأثير عن الصليبيين في معركة حطين : :" ... هذا والعـــدو قد جمع كيده ، واستفرغ أيده ، وزين له بشيطان عمله وبسط لديه أمله ..." (٤).

---

(١) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٤٦

(٢) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٢، ص٣٣٩، ٣٤٠، ٣٧٦، حـ٤ ، ص٢٥١، ٢٥٢

(٣) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٢ ، ص٣٤٠

(٤) رسائل ابن الأثير ، حـ١ ، ص٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال القاضي الفاضل عن ملك غزة الصليبي : " ... فلما كان بكرة الجمعة ، وردتنا الأخبار بأن الملك قد زحف من غزة في فارسه وراجله ورامحوناباله وحشود دياره ، وجنود أنصاره ..."(١).

ورغم هذا الاستعداد ، ورغم هذه القوة ، فان الخوف كان يداخل نفوس الصليبيين ، فكانوا يهابون دخول القتال مع المسلمين ، لانهم يعلمون ان المسلمين أقوى منهم وأشجع .

يقول ابن الأثير : " ... الا انه مع ذلك محجم غير مقدم ، وموارب غير محارب ..."(٢).ويقول القاضي الفاضل عن ملك غزة الصليبي : " ... وانتظرت حملته التي كان لها قبل ذلك اليوم موقع وصدمته التي لها من رجال الحرب موضع ، فملأ الله قلبه رعبًا ، وثنى صدقه كذبًا ، ولم يزل يخاتل ولا يقاتل ، ويواصل المسير ولا يصاول ..." (٣).

وأورد الكتّاب صورًا عدة للصليبيين عند بدء المعركة ، فبعضهم كان يهرب من المعركة عندما يدرك ان الهزيمة تنتظره ، وتنتظر جيشه ، فقومص طرابلس هرب من معركة حطين عندما أدرك ان الهزيمة محققة ، وبعد ان امتلأ قلبه خوفًا مما شاهد من شدائد في حطين ، يقو ل ابن الأثير : "... وولى طاغية طرابلس مُحْذًا في فراره ، حاسدًا للطير على مطاره . وقد ألبسه الخوف ثوب السّقم ، وأغراه بتتبع الوهاد والأكم ، فلم ير وهدة الا طلبها طلب الاكتتام ولا اكمة الا ارتقاها طلب الاعتصام ..." (٤).

ووصف القاضي الفاضل هزيمة ملك غزة الصليبي : " ... والقتل في أعقابه ، وأيدى السيوف وسواعد الرماح لا تني في عقابه ..." (٥).

---

(١) ابوشامة ، الروضتين ، حـ١، ق٢، ص٤٩٠

(٢) رسائل ابن الأثير ، حـ١، ص٦٧

(٣) ابوشامة ، الروضتين ، حـ١، ق٢، ص٤٩٠

(٤) رسائل ابن الأثير ، حـ١ ، ص٦٨

(٥) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ١٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما فرّ الصليبيون الى حصونهم ان كانت قريبة من أرض المعركة ، وتحصنوا بقلاعهم جبنا من مواجهة المسلمين ، فيقاتلون المسلمين منها بعد أن عجزوا عن قتالهم بعيداً عنها ، غير أنّ هذا لم يمنع المسلمين من متابعتهم وقتالهم والاستيلاء على حصونهم . فقد قال كمال الدين بن العجمي في رسالة يصف فيها فتح صفد : " ... فحين شاهد أعداء الله آساد الله تصول من رماحها بأُسود هنا ، وتبدى ظمأ لاينفعه الا أن ترد من دماء الأعداء محمرّ مواردها ، وانها قد أقبلت نحوهم بجحافل تضيّق رحب الفضاء ، وتحقق بنزولها ونزالها كيف نزول القضاء ، وانه جيش بعثه الله بإعزاز الجمعة وإذلال الأحد ... وان الفرار ملازم أعدائه ... ولوا مدبرين ، وأدبروا على أعقابهم ناكصين ولجأوا الى معقلهم معتقلين لا متعقّلين ..."(١).

أمّا اذا قاتلوا ، فان الكتّاب قد صوروهم شجعاناً ، مستبسلين ، يقاتلون قتال شديداً ، يثبتون في المعركة ، ويفضلون الموت ولا يهابونه . وقد أراد الكتاب من هذه الصورة التأكيد على مبلغ الجهد العظيم الذي بذله المسلمون حتى استطاعوا ان يهزموا هذا العدو المستبسل في قتاله ،المدافع عن حصونه،يقول كمال الدين بن العجمي : " ...فعند ذلك جاء هم الموت من فوقهم ومن أسفل منهم ، وأصبح ثغرهم الذي ظنوه عاصما لايغني عنهم ، ومع ذلك فقاتلوا قتال مستقتل لايرى من الموت بدّا ، وثبتوا يقدون بينهم البيض والأبدان قدّا ..." (٢).

وحين يدرك الصليبيون ان هزيمتهم قد اقتربت كانوا يسألون المسلمين الأمان ، ويطلبون السلام ، وكان المسلمون يقبلون منهم ، ويسالمونهم يقول ابن العجمي : "... فعند ذلك خاب ظن اعداء الله ، وسُقط في أيديهم ، وصار رجاء السلامة برؤوسهم أقصى تمنيهم ،فعدلوا عن القتال الى السؤال ، وجنحوا إلى السلم وطلب النزول بعد النزال ، وتداعوا بالأمان صارخين ، وجاءوا بدعاء التضرع لاجين ، فأغمد الصفح عنهم بيض الصفاح ، وقاتلوا من التوسل بأحد سلاح..." (٣).

---

(١) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٢ ، ص٣٤٠-٣٤١

(٢) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٢ ، ص٣٤١

(٣) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٢ ، ص٣٤٢

ابن العجمي: احمد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم ابو يوسف كمال الدين الحلبي المعروف بابن العجمي،كان عالما ، حسن الخط ، كتب للملك الظاهر بيبرس كان من اعيان الكتاب واماثلهم ، واسطة خير غزير المروءه ، حسن العشره ،كريم الاخلاق ،توفي في صور ودفن في دمشق . / ذيل مرآة الزمان ج٢،ص٣٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا صوّر نثر الرسائل الصليبيين في المعركة بصورة المستعدّ لخوض المعركة الراغب في الانتصار ، فاذا خاضوا المعركة استبسلوا ، وقاتلوا ، قتالاً شديداً ، فيقاتلهم المسلمون وينتصرون عليهم .

وصورهم نثر الرسائل بصورة مختلفة عن الصورة السابقة ، فهم جبناء كانوا يحاولون تجنّب خوض المعركة عندما يشاهدون جيوش المسلمين وشجاعة أبطالهم ، وليس بين الصورتين تناقض فكلتيهما يهدف الى تعظيم جيش المسلمين والإشادة بشجاعته واستبسال جنوده .

قتلى الصليبيين في معاركهم مع المسلمين :

تحدثت رسائل الجهاد عن قتلى الصليبيين في المعارك البرّيّة والبحرية ، ورسمت صورة مؤثرة لما كانت عليه حال قتلى الصليبيين . من ذلك هذه الصورة التي رسمها العماد الاصفهاني لجثث قتلى الصليبيين في سهل حطين بعد انتهاء المعركة . ويبدو ان العماد أراد بذلك رفع الروح المعنوية للمسلمين ، وبعث العزيمة في نفوسهم لتحرير القدس وغيرها من مدن الإسلام ، والاشادة ببطولات جيش المسلمين ، وتمجيد قائدهم صلاح الدين ، قائد هذه المعركة الحاسمة في تاريخ المسلمين في تلك العصور .

ان صورة قتلى الصليبيين في حطين تبعث الأسى في نفس الكافر ، والإعجاب في نفس المسلم ، فقد تركهم المسلمون أشلاء مقطّعة ، عيونهم مفقوءة ، وبطونهم مبعوجة ، وأنوفهم مقطوعة ، يقول العماد في وصف سهل حطين بما فيه من جثث : " ... وعبرتُ بها فألفيتها محل الإعتبار ، وشاهدت ما فعل أهل الإقبال بأهل الإدبار ، وعاينت أعيانهم خبراً من الأخبار ، ورأيت الرؤوس طائرة ، والنفوس بائرة ، والعيون غائرة ، والجسوم رسمتها السوافي ، والرسوم درستها العوافي ، وأشلاء المشلولين في الملتقى ملقاة بالعراء عراة ، ممزقة المآزق ، مفصلة المفاصل ... مقطعة الهام ، موزعة الأقدام مجدوعة الآناف ، منزوعة الأطراف ، مفقوءة العيون ، مبعوجة البطون ... عديمة الأرواح ، هشيمة الأشباح ، كالأحجار بين الأحجار ، عبرة لاولي الأبصار " (١).

وتحدّث ابن الأثير عن قتلى الصليبيين في البحر ، وقارن بين مصيرهم في البر ، ومصيرهم في البحر

---

(١) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢، ص٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهم في البحر يرقدون في قاع البحر ، اما في البر فهم يرقدون في القبور ، وهم في البحر طعـــــام للحيتان ، أمّا في البر فهم طعام للطيور الجارحة . يقول ابن الأثير : " ... واعتاض القتلـــــى قعر البحر عن القبور ، وبطون الحيتان عن بطون الطيور ..." (١).

تعظيم الفتح وتمجيـــده :

وعظّم كتاب رسائل الجهاد فتوح المسلمين ، وقرنوها بانتصارات الرسول والصحابة،يقول العماد عن فتح بيت المقدس : " ... ولقد مننا عليك مرّة اخرى ، فالأولى في عصر النبي والصحابة ، والأخرى هذه التي عتق فيها من ذلّ الكآبه ..." (٢). وتكرّر مثل هذا الأسلوب في كثير من الرسائل (٣).

ومن ناحية اخرى كان الكتّاب يؤكدون أنّ هذا النصر او الفتح قد عجز عنه الملوك،لـ**ما يكون** لحصانة المدينة أو الحصن ولأنه يتطلب قوة عظيمة ، وأموالاً وافرة ، وجيوشاً هائلة ، وأسلحةً قويـــة. ولذا فقد كان حلماً من أحلام الملوك السابقين . ومثال هذا ما قاله شهاب الدين محمود عن فتح حمـــن المرقب : " ... وقد أحاطت العلوم الشريفة بأن الحصن طالما سمّت الأحلام ان تُخيّل فتحـــــــه لمن سلف في المنام ، فما حدّثت الملوك أنفسها بقصده الا وتناهى الخجل ، ولا خطبته ببذل النفـــس والنفائس الا وكانت من روعة الحرمات على وجل ..." (٤).

وقصد الكتّاب كذلك تعظيم الفاتح ، والإشادة بما بذله من جهد وما أنفقه من أموال ، وما جمعـه من قوات وأسلحة ، الى أنْ استطاع أنْ يحقق المعجزة التي كانت أمنية الملوك ، وحلمهم ، فماتوا دون أنْ يحققوها الى أنْ يسّر الله هذا الملك أو السلطان ، فاستولى على الحصن وفتحه .

---

(١) ديوان رسائل ابن الأثير ، ص٧٣

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٢ ، ص٢٠٣-٢٠٤

(٣) ديوان رسائل ابن الأثير ، جـ١ ، ص٦٨

اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، جـ٤ ، ص٢٤٩

(٤) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان، جـ٤ ، ص٢٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول العماد : "... فقد عجز الملوك عن اقتضاء نصرته ، وافتضاض عذرته ... وقد انقرضت الملوك والقرون الخالية على حسرة تمنيه ، وحيرة ترجيه ... وتقاصرت عنه طول الهمم وتخاذلت عن الانتصار له أملاك الأمم ..." (١).

ووصف الكتاب عظمة الفتح بأنه لايحيط به وصف الكتّاب ولا الشعراء ، فهو معجزة يعجز عن وصفها بشر مهما أوتي من البلاغة والخطابة والشعر . فقد قال العماد عن فتح بيت المقدس: "... ولو شرح ما لهذا الفتح من جلالة العظمة ، ودلالة المكرمة ، لكبا قلم البليغ في مضمار البيان ولم يبلغ مدى ..." (٢).

تمجيد الابطال:

ويمكن القول : ان جميع الرسائل التي تصف الانتصارات أو تبشر بها في عصر الحروب الصليبية تمجيد للأبطال ، وفخر بهم ، وإعلاء لشأنهم ، وتذكير بجهادهم في سبيل الله إعلاءً لدين الله، وحفاظاً على الإسلام والمسلمين .

ومن الصفات التي رسمها نثر الرسائل لقادة المسلمين صفة الشجاعة والصمود في المعركة، وتفضيل الموت على الهزيمة . يقول ابن الاثير عن الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يصف بلاءه في جهاد الصليبيين في طبرية سنة ٥٨٣ هـ : " ... وثبت بمكانه نازعاً للدنيّة ، لابساً للمنية ، يرى الإقدام مأدبة ، والقتل مأربة ...(٣).

وجعل الكتاب من صفات قادة المسلمين الإخلاص لله في الجهاد ، ونفوا ان يكون قتالهم من أجل كسب مادي أو مغنم معنوي . وصف ابن الاثير صلاح الدين في حطين فقال : " ... فأراد أهله ان ينهوا طيش القتال بثقل الأموال ، فأبت ذلك نفس ترجو ثواب الله بمجاهدة أعدائه ... ولو لم يكن جهادها احتسابا لأبت ان يكون اكتساباً ، فان النفوس الأبية في دقّ الفرائس ، أرغب من ادخال النفائس..."(٤).

---

(١) البونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤، ص٢٤٣

(٢) العماد الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص١٤٩

(٣) ديوان رسائل ابن الأثير ، حـ١ ، ص٦٥

(٤) ديوان رسائل ابن الأثير ، حـ١ ، ص٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأوضحت رسائل الجهاد أنّ هدف هؤلاء الابطال من جهادهم توحيد كلمة المسلمين ، ونشر دين الله ورفعه عالياً . يقول القاضي الفاضل : " ... وكان الخادم لايسعى سعيه لهذه العظمى ، ولا يقاسي تلك البؤسى الا رجاء هذه النعمى ، ولا يناجز من استمطله في حربه ، ولا يعاتب بأطراف القنا من تمادى في عتبه الا لتكون الكلمة مجموعة ، والدعوة الى سامعها مرفوعة ، فتكون كلمة الله هي العليا ، وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعرض الأدنى من الدنيا ..." (١).

ومن صفات هؤلاء الابطال التسامح مع الخصم ، وهذا أقصى غايات الشجاعة ، فقد كانوا يعفون عن أهل المدن المفتوحة ، ويطلقون سراحهم يقول شهاب الدين محمود : " ... فسألوا ان يكون عفو مولانا السلطان من بعض الصنائع وتضرعوا في أن يجعل أرواحهم لسيوفه من جملة الودائع ، فتصدق عليهم بنفوسهم كرماً ..." (٢). وقد تكرر مثل هذا في فتوح أخرى (٣).

ومن صفات الأبطال : الكرم ، والغيرة على الدين ، والإسراع لنجدته . فقد مدح العماد أمير الموصل ويدعى عزالدين مسعود(٤) وكان قد أرسل بعض الاسلحة والمساعدات الى صلاح الدين، فوصفه بالكرم ، والغيرة على الدين ، والنخوة للاسلام وقال : "... وأكرم الأجاود ، وا جود الأكارم من جاد بما أجدى ، وأهدى ما هدى ، وعاد من المكرمة بما بدا ، لا أخلى الله المجلس من يد يتخذها ، وأياد يسيّرها وينفذها ، ومحمدة يستخلصها لنفسه ويستيقظها ، وحميّة للدين يقيم بها حماة الشرك ويعذها ، ونخوة للإسلام تهي حدود الهمم النابية وتشحذها ..." (٥).

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٤٩٨

(٢) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٥٢

(٣) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٢ ، ص٢٤٣

(٤) عزالدين مسعود : هو السلطان مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر بن أوفى بن أخي نو رالدين محمود توفي سنة ٥٨٩ هـ .

- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٦ ، ص١٣٣

(٥) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٣٥١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومدحت رسائل الجهاد الأبطال ووصفتهم بكرم الأصل ، وحسن الخلق ، ورجاحة العقل ونصرة الإسلام . يقول العماد الاصفهاني في مدح ولد ملك الموصل ويدعى علاء الدين (١)، : " ... ماكان أسعدنا بقرب الملك السعيد ، وما أجدّنا بإنارة نوره ، وأوفر حبورنا بحضوره ، وأصدق شهود صدق ولائه بحكم شهوده ، وما أبهج الاسلام بنصرة ناصره ، ونجدة وليّه وودوده ... فما أوقر وزنه ، وأغزر مُزْنه ... فقد فاق بسداد رأيه الكهول ، وما أزكى الفروع الطيبة اذا أشبهت الأصول ..."(٢).

وأخيرا لقد مدح الكتاب قادة المعارك ، واثنوا على جهادهم ، ووصفوهم بالشجاعة والإقدام والإخلاص في الجهاد في سبيل الله ، والحفاظ على الإسلام والمسلمين . ولا شك ان هؤلاء الكتاب كانوا صادقين في أوصافهم ، يصدرون عن إعجاب بهؤلاء الأبطال .

الأسرى في رسائل الجهاد

تحدثت رسائل الجهاد في عصر الحروب الصليبية عن أسرى الصليبيين في بعض الوقائع والانتصارات ومن ذلك أسرى الحجاز ، وأسرى معركة حطين . وقصة أسرى الحجاز إن أرناط ملك الكرك الصليبي أراد غزو الحجاز ، والاعتداء على المقدسات الإسلامية ، وتبش قبر الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وإخراجه من ضريحه . ومن أجل هذا الهدف حمل أرناط الأخشاب سرًا الى بحر العقبة ، وصنع هناك سفنًا ، وسيّرها في البحر باتجاه الحجاز . وكانت هذه القوة فرقتين ، فرقة حاصرت حصن أيلة (٣)، وضيقت

---

(١) علاء الدين خرّمشاه ابن مسعود بن مودود زنكي ، قدم الى صلاح الدين لمساعدته والجهاد معه على رأس عسكر من الموصل سنة ٥٨٦ هـ ، ففرح به السلطان وأكرمه ، وأمر بضرب خيمته بين ولديه الأفضل والظاهر .

- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص١٢٢

العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص٣٨١

(٢) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٤٥٥

(٣) ايلة : مدينة العقبة . على ساحل البحر الاحمر . قال عنها ياقوت : مدينة على ساحل البحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي اخر الحجاز، وأول الشام .

ياقوت ، معجم البلدان حـ ١ ، ص٢٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على المسلمين فيه ومنعتهم من ورود الماء ، والفرقة الثانية سارت في البحر نحو عيذاب (١)،قاصدة الوصول الى الحجاز وقد عاثت هذه الفرقة في طريقها ، واعتدت على المسلمين . وسرى خبر هذه المحاولة للاعتداء على المقدسات الاسلامية بين المسلمين ، حتى وصل الى الملك العادل نائب السلطان صلاح الدين في مصر ، عندها أمر قائد اسطوله الحاجب لؤلؤ (٢) ، ان يعدّ الأسطول ، ويتبعهم في البحر حتى يجدهم ويفشل مخططاتهم وقد جهّز لؤلؤ الأسطول ، وسار في أثرهم ، وأدركهم قبل وصولهم الى الحجاز، فقاتلهم قتالاً شديداً ،وعندها أدرك الصليبيون أنّهم لايستطيعون الثبات، وتركوا سفنهم ، ونزلوا منها الى البر ، واعتصموا ببعض الشعاب ، فتبعهم المسلمون ، وقاتلوهم حتى قتلوا بعضهم ، وعادوا بالباقين أسرى ، فأرسلوا بعضهم الى منى لينحروا - كما تنحر الإبل - عقوبة لهم ، وعادوا بالباقين الى مصر (٣)، وأرسل السلطان صلاح الدين الى أخيه العادل ثلاث رسائل يأمره فيها بقتل الأسرى جميعهم (٤).

وأبدى صلاح الدين في هذه الرسائل سخطه على هؤلاء الأسرى لأنهم اقترفوا جرماً عظيماً بمحاولة الاعتداء على المقدسات ، ودعا صلاح الدين الى قتلهم جميعًا ، وحذّر من التهاون في أمرهم وقال : " ... وليس في قتل هؤلاء الكفار مراجعة ، ولا للشرع في استبقاء واحد منهم مصلحة ، ولا في التغاضي عنهم عند الله عذر معقول ..." (٥).

---

(١) عيذاب : بلدة على ساحل بحر القلزم، هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن الى الصعيد ، ياقوت ، معجم البلدان، حـ٤ ، ص١٧١

(٢) لؤلؤ : من أكبر امراء صلاح الدين ، كان قائد اسطوله ، حقق انتصارات مجدية كثيرة على الصليبيين كان شجاعاً ، تقياً ، كثير الصدقات .

- ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٢ ، ص٢٣-٢٤

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، حـ١١، ص٤٩٠-٤٩١

ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٣٦-٣٧

ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ١٢٧-١٢٨، ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٢، ٣١١

(٤) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٣٦-٣٧

(٥) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودعا الى قتلهم زجراً لغيرهم عن ارتكاب فاحشة مثلهم وقال : " ... فليمض العزم في قتلهم لتناهي أمثالهم عن فعلهم .... " ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا (١)و(٢).

لم ينس صلاح الدين أرناط الذى خطط ونفّذ هذه المحاولة للاعتداء على المقدسات وكان دائم الأذى للمسلمين ، ولذا فقد قتله بيده بعد أن وقع أسيراً في معركة حطين (٣). وكان صلاح الدين يأمر بقتل كل من كان شديد الأذى على المسلمين ، ولذا كان يأمر بقتل أسرى الإسبتارية (٤)، والديويه(٥).

ووصفت رسائل الجهاد أسرى الصليبيين في حطين ، فصورهم ابن الأثير واهنين ، أذلاء ، وقد بلغ مقدار ذلّهم أنَّ رأس أحدهم كان يتمنى أنْ ينكر عنقه ، وانَّ عظيمهم كان يودّ لو كان حقيرهم لشدّة ما أصابه من الذل . يقول ابن الأثير : " ... وجيء بالأسرى مقرّنين بالأصفاد ، موقنين أنَّ رؤوسهم عوار عن تلك الأجساد ، ولو استطاع رأس أحدهم ان ينكر عنقه لأنكره ، ولا يودُّ وهو المعظَّم ان يقال: ما أعظمه بل يقال : ما أحقره ؟ " (٦).

---

(١) سورة نوح ، الآية ، ٢٦

(٢) ابو شامه ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٣٧

(٣) ابن شداد ، النوادر السلطانيه ، ص٧٧

- ابو شامة ، الروضتين ، حـ ٢ ، ٨٩

- القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ٦ ، ص٥٢٠

(٤) الإسبتارية : جماعة من فرسان الصليبيين ، تأسست بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس، ويطلق عليهم الهسبتاريه ، والهسبتالين وكان هدفها علاج المرضى ، وايواء الحجج .

- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٦ ، ص٣٣

(٥) الديويـة : قوم من الافرنج وقفوا أنفسهم على جهاد المسلمين، وامتنعوا عن ملذّات الحياة ، ولم يكن لاحد عليهم طاعة ، كانوا ينسبون الى حصن حصين بنواحي الشام . وكان لهذه الفرقة شأن في الصراع الاسلامي الصليبي .

- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٦ ، ص٣٣

(٦) ابن الأثير ، ديوان رسائل ابن الأثير ، تحقيق أنيس المقدسي ، ص٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووصفهم في رسالة أخرى فقال عنهم : إنهم كالأنعام المقيَّدة لا حراك لهم ، والصور الجامدة لاروح فيها ، دماؤهم بادية على أجسادهم . يقول ابن الأثير : " ... وجيء بالأسرى كالأنعام المعقلة ، والصور الممثَّلة ، خاشعة أبصارهم ، دامية أبشارهم ."

جرحى الى جرحى كأنّ جلودهم يطلى بها الشّيان والعلّام " (١). وقال ابن الأثير يصف ارنباط أسيراً ذليلاً ، خائفا : " ... ثم جيء بملكهم المتوّج ، وقرمهم المدجّج ، وقد بدّل عزّه ذلاً ، وطوقه غلاً ، وبقلبه من الخوف ما سلب عقله ، وأنساه ذحله ..." (٢).

وقد ذُكر الكثير عما أصاب أسرى الصليبيين من ذل وصغار ، وقيل : إن بعض فقراء عسكر صلاح الدين في حطين وقع بيده أسير ، فباعه بنعل كان محتاجاً اليها . فقيل له في ذلك ، فقال: : أردت ان يذكر ذلك ويقال : بلغ من هوان أسرى الفرنج وكثرتهم ان بيع واحد منهم بنعل والحمدلله(٣).

التقليل من شأن الهزائم

وقد عمل نثر الرسائل على التقليل من شأن الهزائم التي أصيب بها المسلمون ، وكان يعزوها الى قضاء الله وقدره ، وكان يدعو الى التسليم بقضاء الله وقدره ، ويحاول أن يبعد اليأس والقنوط عن المسلمين ، ويثبت لهم العزم والقوة .

رسالة

أصيب المسلمون بهزيمة في الرملة سنة ٥٧٣ هـ (٤). فأرسل القاضي الفاضل الى السلطان صلاح الدين حاول فيها التقليل من شأن هذه الكسرة على نفس السلطان ، ورفع معنوياته بتذكيره بقوة المسلمين التي هاجمت الصليبيين في الشام بعد شهرين من هذه الهزيمة . وجاء في هذه الرسالة :" ... وأما نوبة العدو في الرملة فقد كانت عثرة ، علينا ظاهرها ، وعلى العدو باطنها ، ولزمنا ما نسي من

---

(١) ابن الأثير ، ديوان رسائل بن الاثير ، ج١ ، ص٦٩

(٢) ابن الأثير ، ديوان رسائل ابن الاثير ، ج١ ، ص٦٩

(٣) ابوشامة ، الروضتين ، ج٢ ، ص٨٢

(٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٢ ، ص٥٨-٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اسمها، ولزمهم مابقي من عزمها ، لادليل ادل علىالقوة من المسير بعد شهرين من تاريخ وقعتها الى الشام ، نخوض بلاد الفرنج بالقوافل الثقيلة والحشود الكثيرة ، والحريمالمستورة والمال العظيم الموفور ..." (١).

ولما سقطت عكا بيد الصليبيين سنة ٥٨٧ هـ ، حزن المسلمون والسلطان صلاح الدين على فقدها ، فحاول الكتاب تسلية السلطان ، وتهوينأمر هذه الكارثةعلى نفسه فأرسل اليه العماد قائلا : انها ارادة الله ، فهو الذى فتح المدينة ، وهو الذى قضى بسقوطها بيد أعدائه ، وأكد ان المسلمين بخير طالما استمر دينهم ، واستمرايمانهم بنصر الله . وقال في هذه الرسالة : " هذه بلدة مما فتحه الله قد استعادها أعداه ، وان ذهبت مدينة فما ذهب الدين ، ولاضعف في نصرالله اليقين "(٢).

وأكد في رسالة اخرى أن سقوط عكا هو قضاء وقدر ، ولا يستطيع أحد دفعه أو ردّه .وذكّر السلطان انالواجب يقتضي الثقة بنصر الله ، والتسليم بقضائه وقدره ، وقال " ولا مردّ مما فيه من المراد ، و ولا مدفع لحكمه في البلاد والعباد ، وان ذهبت مدينة فلم يذهب الدين ، وان غاض معين فما غاب المعين ، وان ارتاب المبطلون فما فارق الحق اليقين ، وان فتح المرتجّ فما فات المرتجى وان ادلهمّ الديجور فلا بدّ ان يسفر عن الصبح الدجى " (٣).

الدفاع عنالحكّام

دافع كتاب الرسائل عن الحكام ، وحاولوا تبرير بعض الهزائم التي لحقت المسلمين ففي سنة ٥٩٣ هـ انتهت مدة الهدنة التي كان صلاح الدين عقدها مع الصليبيين فخرجوا الى بلاد الاسلام لاسترجاع بيت المقدس من المسلمين (٤). وكان الملكالعادل يحكم بلاد الشام نائباً عنالملك

---

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٦٥

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٦٧

(٣) العماد الاصفهاني ، الفتح القسي فيالفتح القدسي ، ص٥١٩

(٤) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٢٣٣

ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ ١٣، ص١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العزيـــز (١)٠ وفي هذا العام قصد الصليبيون بيروت واحتلوها (٢)٠ وقيل ان عزالدين اسامـــــــــة انهزم بأهله وجماعته حين سمع بوصول الصليبيين الى صيدا وتقدمهم نحو بيروت (٣)٠ وقيل ان الجنـود الذين كان عزالدين اسامة تركهم في قلعة بيروت قد جبنوا وانهزموا ، فلما علم الفرنج خلوها من الحماة دخلوها واستولوا عليها (٤)٠ ولعن الناس عزالدين اسامة واتهموه بالتقصير عن حفظ بيروت ٠ وغالـــى العماد في إتهام والي بيروت حتى نعته بالخيانة ، والهرب طلباً لسلامته وقال :

سلّم الحصن ما عليك ملامـــــــة ما يلام الذي يروم السلامـــــــــة
فعطاء الحصون من غير حـــــرب سنّة سنّها ببيروت سامـــــــــة (٥)

وكان العماد في هذا الوقت كاتبا للملك الأفضل علي بن صلاح الدين ، الذي طرده الملك العزيـــز وعمّه الملك العادل من الشام في العام الماضي ٥٩٢ هـ وانتزعاها منه (٦)٠ ولذا فقد كان موقفه من سقوط بيروت انتصاراً للملك الافضل ٠

أمّا القاضي الفاضل فقد كان كاتباً للملك العزيز ، ولذا فقد أُرسل رسالة الى والي بيروت دافـــع فيها عنه ، واتهم الجنود بالخيانة والتقصير ، وبدأها بالآية القرآنية : "وان يريدوا خيانتك فقد خانوا اللّه من قبل " ٠ ثم قال " فاذا كان من الناس من خان الله ورسوله فكيف لايخون الناس الناس؟٠٠٠" ٠ ونفى عنه التقصير ، وأكّد الثقة فيه ، وانّه ليس محل اتهام وقال " ومن الخجلات المستعارة خجلـــة الواثق ، والموثوق به لائق بهالخجل الصادق ومعاذ الله ان ينكس المجلس رأسه حياء ، أو أن يسخـــط لله قضاء ٠٠٠" (٧)٠

---

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٣ ، ص٦٢-٧٠
(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٣ ، ص٧٤
(٣) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٢٣٣
(٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٣ ، ص٧٣
(٥) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٢٣٣
(٦) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢،ص٢٢٥
- ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٣، ص٨
(٧) النويري ، نهاية الأرب ، حـ٥ ، ص٢٢٤-٢٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأكد القاضي الفاضل لأمير بيروت أسفه على سقوطها بيد الصليبيين ، ومشاركته له في الحزن على هذه المصيبة ، وحاول التخفيف عنه في هذه الرسالة والتقليل من شأن هذه الكارثة بتذكيره بأن الغنيمة هي سلامته ، وقال : " ... وكل ماذهب من صاحبه قبل أن يذهب صاحبه فقد أنعم الله عليه حيث أخرج ما في يديه ، والمال غاد ورائح ، والمال بالحقيقة هو العمل الصالح ..."(١).

في الحث على الصبر والجهاد :

ترجم نثر الرسائل كثيراً من احوال المسلمين في اوقات المحن والشدائد ، ومن هذه الأوقات الحصار الشديد الذي فرضه الصليبيون على عكا منذ سنة ٥٨٥ هـ والذي دام عامين أو أكثر . ورغم صبر المسلمين ، فان الضعف سرى الى نفوسهم نظراً لكثرة الجيوش الصليبية التي وصلت الى عكا وحاصرتها وضخامة الأسلحة التي كانت مع هذه الجيوش ، وطول مدة الحصار والقتال ، وقلة النجدات والمعونات الاسلامية للمجاهدين (٢).

وأرسل القاضي الفاضل الى صلاح الدين مجموعة من الرسائل التي يحثّه فيها على الصبر والمرابطة والإكثار من الدعاء ، ويبعث في نفسه الأمل بالفرج والنصر . ويدعوه الى التأسي برسول الله (٣). ومما قاله القاضي الفاضل في هذه الرسالة : " ... ولو لم ير الله تعالى إن قوة مولانا اكمل القوى ، وعروة عزمه اوثق العرا ، لما أهّله لأن ينصر ملّة لا يعرف المملوك غير الله ينصرها ، وغير مولانا يباشر النصرة ويحضرها . فليس الا التجرد للدعاء ، والتجلد للقضاء ، ... ومعاذ الله ان يفتح علينا البلاد ثم يغلقها ، ... ومعاذ الله ان نغلب على الصبر ... فلا تعظم هذه الفتوق على مولانا فتبهر صبره ، وتملأ صدره . فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلون والله معكم ، ... فليكن المولى نعم الخلف لذلك السلف . " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، واشتدي أزمة تنفرجي ، فالغمرات تذهب ثم لا تجيء . والله تعالى يسمع الأذن ما يسر القلب ، ويصرف عن الإسلام وأهله غاشية هذا الكرب ..." (٤).

---

(١) النويري ، نهاية الارب ، جـ ٥ ، ص٢٢٤ـ ٢٢٥

(٢) ابو شامه ، الروضتين ، ج٢، ص١٦٢

ابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٢ ، ص٣٣٢ـ٣٣٣

(٣) ابو شامة ، الروضتين ، جـ٢ ، ص١٦٥ـ١٦٩

(٤) ابو شامة ، الروضتين ، جـ٢ ، ص١٦٦ـ١٦٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعطي رسائل القاضي الفاضل التي أرسلها الى صلاح الدين في هذه الفترة صورة دقيقة ومفصلة لأحوال المجاهدين ، وهي أحوال مضطربة ، يائسة ، من شدّة الحصار ، واستمرار القتال ، وقلة الأموال ، وزيادة الأعباء والتكاليف ، وقلة النجدات والمعونات (١).

وفي سنة ٥٩٣ هـ انتهت مدة الهدنة التي كان صلاح الدين قد عقدها مع الصليبيين ، فخرجوا لقصد بلاد الاسلام ، واسترجاع بيت المقدس من المسلمين ، لاسيما وانهم علموا أنّ المسلمين قد أصابهم الخلف والوهن بعد موت البطل صلاح الدين . وقد هاجم الصليبيون ناحية بيروت ، وكان الملك العادل ينوب عن الملك العزيز عثمان في حكم الشام بعد ان استطاعا طرد الملك الأفضل بن صلاح الدين في العام الماضي سنة ٥٩٢ هـ (٢). ولما علم القاضي الفاضل - وهو في مصر - ان بيروت هي مقصد الصليبيين وهدفهم ، أرسل الى الملك العادل رسائل تحثه على الثبات والصبر . وذكّره في هذه الرسائل ان مصير الإسلام يرتبط بجهاده ، واذا أصيب بمكروه فان المصاب مصاب للإسلام جميعه ، لأنّه ليس هناك قوة إسلامية أخرى تقف أمام كفار الصليبيين ، ونصحه بعدم الالتفات الى ما يروّجه او يقوله المبغضون له ، لأنّ جهاده ليس من أجل الناس ، وإنما جهاده في سبيل الله ومن أجل نصرة الاسلام ، وأنّ المعركة معركة بين عقيدتين ، وهي معركة بين الإيمان والشرك ، أو بين الإسلام والكفر . ودعاه الى الصبر ، وعدم الذل ، وذكّره انّ الله هو ناصر المسلمين ، وانها غمرة تنجلي .

وقال في رسالته : " قد تجدّد من وصول العدو اللعين وحركته الى جانب بيروت وخطر البلاد ما أذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وأوقع في ضائقة تنفق الأفكار فيها من سعة ، وللإسلام اليوم قدم ان زلّت زلّ ، وهمة ان ملت فإنّ النصر منه مل ، وتلك القدم القدم العادلية ، وتلك الهمة الهمة المسابقة السيفية . فالله الله ثبتوا ذلك الفؤاد ، ودمّثوا ذلك المهاد واسهروا في الله فليست بليلة رقاد ، ولا ينظر في حديث زيد ولا عمرو ، ولا أنّ فلانا نفع ولا ضرّ ، ولا أنّ من الجماعة من جاء ، ولا أنّ فيهم من مرّ . انظروا الى أنّكم الإسلام كله قد برز الى الشرك كله ، وأنّكم ظلّ الله ، فان صحتم تلك النسبة ، فان الله لا ناسخ لظله ، واصبروا إنّ الله مع الصابرين . ولا تهبنوا وان ذهب

---

(١) ابو شامة ، الروضتين ، جـ٢، ص١٦٦-١٦٧

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، جـ٢ ، ٢٣٣ ، وابن واصل ، مفرج الكروب ، جـ٣ ، ص٥٤-٦٢-٧٤، وابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣، ص١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الناصر* ، فإنّ الله خير الناصرين فما هي الا غمرة وتنجلي ، وهيفة وتنقضي ، وليلة وتصبح تجارة وتربح " (١). وأرسل اليه رسالة اخرى حثّه فيها على بذل الأموال في سبيل الله ، وذكره ان جزاء الله على انفاق هذه الأموال عظيم ، فهو قد أعد للمجاهدين بأموالهم الحور العين في جنته . وذكّره بأنّ الجهاد مكفّر للذنوب . وقال الفاضل:" هذه الأوقات التي انتم فيها عرائس الأعمار ، وهذه النفقات التي تجرى على أيديكم مهور الحور في دار القرار . وما اسعد ما أودع الله ما في يديه ، فتلك نعم الله عليه ، وتوفيقه الذى ما كلّ في طلبه وصل اليه ، وسواد العجاج في هذه المواقف بباطن ما سودته الذنوب من الصحائف فما أسعد تلك الوقفات ، وما أعود بالطمأنينة تلك الرجفات " (٢).

وقد انشئت الرسائل التي تحث على الجهاد في كل وقت شعر المسلمون فيه بالحاجة الى تحريض الناس وحثهم على الجهاد اثر قدوم عدو أو ظهور خطر .

ففي سنة ٦١٥ هـ قدم الصليبيون قاصدين احتلال مصر ، ونجحوا في الإستيلاء على دمياط ، فخشي الملك الكامل ان ينجح هجومهم في الاستيلاء على مصر ، ولذا فقد أرسل الى إخوانه في الشام يحثّهم على سرعة القدوم الى مصر لنجدته وجاء في هذه الرسالة : " ... الوحا الوحا ، العجل العجل ، أدركوا المسلمين قبل تملك الفرنج جميع أرض مصر " (٣).

وأرسل الى نائبه في دمشق رسالة اخرى بخط يده ، حثّه فيها على إنجاده بأهل دمشق وقال في هذه الرسالة : " قد علم الأخ العزيز بأنّه قد جرى على دمياط ماجرى ، وأُريد أنْ تحرّض الناس على الجهاد وتعرّفهم ماجرى على إخوانهم أهل دمياط من الكفرة اهل العناد واني كشفت ضياع الشام فوجدتها الفي قرية ، منها ألف وستمائة أملاك لأهلها ، وأربعمائة سلطانية ، وكم مقدار ما تقوم به هذه الأربعمائة

---

* قصد الكاتب : الملك الناصر صلاح الدين الذى توفي سنة ٥٨٩ هـ

(١) ابو شامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٢٣٢-٢٣٣

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ٢٣٣ و ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٣ ، ص١٤

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٣ ، ص٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من العساكر ؟ وأريد ان تخرج الدماشقة ليذبوا عن أملاكهم ، الأصاغر والأكابر . ويكون لقاؤنا وهم صحبتك الى نابلس في وقت سماه " (١).

وجلس الفقهاء بجامع دمشق يعظون الناس ، ويحثونهم على الجهاد ، ويحرضونهم عليه، فأجابوا بالسمع والطاعة ، وقالوا : نمتثل امره بحسب الاستطاعة ، وتجهزوا فلما وصل ركابه بالساحل وقسع التقاعد ، وكان تقاعدهم سبباً لأخذ الثمن والخمس من أموالهم . وخرج بعضهم وأقام معه الي ان استطاع فتح قيسارية عنوة " (٢).وفي سنة ٦٤٧ هـ كانت اخر الحملات الصليبية الى الشرق، واستهدفت احتلال مصر ، وفي سنة ٦٤٨ هـ دارت معركة قرب المنصورة كانت في بداية أمرها لصالح الصليبيين ، وفي خلال المعركة توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب ، فاضطربت أحوال المسلمين، رغم ان شجرة الدر قد أخفت خبر موت زوجها ، ووجد أولوا الأمر انّ برسلوا الى القاهرة رسالة تحرض الناس على الخروج لقتال الصليبيين ، ومنعهم من التقدم نحو القاهرة واحتلالها . وقد أنشأ هذا الكتاب البهاء زهير (٣). وكان أوّله :" انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إنْ كنتم تعلمون "٤(٤). ولم يصل نص هذا الكتاب ، غير أنّ المقريزي قد وصفه في خططه، فقال يصف الكتاب ويتحدث عن أثره في نفوس الناس :" فورد في يوم الجمعة من الغد كتاب الى القاهرة من العسكر أوّله :" انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون "(٥).وفيه مواعظ بليغة بالحثّ على الجهاد فقرئ على منبر جامع القاهرة ، وقد جُمع الناس لسماعه ، فارتجّت القاهرة ، ومصر ، وظواهر هما بالبكاء والعويل ، وأيقن الناس باستيلاء الفرنج على البلاد ، لخلو الوقت من ملك يقوم بالأمر ...لكنهم لم يهنوا ، وخرجوا من القاهرة، ومصر ، وسائر الأعمال ، فاجتمع عالم عظيم " (٦).

---

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٦ ، ص٢٣٩

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٦ ، ص٢٣٩

(٣) د. عبداللطيف حمزة ، أدب الحروب الصليبية ، ص ١٥٥

د. أحمد بدوى ، الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية ، ص٤١٨

(٤) المقريزي ، الخطط ، ص ٤١٣

(٥) سورة التوبه ، آيه ٤١

(٦) المقريزي ، الخطط ، حـ١ ، ٤١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رسائل الاستنجـــــــــــــــاد

كثرت في هذا العصر الرسائل التي تستنجد بالمسلمين في كل مكان ، وتطلب منهم ارســـــال النجدات البشرية والمادية للمجاهدين في بلاد الشام ومصر . ففي سنة ٥٥٩ هـ أرسل نورالدين الى بعـض الأطراف كتباً تدعو الزهاد والعباد الى حث الناس على الجهاد للثأر من الصليبيين الذين هزمـــــوه بالبقيعـــة (١).

وأرسل صلاح الدين الى أمراء الأطراف طالباً إنجاده بالعساكر وذلك سنة ٥٨٢ هـ فجاءته من كـــل فج ، وشاركت معه في قتال الصليبيين في معركة حطين(٢). وكان حصار الصليبيين لعكا سنة ٥٨٥ هـ وما تلا ذلك الى أن سقطت بأيديهم سنة ٥٨٧ هـ أشدّ المحن التي تعرض لها صلاح الدين وجيوشه في مصر والشام ، ولذا أرسل صلاح الدين رسله ورسائله الى المسلمين مستنجداً بهم ، داعياً لهم الـــى إرسال النجدات المالية ، والبشرية ، والسفن والأسلحة وكل ما يستطيعون تقديمه . فأرســـــــل صلاح الدين الى الخلافة العباسية في بغداد (٣)، والى سلطا اليمن (٤)، والى ملك المغرب(٥)، دون أن يتلقى من هذه الجهات معونةً تذكر . وبعد صلاح الدين واصل الأيوبيون إرسال رسائل الاستنجاد الى خليـــفة

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، حـ١١ ، ص١٣٥

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٨٣

ابن واصل ، مفرّج الكروب ، حـ٢ ، ص١٨٦

(٣) ابن الأثير ، ديوان رسائل ابن الاثير ، حـ٢ ، ص٧٠-٧٣

- القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ٧ ، ص١٢٦-١٢٨

ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٦٢

ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٣٣٢-٣٣٣، ٣٥٢-٣٥٣

(٤) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٨٨

(٥) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٧٠-١٧٣

ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٤٩٦-٥١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسلمين وملوكهم ، وأرسل المعظم عيسى الى الخليفة العباسي في بغداد مستنجداً به ، ومحذراً له من الخطر الصليبي على بلاد المسلمين ومنها بغداد . وبدأ رسالته ببيتين من الشعر هما :

قل للخليفة لازالت عساكره ... لها الى النصر اصدار وايراد

إنّ الفرنج بحصن الطور قد نزلوا ... لاينفلنّ فحصن الطور بغداد(١)

ولم يعرف عن المماليك أنّهم ارسلوا يطلبون النجدة من أحد من حكام المسلمين ، بالرغم من كونهم واجهوا خطرين هما الخطر الصليبي والمغولي .

واذا نظرنا في رسائل الاستنجاد وجدنا انها ركزت على وصف الصليبيين ، ووصفتهم بالغيرة على دينهم ، والإسراع لنجدة قومهم وأبناء جنسهم ، والتضحية بأموالهم وأنفسهم ، وهجرهم لبلادهم وأولادهم وأهلهم في سبيل عقيدتهم الباطلة ولم تمنعهم طول المسافات ، ولا كثرة المشاق من القدوم لحرب المسلمين والإستيلاء على أراضيهم ومقدساتهم .

وأراد الكتاب من كل هذه التفاصيل إيجاد المبررات التي استدعت طلب النجدة ، وإيجاد الأعذار التي تخفف عن المجاهدين اللوم وتبعد عنهم التقصير في الجهاد . كما انّ هذه الرسائل بيّنت أنّ المسلمين عاجزون عن دفع الخطر وأنّهم بحاجة ماسة الى المساعدة والعون بكافة أشكالها .

يقول العماد في رسالة الى الخليفة العباسي : " ... وقد بلي الإسلام منهم بقوم استطابوا الموت واستجابوا الصوت ، وفارقوا المحبوبين : الأوطان والأوطار ، وهجروا المألوفين : الأهل والديار ، وركبوا اللجج ، ووهبوا المهج ... لايطلبون مع شدّة الإملاق مالاً ، ولا يجدون مع كثرة المشاق ملالاً ، بل يتساقطون على نيران الظبى تساقط الفراش ويقتحمون الردى متدرعين للصبر متثبتين الجأش ..."(٢).

وحتى تتضح الحاجة الى العون والمساعدة فقد أكمل كتّاب رسائل الاستنجاد الصورة السابقة بوصف حال المسلمين مقارنة بحال اعدائهم ، وكانت حالاً لا تسرّ ، فانهم يتضجرون من طول القتال

---

(١) ابو شامه ، ذيل الروضتين ، ص١٠٣

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، جـ٢ ، ص١٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشدائده ، لايصبرون على مشاقه ، ويحاولون الهروب من المعارك ، ويطلبون الأموال لقاء قتالهم أعدائهم .

يقول العماد الأصفهاني : " ... بخلاف أهل الاسلام فإنّهم يتضجرون ولا يصبرون بل يتفللون ولا يجتمعون ، ويتسللون ولا يرجعون ، وإنما يقيمون ببذل نفقة ، واذا حضروا حضروا بقلوب غير متفقه ...(١).

ولجأت هذه الرسائل الى إثارة المرسل اليه بتصوير مبلغ الحاجة الى العون بألفاظ تثير العاطفة والوجدان وتتلاعب بهما ، وتصور الشكوى والحزن والخطر على الدين والأرض والإنسان . فقد خاطب القاضي الفاضل ملك المغرب فقال : " ... ولما كانت حضرة سلطان الإسلام ... أولى من توجه اليه الاسلام بشكواه وبثّه ، واستعان به على حماية نسله وحرثه ..." (٢). وجاء في رسالة للخليفة العباسي : "... فان لم يشتك الدين الى ناصره ... فالى من يشتكي البث ، وعند من يتفرّج بالنفث ..."(٣) . وجاء في رسالة الى سلطان اليمن : " ... وليغضب لله ورسوله ولدينه ولأخيه ..." (٤).

وفصلت هذه الرسائل حال الصليبيين بالتحدث عن كثرة الامدادات التي تصل اليهم من الغرب ، وهي إمدادات متنوعة . وطلبت الى المرسل اليه ان تكون نجداته الى المسلمين أكثر من نجدات أوروبا للصليبيين . إنّ تفصيل الحديث عن هذه النجدات يوضّح للمرسل اليه مبلغ الخطر الذي يهدد المسلمين ويدعوه الى تداركه بإرسال النجدات المماثلة ، وهذا الوصف يقلّل من مسؤولية المجاهدين في حال الهزيمة ، كما أنّه تصوير لمبلغ الجهد المبذول من أجل الإسلام والمسلمين . وفي هذا الوصف والسرد والتفصيل إشراك للمرسل اليهم من المسلمين في النتيجة المترتبة على صعوبة أحوال المسلمين ومحنهم . ومن الرسائل التي تصف نجدات الفرنج رسالة للقاضي الفاضل أرسلها الى ملك المغرب

---

(١) ابوشامة ، الروضتين، حـ٢ ، ص١٦٢

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، حـ ٢ ، ص١٧٣

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٧ ، ص١٢٩

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٧ ، ص٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مستنجداً به ضد الصليبيين المحاصرين لعكّا يقول فيها : " ...وجلب الكفار الى المحصورين بالشام كلّ مجلوب ، وملؤوا عليهم تغريبهم من كل مطلوب ، مابين أقوات وأطعمة ، وآلات وأسلحة، وشلة وجنّة ، وحديد مضروب وزيوف ، ونقدي ذهب وفضّة ، الى أنْ شحنوا بلادهم رجالاً مقاتلة ، وذخائر للعاجلة من حربهم والآجلة ..." (١).

وخاطب صلاح الدين ملك المغرب في هذه الرسالة داعياً له الإسراع بإمداد المجاهدين ، باعثاً العزم في نفسه ، وحاثاً له على إرسال الأساطيل فقال : " ... كان المتوقع من تلك الدولة الغالية ، والعزمة الغادية مع القدرة الوافية ، والهمة المهديّة الهادية ، أنْ يمدّ غرب الإسلام المسلمين بأكثر مما أمدّ به غرب الكفّار الكافرين ، فيملأها عليهم جواري كالأعلام ..." (٢).

وكانت هذه الرسائل تذكّر المرسل اليه أنّ إرسال النجدات الى المجاهدين هي واجب عليه نحو الإسلام والمسلمين : " ... فلم ندعه الا لواجب عليه ... فلا ترضى همته ان يعين الكفر الكفر ، ولا يعين الإسلام الإسلام ... وأهل الجنّة أولى بقتال أهل النار ..." (٣). وكانت هذه الرسائل تحث على الإسراع في إرسال النجدات طاعة لله وجهاداً في سبيله . يقول القاضي الفاضل في رسالة الى سلطان اليمن : " ... فالبدار الى الجنة البدار ، والمسارعة الى الجنة فانها لاتنال الا بايقاد نار الحرب على أهل النار ... " (٤).

وحاول نثر رسائل الجهاد بعث العزيمة والحمية في نفوس المرسل اليهم من حكام المسلمين وذلك بتذكيرهم بحال المجاهدين ، وتصوير مبلغ ذلهم وهوانهم ، ويبدو أنّهم أرادوا تصوير مبلغ المعاناة التي يجدها المجاهدون في جهادهم ، وابعاد أي إتهام لهم بالتقصير في جهاد أعدائهم ، وحثّ حكام المسلمين على مساعدتهم على إكمال واجب الجهاد . وذكّرتهم هذه الرسائل أنّ هؤلاء المجاهدين يقومون بواجب الجهاد نيابة عن المسلمين جميعاً . ووصفت رسالة حال المجاهدين فقالت : " ... هذا مع كونهم أنضاء زحوف ، وأشلاء حتوف ، وضرائب سيوف، قد وسمت وجوههم علامات الكفاح، وأحالت

---

(١) ابو شامة ،الروضتين ، ج٢ ، ص١٧٢

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، ج٢،ص١٧٣

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٢ ، ص٥٠٢

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٧ ، ص٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عـرضهم أقلام الرماح ، صابرين مصابرين ، مكاثرين مكابرين ، مناضلين مناظرين قد قاموا عن المسلمين بما قعد عنه سائرهم ... واثبتوا في معترك الموت أرجلهم ، كلّ ذلك طاعة لله ولرسوله ولخليفتهما ، واذا رموا فأصابوا قالوا : ولكنّ الله رمى ... " (١).

وذكّر نثر رسائل الاستنجاد المرسل اليهم من حكام المسلمين بالمصائب والأحزان والهزائم التي كانت تصيب المسلمين ، وكأنّ الكتاب يحمّلون هذه المصائب للمرسل اليهم وحثّوا ملوك المسلمين على تدارك ما فات والثأر للهزيمة فقد أصبح الجهاد واجباً على كل المسلمين . فقد أرسل العماد الاصفهاني بعد سقوط عكا مستنجداً وقال : " ... وللكرام آجال ، والحرب سجال ، ولله من المؤمنين رجال ، والآن فقد ثارت الحميات ، وهبّت النخوات ، ووجب على كل مسلم أنْ ينهض لنصرة الإسلام ، ويتدارك ما حدث من الكسر بالجبر والإحكام ... فأين ذوو الأنفة والحميّة والهمم العليّة والنفوس الأبية ، أما يهتمون لمصرع من استشهد من إخوانهم ؟ اما يثورون لثأر إيمانهم ؟ اما تبكي العيون لمن قتل من أماثلهم وأعيانهم ..." (٢). ولم يغفل الكتّاب ما للقوة من أثر في النفوس ، فان نفوس الناس تميل الى القوي اكثر من ميلها الى الضعيف ، ولذا فقد كانت رسائل الاستنجاد تقلّل من شأن الصليبيين ، وتؤكد قدرة المسلمين على دحرهم وهزيمتهم ، وكانت هذه الرسائل تكثر من شرح جهاد المسلمين وتعدد انتصاراتهم . يقول القاضي الفاضل في رسالة أرسلها الى سلطان اليمن: "... وما هم بحمد الله في حصن يأويهم بل في سجن يحويهم بل هم أسارى وإن كانوا طلقاء ، وأموات وان كانوا أحياء ، قال الله تعالى " فلا تعجل عليهم إنما نعدّ لهم عدّا " وقال ايضا : " وما هم الا كلاب قد تعاوت ، وشياطين قد تغاوت ...الخ " (٣).

الأسلحه والات القتال في رسائل الجهاد

تنوعت أسلحة المتقاتلين في الحروب الصليبية ، واستعمل الطرفان المتقاتلان الأسلحة التقليدية المعروفة منذ القديم كالسيوف ، والرماح ، والسهام والنبال ، والأقواس - وقد أشارت الرسائل الى هذه الأسلحة او الى حامليها الذين اختصوا بها حتى أطلقت عليهم اسماؤها .

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٧، ص١٢٧

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، ج٢، ص١٩٠

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٧، ص٢٤، ٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الرسائل التي ذكرت هذه الاسلحة رسالة للقاضي الفاضل حيث يقول : "... فاتّـــــه قتلهم بالسيوف الأفلاق ، والرماح الأكسار ، ... وكم فارسية ركض عليها فارسها السهم الى أجـــل فاختلسه ... وفقرت تلك القوس فاها ..." (١). وقال العماد : وكانت منهنّ ملكة استتبعت خمسمائة مقاتل : فارس وراجل ، ورامح ، ونابل ...(٢).

ومن هذه الأسلحة : الطوارق ، والقنطاريات ، والدروع ، فقد أشار العماد الى هذه الأسلحـــة وقال (٣)، : "... وصلت مع ذلك الجمع ، ذوات المقانع من الفرنج مقنّعات ، دارعات ، يحملن الـــى الطعان الطوارق (٤)، والقنطاريات ..." (٥). واستعمل الطرفان المتحاربان كوسات نحاسية ، كانـــت تستعمل لتجميع الجنود أو تدق اشارة الى بدء القتال . فقد جاء في رسالة : " ... ولكوؤس الحـــرب مديريـن ..." (٦).

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٤٩٩

(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٣٣٣

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٣٣٣

(٤) الطوارق : مفردها طارقه ، وتجمع على طوارق او طارقيات . وهي كلمة من أصل لاتيني اختلـــف العلماء في معناها . وقيل : انها تطلق على نوعين من السلاح :

الاول : ترس يحمله الجندي لحماية نفسه اثناء القتال ، وهو ترس مستطيل يغطي معظم الجـــزء الأسفل من الجسم .

الثاني : آلة حربية مكونة من جملة من الالواح الخشبية تستخدم كمتراس يخفي الجنود الرمـــاح والصخور خلفها .

- ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٣٧٩-٣٨٠

(٥) القنطاريات : نوع من الرماح يصنع من خشب يعرف باليونانية بهذا الاسم

ابو شامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق٢ ، ص٤٦٠

ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص١٨٣

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى ، حـ٧ ، ص٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أدوات القتال في الحروب الصليبية الجروخ والستائر . جاء في رسالة بمناسبة فتح عكّا سنة ٦٩٠ هـ : " ... وبينه وبين السور فسحة مكشوفة لايمكن السلوك فيها لأنّ الجروخ (١) مسلّطة عليها الا باتخاذ الستارة ..." (٢) و(٣).

وأشار الكتاب الى كثير من الأسلحة الثقيلة في ذلك العصر ، ومن هذه الأسلحة الأبراج والمنجنيقات ، والدبابات ، والكباش ، واللوالب .

جاء في رسالة من إنشاء القاضي الفاضل الى الخليفة في بغداد (٤) : " ... ولهم خذلهم الله تنوع في المكايدة ، فانهم قاتلوا مرّة بالأبرجة (٥)، وأخرى بالمنجنيقات (٦) وثالثة بالدبابات (٧)، ورابعة بالكباش ، وأخرى باللوالب (٨)..." .

---

(١) الجروخ : جمع جرخ وهي آلة حربية تستعمل لرمي السهام والحجارة ويقال لمستخدمها الجرخي .

(٢) الستائر : مفردها ستارة ، وهي من أهم معدّات الحرب عند المسلمين في العصور الوسطى كانوا يتخذونها من الجلود واللبود المبلولة بالخل والشب والنطرون ، لوقاية الحصون والقلاع من قذائف النفط . وكانت تستعمل بوجه خاص لوقاية الأبراج والدبابات المصنوعة من الخشب . وهناك نوع آخر من الستائر يعلق بعيداً عن الأسوار ليضعف قذائف المجانيق والجروخ لتقل قوتها . ولا تؤثر في جدران القلاع والحصون .

- عن مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٣٠٣

(٣) النص من رسالة في :

المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق ٣ ، ١٠٠٢

(٤) نص من رسالة في : مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٣٥٣

(٥) الأبراج : هذه الأبراج هي التي نصبها الصليبيون على عكا سنة ٥٨٦ هـ ، وكان عددها ثلاثة وقد وصفها ابن واصل في مفرّج الكروب فقال : " ... وكل برج منها في أركانه اربع اسطوانات عاليات غلاظ، طول كل واحدة خمسون ذراعا لتشرف على ارتفاع سور البلد . وبسطوها على دوائر العجل، ثم كسوها بجلود البقر ، وسقوها بالخل والخمر . وكانوا يقربونها كل يوم من البلد على حسب ما يتيسر لهم ، وكشفوا من جوانبها سور البلد ... واشتد خوف المسلمين بسبب هذه الأبراج ، فانها في غاية العظم ، فان كل واحد منها كان يحمل من المقاتلة مايزيد على خمسمائة فارس ويتسع سطحه لأن ينصب عليه منجنيق ".

عن ابن واصل : مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٣١٥/ وقد ارتاع منها المسلمون طويلا الى ان يسّر الله دمشقياً صنع لها قذائف من نفط ورماها بها فاحترقت الواحد تلو الاخر .

- ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٣١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٦) المنجنيقات : مفردها منجنيق ، وهو من آلات الحصار في العصور الوسطى يقوم مقام المدفع الحالي ، وكانت قذائفه من الحجارة • وهو آلة من خشب له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل ، وذنبه خفيف ، وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر • يجدب حتى ترتفع ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة فيخرج الحجر منه • فما اصاب شيئا الا أهلكه •

- ابن شداد، النوادر السلطانيه ، ص ٣٦
- القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ ٢ ، ص ١٤٤

٧- الدبابات : مفردها دبابة ، آلة تتخذ من جلود وخشب ، ويدخل فيها الرجال ، وتقدّم الى الحصن لنقبه ، فيكون الرجال داخلها لايؤثر عليهم ما يرمون به من أعلاهم •

وصف ابن واصل دبابة الصليبيين في حصار عكا سنة ٥٨٦ هـ فقال : " ••• واتخذ العدو دبابة يدخل تحتها خلق عظيم ، وهي ملبّسة بصفائح الحديد ، ولها من تحتها عجل تحرك به من داخل وفيها المقاتلة حتى ينطح بها السور ، ولها رأس عظيم برقبة شديدة من حديد وهي تسمى كبشا تنطح السور بشدة عظيمة ، لكثرة من يجرّها فتهدمه بتكرار نطحها •

- ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٣٣٤

الكباش : مفردها كبش : آلة متصلة بالدبابة ، لها رأس ضخم وقرنان تدفعها الجنود نحو الأسوار • وهي تجمع على كبوش ، وكباش ، وأكبش •

أبو شامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق١ ، ص٣

ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص١٤ ، ص٣٣٤

٨- اللوالب : خطاطيف بحرية ، كان يستعملها البحريون للرمي على مراكب العدو لجذبها وشدّها والعبور اليها عن طريق الواح خشبية و سلالم من الحبال لمقاتلة ملاحيها • وقد استعملها اهل صور عندما حاصرهم الفرنج سنة ٥٠٥ هـ •

- د• سالم عبدالعزيز وآخرون :

البحرية الاسلامية في حوض البحر الابيض المتوسط ، ص ١٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أسلحة البحر في عصر الحروب الصليبية السفن الحربية متعددة الأنواع . ومن هذه السفن: البطس . يقول العماد : " ... فعمدوا الى اكبر بطسة واتخذوا فيها مصقالاً كأنه سُلّم ..."(١).

ومن هذه السفن : الشواني فقد جاء في رسالة بقلم محي الدين بن عبدالظاهر : " ... وقد كنت عرّفتنا أنّ الهواء كسر عدّة من شوانينا ..." (٢).

واستخدم الطرفان المتحاربان النفط . يقول العماد :" ... والقوم قد أصبحوا بتلك البطسة زاحفين وعلى ذلك السلم بعدوهم واقفين ، حتى اذا التصقت البرج التصقت به قوارير النفط ..."(٣).

---

(١) العماد الاصفهاني ، الفتح القسي في الفيح القدسي ، ص٤٢٧-٤٢٨،
البطسة أو البطسة ، ويقال أحيانا بطشة او بطشه ، وقد تحرّف الى بسطة أو بسطه . وتجمع على بطسات ، وبطس ، وبطشات ، وبطش . ومعناها السفينة الكبيرة ، وكانت تستخدم للحرب ، وقد تستخدم لنقل التجارة . وكانت تحمل في العادة مابين ٣٠٠-٧٠٠ مقاتل. وهذه أشهر السفن وأكبرها ، وهي التي حاصرت عكا سنة ٥٨٥ هـ -٥٨٧ هـ .
- ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ ٢ ، ص٧٧
ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٤٨

(٢) ابن عبدالظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، ص٣٨٧-٣٨٨

الشواني : مفردها شيني ، وشينية ، وشونة ، وهي السفينة الحربية الكبيرة ، وهي من أهم قطع الأسطول الاسلامي ، ذكر انها كانت تسير بمائة وأربعين مجدافاً ، وفيها المقاتلة ، والجدافون . ونظراً لضخامتها فقد كانت تقام فيها الأبراج والقلاع للدفاع عنها ، كما كانت ترمى منها النفط والنار على العدو .

(٣) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفيح القدسي ، ص ٤٢٧ -٤٢٨
النفط البحري : نفط خاص بإحراق المراكب ، يجهّز من قطرا ن وكبريت ومواد أخرى مختلطة شديدة الالتهاب ، ولا تنطفيء النيران التي تنشأ من قذف هذا النفط بملامسة الماء ، ويطلق النفط من آلة من النحاس او الحديد تعرف بالنفّاطة . وكثيراً ما يقذف النفاطون النفط بالسهام والنشاب وأحيانا بالمنجنيق .
- د. سالم عبدالعزيز ، تاريخ البحرية الاسلامية في حوض البحر الابيض المتوسط ، حـ١ ، ص١٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصف المنجنيق

بيّن نثر الرسائل في عصر الحروب الصليبية ما للمنجنيق من القوة في هدم الحصون وتدمير الأسوار . ووصفوه بأنه عدو لدود للحصون وجاء في احدى رسائل الجهاد وصف للمنجنيق من انشاء تاج الدين ابن الاثير (١) قال فيها : " ... وهي للحصون من السّد الخصوم ، واذا دقّت حصنا حكم بأنه ليس بامام معصوم ، ومتى امترى خلق في آلات الفتوح لم يكن فيها احد من المترين ، واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، تدعى الى الوغى فتكلم ، وما اقيمت صلاة حرب عند حصن الا كان ذلك الحصن مما يسجد ويسلّم ..." (٢).

الحمام الزاجل في خدمة المجاهدين

كان الحمام الزاجل وسيلة المسلمين في نقل الرسائل التي تحمل أنباء القتال . وهذا النوع من الحمام الذى كان يسمّى حمام الرسائل أتى به نور الدين من الموصل . وكان الباعث على ذلك ان نور الدين رأى اتساع مملكته ، وأنّ الصليبيين كانوا يعتدون على أطراف دولته فلا يصل اليه الخبر الا بعد فوات الوقت ، فأتى بحمام الرسائل ليكون عوناً على حفظ الثغور الإسلامية . واعتنى نور الدين بهذا الطائر ، ورتّب له من يقوم على خدمته ، وأنشأ له المطارات الخاصة . ويُذكر ان الصليبيين قد نازلوا ثغراً للمسلمين فأتاه الخبر ليومه بواسطة الحمام ، فكتب الى جنوده المجاورين لذلك الثغر ، فسارعوا الى الصليبيين وأخرجوهم وخلصوا الثغر منهم (٣).

---

(١) تاج الدين بن الأثير : احمد بن المولى شرف الدين سعيد بن شمس الدين محمد بن الأثير الحلبي. كان كاتبا من كتاب ديوان الانشاء بدمشق ، ثم بمصر كتب للظاهر بيبرس ، والمنصور قلاوون ، وتولى كتابة السر بمصر بعد فتح الدين محمد بن عبدالظاهر . توفي سنة ٦٩١ هـ .

- ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، حـ٨ ، ص٣٤

(٢) الحموي : ثمرات الاوراق ، ص ٢٢٠

اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٤٧

(٣) ابو شامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق١ ، ص٢٠٤ ، ق٢ ، ص٥٢٠

ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٢ ، ص٢٦٩ / القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ٢ ، ص٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أعجب كتّاب الرسائل بهذا الطائر ، فوصفوه ، وأشادوا بدوره في خدمة المرابطين والمجاهدين.

قال عنه العماد الأصفهاني : " ... وقد عم بها نفع المرابطين للغزاة والمجاهدين في سبيل الله في إهداء اخبار الكفرة اليهم من أماكنها ، دالة على مكايدها ومكامنها ، طائرة بكتبهم الى ما وراءهم من الطلائع والسرايا ، مظهرة لهم من أحوالها من خبايا الأمور الخفايا ، وإنها لميمونة المطار ، مأمونة العثار ، سالمة على الأخطار ، مهديّة في الأسفار ، أمينة على الأسرار ، سابقة على الأوكار ، صادرة بالأوطار سائرة الى المؤمنين بنبأ الكفار " (١).

ففي النص السابق أوضح العماد دور الحمام الزاجل في خدمة المرابطين ، فهي التي تحمل الى المسلمين أخبار الكفّار ، وتدلهم على أماكن وجودهم .

ووصفها القاضي الفاضل بأنها تستنفر الجيوش وتجهزها وقال : "... وهي سرحة تحمل من البطائق أجنحة ، وتجهّز جيوش المقاصد والأقلام أسلحه، وتحمل من الأخبار ما تحلّه الضمائر ..." (٢).

ومن أجمل الالقاب التي اطلقت على هذا الطائر أنها ملائكة (٣).

وصف الحصون والقلاع

وصف كتّاب الرسائل في رسائلهم حصون الصليبيين وقلاعهم ، وبيّنوا ما لهذه الحصون من الأذى الشديد على المسلمين . من ذلك ماجاء في رسالة للقاضي الفاضل عن حصن الكرك ، بيّن فيها أنّ هذا الحصن يشبه الشوك في الحلق ، والقذا في العيون ، وأنّه كان يقطع الطريق على الذاهبين اداء فريضة الحج حتى صار عذراً لتارك الحج.يقول القاضي الفاضل عن حصن الكرك : " هو شجاً في

---

(١) ابوشامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق٢، ص٥٢١

(٢) الحموي ، ثمرات الاوراق ، ص٩٧

(٣) الحموي ، ثمرات الاوراق ، ص٩٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحناجـــر ، وقـذاً فيالمحاجـر ، قد أخذ منالآمـال بمخنقهـا ، تقعـد بأرصاد العزائـــــــــم وطرقها ، وصار ذنبًا للدهر في ذلك الفجّ ، وعذراً لتارك فريضة الله منالحج ..." (١).

ووصف الكتّاب حصون الصليبيين وقلاعهم فجعلوا من صفاتها العلو والارتفاع حتى كأنها تلمـــع في السماء ، وتتلفع بالسحاب . فقد جاء في وصف قلعة غزة " ولها قلعة أنفها شامخ في الهـــــــواء وعطفها جامح عنعطفة اللواء ، قد أوغلت فيالجو مرتفعة ، وأومضت فيالليل ملتمعة ، وبـــــرداء السحاب ملتفعة ..." .

وهوّل الكتاب أمر هذهالقلاع ، ووصفوها بالحصانة والمنعة ، حتى عجز الناس عن فتحها وكـــان الكتّاب يهدفون مروراء ذلك الى إظهار قوة الجيش الفاتح وعظمة قائده ، لأن تحقيق النصر يكون عظيماً كلما كان صعبًا ومعجزاً . ومما جاء فيوصف منعة قلعة غزة : " قد صافحتها أيدى الانام بالسلامـــــة من قوارعها ، وهادنتها حوادث الأيام على الأمنمن روائعها ، الى أن أتيح لها من أتاح لها الحيـــــن ، وقيّض لها من اقتضى منها الدين . " (٢).

ووصفالقاضي الفاضل قلعة حمص بعد انستولى عليها صلاح الدين سنة ٥٧٠ هـ وصفاً فنيّـا فـــــي رسالة بعثها الىأحد شيوخ الصوفية ويدعى زينالدين بن نجا (٣). فصورها نجماً في السماء في علوها، أو عقاباً على رأس جبل عال مرتفع فقال : " والشيخ الفقيه قد شهد ما يشهد به من كونها نجماً في سحـاب ، وعقاباً في عقاب " وصورها في علوها رأسا قد تلفع بالسحاب ، واصبعاً قد لمق بضوء الهلال ، وهامـــــة

---

(١) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٥٥

(٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ٧ ، ص٢٢

(٣) زينالدين بننجا : احد علماء المسلمين الذين عاشوا في زمن صلاح الدين، واتصلوا به وكانت صلته بصلاح الدين وثيقة،حتىكان يسميه صلاح الدين عمرو بنالعاص . وكان له دور كبير في كشفالمؤامرة على صلاح الدين التيإشترك فيها الشاعر عمارة اليمني،وكان صلاح الدين يحترمه ، ويحضر مجالســه ليستشيره،ويسمع مواعظه .

- ابنرجب : طبقات الحنابلة ، حـ٢ ، ص٢٠٨ ، ٣١٣، ٣٣٣ .. الخ
- ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩
- ابن كثير، البداية والنهاية ، حـ١٣ ، ص٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لها ألغمامه عمامة ، وأنملة اذا خضبها أصيل كان الهلال منها قلامه (١).

وشبّه القاضي الفاضل قلعة حمص وهي تربض على رأس الجبل بجلوس الرجل القرفصاء ، وقد ضمّ فخذيه وساقيه الى بطنه بذراعيه ، فاعتصمت بهذه الهيئة من ان يقدر عليها الزمن وكانت مثلا في المنعة والحصانة بحيث لايقدر عليها احد . يقول القاضي الفاضل : "(عاقدة حبوة (٢) صالحها الدهر على ان لايحلّها بفرعه ، عاهدة عصمة صالحها الزمن على ان لا يروعها بخلعه " . وقد رماها صلاح الدين بالمنجنيقات مرتين ، وفي المرة الثالثة بدأت حجارة القلعة بالتساقط وبدأت القلعة بالتهدم . يقول الفاضل : " فاكتنفت بها عقارب منجنيقات لاتطبع طبع حمص في العقارب ، وضربت حجارة بها الحجرة فأظهرت منها العداوة المعلومة بين الأقارب ، فلم يكن غير ثالثة من الحد الا وقد أثّرت فيها حدرّيا بضربها (٣). ولم تصل السابع الا والحجارة تنذر بنقبها ، واتسع الخرق على الراقع ، وسقط سعدها عن الطالع " . وطلع اليها صلاح الدين بعد ان فتحت ابوابها ، وتهدمت أبراجها وظهرت نقوبها . يقول القاضي الفاضل : " وسقط سعدها عن الطالع الى موحد(٤) هو اليها الطالع وفتحت الأبراج فكانت أبوابا ، وسيرت الجبال فكانت سراباً فهنالك بدت نقوب يرى قائم من دونها ماوراءها ، وخشيتفيها النار ، فلو لا الشعاع من الشعاع أضاءها (٥).

ووصف ابن الأثير قلعة طبرية بأنها محكمةالبناء يحيط بها خندق عميق وقال : " وهي ذات ركن وثيق ، وخندق عميق ... " (٦).

---

(١) قلامه : ما قطع من طرف الاصبع . وقلاعه الظفر مثل في القلعة والحفارة.

(٢) الحبوة ، جلوس الرجل على البتيه ، وضم فخذيهوساقيه الى بطنه بذراعيه ليستند .

(٣) حدريّا : الضرب من أعلى الى أسفل

(٤) موحد : صلاح الدين

(٥) الرسالة في :

أبو شامة ، الروضتين ، حـ١ ، ص٢٣٩

(٦) رسائل ابن الأثير ، حـ١ ، ص٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الحصون التي وصفها الكتاب في رسائلهم حصن بيت الأحزان . وهو حصن قد بناه الفرنج سنة ٥٧٤ هـ في أثناء انشغال صلاح الدين بالاستيلاء على بعلبك ، وكان حصنا منيعا بيد احدى فرق الصليبيين شديدة العداء للاسلام والمسلمين تدعى الديويه (١). وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان أن بيت الأحزان : بلد بين دمشق والساحل ، سمّي بذلك لأنهم زعموا أنّه كان مسكن يعقوب عليه السلام أيام فراقه ليوسف عليه السلام (٢). وقد هاجمه صلاح الدين سنة ٥٧٥ هـ ، ونقبه من جميع جهاته، وألقى فيه النيران وخرّبه الى الأساس ، وغنم جميع ما فيه ، فكان فيه مائة الف قطعة من السلاح ومن المأكل شيء كثير ، وأخذ منه سبعمائة أسير فقتل بعضهم ، وأرسل الى دمشق الباقي ثم عاد الى دمشق مؤيدًا منصورًا. غير أنّه مات من أمرائه عشرة بسبب ما نالهم من الحرّ والوبا في مدة الحصار ، وكانت أربعة عشر يوماً .

وقد مدح ابن الساعاتي صلاح الدين بعد هذا الفتح وقال :(٣)

أتسكن أوطان النبيّين عصبة ... تمين لدى أيمانها وهي تحلف

نصحتكم والنصح في الدين واجب ... ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

وقد وصف القاضي الفاضل هذا الحصن ، وأوضح ماله من الحصانة، فأشار الى عرضه وقد زاد على عشرة أذرع ، وبيّن ضخامة الحجارة التي استعملت في بنائه ، وذكر أنّ طول الحجر يزيد على سبعة أذرع ، اما عدد حجارته فذكر أنها تزيد على عشرين الف حجر ، وحجارته صلبة وقد سقيت بالكلس الذى يثبّت هذه الحجارة ويزيد من رسوخها .

يقول القاضي الفاضل : " وقد قيس عرض حائطه الى ان زاد على عشرة أذرع ، وقطعت له عظام الحجارة وكل فصّ * منها من سبعة أذرع الى ما فوقها وما دونها ، وعدتها تزيد على عشرين الف حجر ، ولا يستقل في بنيانه الا بأربعة دنانير فما فوقها ، وفيما بين الحائطين حشو من الحجارة الصم

---

(١) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٦، ص١٣

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، حـ١ ، ص٥١٩

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢،ص٨٠-٨٤

ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٢، ص٣٠٣

* فص : ملتقى كل عظمين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرغم بها انوف الجبال الشم ، وقد جعلت سقيته بالكلس الذى اذا أُحاطت قبضته بالحجر مازجه بمثل حجمه ، وصاحبه بأوثق وأصلب من جرمه وأوعز الى خصمه من الحديد بألا يتعرض لهدمه"(١).

وصف حصن الاكراد (٢)

وصف محي الدين بن عبد الظاهر حصن الأكراد بانه يفوق في منعته كل الحصون ، ولذا فهو يفخر عليها معتزا متعالياً . وهذا الحصن في أمن واطمئنان من أن تصل اليه الحرب الشديدة لان موقعه يمنع عنه مثل هذه الحرب . وهذا الحصن مصدر خوف وازعاج للمسلمين في الشام ، فهو كالضبع يخافونه ويخشونه ، وهو كالضبع يسلب عقولهم ويضايق المسلمين ، حتى كأنه يملك امر حياتهم ، ويشل أعمالهم ، ويضيق مدورهم . وهذا الحصن محمي بشجعان كالوحوش الكاسرة في شجاعتها ، وكالأسود في غاباتها ومن له هذه المنعة ، وهذه الحماية كيف لايخضع الحكام المجاورين له ويجبرهم على دفع الجزية والانصياع والطاعه ؟. وكيف لاتخافه مدن الاسلام مثل حماه ، والمعرة ؟. وكيف لاتمد أيديها الى الله بالدعاء اليه ان يفرّج همّهما من ظلم هذا الحصن ؟ وكيف لاتبكي وهي لاتملك لدفع أذاه حيلة أو قدرة ؟.

وقد اعتاد الكتاب ان يبالغوا في تصوير منعة حصون الأعداء ، لان الانتصار على هذه الحصون وفتحها ، فيه معنى الشجاعة والبسالة والقوة للفاتح وجنوده والمسلمين . والكاتب شديد الفرح ،عظيم الاعتزاز بهذا الفتح ، ولذا فقد عظّم فتحه بإبراز آثاره السيئة على المسلمين ، وتصوير الخوف العظيم

---

(١) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٣

ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٢، ص٣٠٤

(٢) حصن الأكراد : حصن منيع على الجبل المقابل لحمص من جهة الغرب ، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان وهو بين بعلبك وحمص . بنى بعض امراء الشام في موضعه برجًا ، وجعلوا فيه قومًا من الأكراد فاصلاً بينهم وبين الفرنج، وجعلوا لهم أرزاقاً ، الا أنّهم خافوا على أنفسهم من غارة فزادوا في تحصين القلعة التي منعت الفرنج عن كثير من غاراتهم فنازلوه ، فباعه الأكراد لهم ورجعوا الى بلادهم وملكه الفرنج . وقد استولى عليه المنصور قلاوون وأخذه من الفرنج سنة ٦٦٨ هـ

ياقوت - معجم البلدان ، حـ٢ ، ص٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والهم الكبير الذين عاناهما المسلمون ومدن الإسلام من هذا الحصن ٠

يقول محي الدين ابن عبد الظاهر في وصف حصن الاكراد:-

" ٠٠٠ فمن ذلك حصن الأكراد الذى تاه بعطفه على الممالك والحصون ، وشمخ بأنفه أنْ تمتد الى مثله الحرب الزبون ، وغدا جاذباً لضبع الشام، وآخذاً بمخانق بلاد الإسلام ، وشللاً في يد البلاد ، وشجاً في صدر العباد ، تنتفى من عشّه صدور الأعداء الكاسرة ، وترتاع من سطوتها قلوب الجيوش الطائرة وتربض بأرباضه آساد تحمي تلك الآجام ٠٠ تعطيه الملوك الجزية وهم صاغرون، ويصطفي كرام أموالهم وهم صابرون لا مصابرون ، كم شكت منه حماة تثني بنكرها قلة الانصاف ، وكم خافته معرّة وما من معرة خاف ، ومازالت ايدى الممالك تمتد الى الله بالدعاء عليه ٠٠٠ تشكو من جور جواره ، تلك الحصون الصياصي ، وتبكي بمدفع نهرها من تأثير آثاره مع عصيانها وناهيك بمدمع العاصي "(١)٠

ووصف شهاب الدين محمود الحلبي حصن المرقب (٢)٠ فصوّره عالياً وكأنه أضيء بالنجوم، وتلفّع بالغيوم ٠ وهو حصن ضخم ، مرتفع ولذا يبدو كأنّ جذره في الأرض وفرعه في السماء ٠ يقول الشهاب محمود : " ٠٠٠ وتقرّط (٣) بالنجوم ، وتقرطق (٤) بالغيوم ، وسما فرعه الى السماء ورسا أصله في التخوم ٠٠٠" ٠

وحصن المرقب حصن حصين ، تحميه الجبال العالية التي لاتجرؤ العقاب على الوصول الى أعلاها ٠ يقول الشهاب محمود: " ٠٠٠ وحوله كل شامخ يتهيّب عقاب الجو قطع عقابه (٥)٠٠٠" ٠ ومما يزيد

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ٧، ص٣٥٣-٣٥٧

(٢) المرقب : بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام ، وعلى مدينة بانياس ٠ عمّر المسلمون الحصن المعروف بالمرقب بساحل جبلة سنة ٤٥٤ هـ ٠ وهو حصن يحدّث كل من رآه انه لم يسر مثله ٠ وقد فتحه السلطان المنصور سنة ٦٨٤ هـ ٠

- معجم البلدان ، حـ ٥ ، ص١٠٩

(٣) تقرّط : تزين

(٤) تقرطق : تلبّس

(٥) عقابه : جمع عقبه أي: المرقى الصعب من الجبال

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيحصانته ومنعته الأودية السحيقة التي تحيط به يقول الشهاب محمود : " ... وحوله من الأودية خنادق لاتعلم منها الشهور الا بأنصافها ، ولا تعرف فيها الأهلّة الا بأوصافها ...(١).

ان الصورة التي رسمها الكتّاب في رسائلهم للحصن كانت تظهره كـ شديد الأذى على المسلمين فهو كالشوكة في الصدر ، والقذى في العين ، وهو حصن محكم في بنائه يقع على تلة عالية ، تحيطه الجبال العالية ، والأودية السحيقة ، وهو مبنيّ على المحاجر ، والطريق اليه ضيّقة حتى إنّ النمل ينزلق عنها .

رسائل التهديد والوعيد

تبادل الفريقان المتحاربان رسائل التهديد والوعيد ، والفخر والاستعلاء وكان الطرف المرسل يزهو بكثرة عساكره ، وشجاعتهم ، ويحاول أنْ يوقع في نفس المرسل اليه الخوف والفزع ، ويدعوه الى الطاعة والانقياد .

ومن رسائل التهديد - التي صدرت عن ملوك الصليبيين الى ملوك المسلمين ، رسالة الامبراطور فردريك الثاني الى الملك لكامل الأيوبي . ففي سنة ٦٢٥ هـ وصل الإمبراطور فردريك الثاني الى عكا ، وأرسل الى الملك الكامل مطالبا بما كان استولى عليه صلاح الدين ، وهو بلاد الساحل بما في ذلك القدس ، ولما وصلت الرسالة الى الملك الكامل ، راسله ، ولا طفه وآثر ان يهادنه ، فعقد معه هدنة أمدها عشر سنين ، تنازل له بموجبها عن بيت المقدس (٢). وجاء في رسالة الامبراطور : "... كان الجيد والمصلحة للمسلمين ان يبذلوا كل شيء ولا اجيء اليهم ، والآن قد كنتم بذلتم لنائبي في زمن حصار دمياط الساحل كلّه ، واطلاق الحقوق بالاسكندرية ، وفعلنا ، وقد فعل الله لكم ما فعل من ظفركم واعادتها اليكم ... ومن نائبي ؟ إنْ هو الا أقلّ غلماني ، فلا أقل من اعطائي ماكنتم بذلتموه"(٣).

---

(١) الرسالة في :
- شهاب الدين محمود ، حسن التوسل في صناعة الترسل ، ص٣٤٩
- اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٤٩

(٢) د. عبداللطيف حمزه ، أدب الحروب الصليبية ، ص١٥٢-١٥٤

(٣) المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ص٢٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الساعة الثانية من نهار الجمعة لتسع بقين من صفر سنة ٦٤٧ هـ وصلت جموع الحملة الصليبية التي استهدفت مصر الى دمياط ، وأرسل قائدها لويس التاسع رسالة تهديد ووعيد الى الملك الصالح نجم الدين أيوب (١). وفي هذه الرسالة افتخر الملك الفرنسي بقوته ، وكثرة عساكره ، وأبدى نصحه للملك المسلم بضرورة الاستسلام . وهي رسالة متوسطة الطول هذا نصّها : " أمّا بعد : فانه لم يخف عليك أني أمين الأمة العيسويّة ، كما انه لايخفى عليّ أنّك أمين الأمة المحمّدية . وغير خاف عليك ان عندنا أهل جزائر الأندلس وما يحملونه الينا من الأموال والهدايا ، ونحن نسوقهم سوق البقر ، ونقتل منهم الرجال ، ونرمل النساء ، ونستأسر البنات والصبيان ، ونخلي منهم الديار ، وأنا قد أبديت لك مافيه الكفاية ، وبذلت لك النصح الى النهاية . فلو حلفت لي بكل الإيمان ، وأدخلت علي الأقساء والرهبان وحملت قدامي الشمع طاعة للصلبان ، لكنت واصلاً اليك ، وقاتلك في أعز البقاع عليك . فاما ان تكون البلاد لي ، فياهدية حصلت في يدي ، واما ان تكون البلاد لك والغلبة عليّ فيدك العليا ممتدة الي.

وقد عرفتك وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي تملأ السهل والجبل ، وعددهم كعدد الحصى ، وهم مرسلون اليك بأسياف القضاء " (٢).

كان الملك الصالح نجم الدين أيوب مريضا (٣). فلما وصل الكتاب ، وقرىء عليه اشتدّ به المرض ، وبكى واسترجع ، وأمر كاتبه بهاء الدين زهير أن يكتب الجواب .

كتب البهاء زهير رسالة ردّا على رسالة الملك الصليبي ، افتخرفيها بأمجاد المسلمين ، وشجاعتهم ، وافتخر على الملك بالإشارة الى انتصارات المسلمين على أعدائهم الصليبيين . وتوعّد الملك الصليبي بمصيره الذي ينتظره في المعركة القادمة بينه وبين المسلمين ، عندها سيعض على أنامله

---

(١) المقريزي ، الخطط ، ص ٤١٠

(٢) المقريزي ، السلوك ، حـ ١ ، ق٢ ، ص٣٣٣

المقريزي ، الخطط ، حـ١ ، ص٤١٠

(٣) المقريزي ، الخطط ، حـ١ ، ص٤٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالندم على ما بدر منه من تهديدات . وتميّزت هذه الرسالة باعتماد الكاتب على كثير من الآيات القرآنية التي تدعم أفكار رسالته ، وترسخها ، وتؤصلها . وكانت هذه الآيات موجزة ولكنها معبرة ، فقد توعده بظلمه الذى سينتهي به الى أسوأ العواقب " وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون " وتهدده بقدرة الله عليه ، وقرب حتفه مستشهداً بقول الله تعالى : " أتى أمر الله فلا تستعجلوه " وقوله تعالى : " ولتعلمنّ نبأه بعد حين " . ودحض مزاعم الملك الصليبي وأوضح له أنّ النصر لايكون بكثرة عدد ، ولا عدّه ، وأكد له ان النصر يكون بتوفيق الله وتأييده واستشهد على ذلك بقوله تعالى : " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين " . الى جانب الآيات القرآنية فقد مال الكاتب الى دعم أفكاره بالحكمة : "ان الباغي له مصرع **بغيك** يصرعك ، والى البلاء يقلبك "(١)

وزلّت قدم الملك الصليبي في المعركة ، ووقع أسيراً ، وانهزم جيشه ، وتشتت شمله ، وفرح المسلمون بنصر الله ، وأرسلوا رسائل البشرى بهذا النصر العظيم . اما رسالة البهاء زهير التي أرسلها الى الملك الصليبي فهذا نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلواته على سيدنا محمد رسول الله ، وآله وصحبه أجمعين ، اما بعد ، فإنّه وصل كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد ابطالك ، فنحن أرباب السيوف ، وما قتل منا فرد الا جدّدناه ، ولا بغى علينا باغ الا دمّرناه . ولو رأت عينك أيها المغرور حدّ سيوفنا ، وعظم حروبنا ، وفتحنا منكم الحصون والسواحل ، وتخريبنا ديار الأواخر منكم والأوائل ، لكان لك أنْ تعضّ على أنامل بالندم ، ولا بدّ ان تزل بك القدم ، في يوم أوّله لنا وآخره عليك . فهنالك **تسوء** بك الظنون ، " وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون " (٢) فاذا جاء كتابي هذا فكن فيه على أول سورة النحل : " أتى امر الله فلا تستعجلوه " (٣) . وكن على آخر سورة ص " ولتعلمنّ نبأه بعد حين " (٤) . ونعود الى قوله تعالى وهو أصدق القائلين

---

(١) المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص٣٥٦-٣٥٧

المقريزي ، الخطط ، حـ١ ، ص٤١٦

(٢) سورة الشعراء ، الآيه ٢٢٧

(٣) سورة النحل ، الآيه ١

(٤) سورة ص الآيه ٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

: " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين (١)٠ والى قول الحكماء : " ان الباغي له مصرع ، بغيك يصرعك ، والى البلاء يقلبك " ، والسلام "(٢)٠

كانت معركة المنصورة سنة ٦٤٨ هـ خاتمة لدور التفوق الصليبي على المسلمين فقد ارتفعت معنويات المسلمين بعد هذه المعركة ، وانقطعت امدادات الصليبيين في الغرب الى الممالك الصليبية في الشرق ، وأصبح المسلمون ينظرون الى ان زوال هذه الممالك اصبح مسألة وقت ، ولذا فقد كثرت رسائل التهديد والوعيد من المسلمين للصليبيين لاسيما في عهد السلطان بيبرس ٠

كان السلطان بيبرس جندياً بارعاً ، وقد اعتمد في حربه مع الصليبيين على المفاجأة ، والخدعة والحيطة والحذر ، والقدرة على التخطيط ، والسرعة في التنفيذ (٣)٠ ولم يتردد بيبرس في إرسال رسائل التهديد والوعيد الى الصليبيين كلما وجد داعياً اليها ٠ ومثال ذلك : أنّ الصليبيين اتهموا المسلمين بنقض هدنة سنة ٦٦١ هـ ، وأخذوا يتهددون المسلمين ويتوعدونهم بالتتار ، وكان السلطان بيبرس قد صالحهم وعقد معهم هدنة سنة ٦٥٩ هـ كان من شروطها : ان لايجدّد الإسبتار بناءً ، غير أنّهم قد خرقوا الهدنة ، وشرعوا في بناء ربض على أرسوف بحجة ، أنّ هذا البناء هو لحمايتهم من صعاليك المسلمين ، والتتار (٤)٠ وأرسل بيبرس الى الصليبيين رسالة تهديد ووعيد دعاهم فيها الى إحسان الجيرة ، وكف الأذى وأوضح في رسالته أنّ المسلمين لايخشون التتار ولا غيرهم ، وأكّد أنّه قاد. ر على الوصول إلى قلاع الصليبيين والاستيلاء عليها لاسيما وهو يملك أعداداً كبيرة من العساكر ٠ وقال في رسالته : " ٠٠٠ اما تجديد الربض لحفظ الصعاليك ، فالبلاد ما تحفظ بالأسوار ، ولا تحفظ الرعية بالخنادق ، ولا تحفظ الا بأحد أمرين : إما بالسيوف والعزائم ، وإما باحسان الجيرة

---

(١) سورة البقره ، الآيه ٢٤٩

(٢) الرسالة في :

المقريزي ، الخطط ، حـ١ ، ص٤١٠

المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص٣٣٤-٣٣٥

(٣) بهاء الدين محمد سعد ، العسكريه الاسلاميه وقادتها العظام ، ص ص١٦٢-١٦٥

(٤) ابن عبدالظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، ص ص١١٧-١١٨ ، ١٥٣-١٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكف الأذى . ومن يخاف من اللصوص لم لايخاف من غيرهم ؟؟ وأما أمر التتار فقد علم كل أحد أنا عندما تحصنتم بالأسوار والخنادق خرجنا الى التتار . وما جعلنا حصوننا الا خيولنا ، ولا خنادقنا الاسيوفنا ، ولا أسوارنا الا رجالنا . وأما قولكم : إنّ قلاعكم ما تخاف إلا الله ، ولا يجسر احد أن يصل اليها ، فسوفترون كيف يكون الوصول اليها إنْ شاء الله تعالى . وما يفزع من أمر التتار إلا مثلكم ، ولا هذه عساكرى أولها فيالفرات ، وآخرها في عيذاب " (١).

وفي سنة ٦٦٦ هـ انتصر السلطان الظاهر بيبرس علىالصليبيين واستولى على انطاكية ، وكانت بيد صاحب طرابلس الصليبي ، الذى كان شديد الاذى على المسلمين حين ملك التتار حلب ، وانهزم منها المسلمون .

كانت انطاكية مدينة حصينة ، كثيرة الخيرات وصفها ابن كثير ، ووصف استيلاء السلطان بيبرس عليها فقال : " ... وهي مدينة حصينة ، كثيرة الخير ، يقال إن دور سورها اثنا عشر ميلاً، وعدد بروجها مائة وستة وثلاثون برجاً ، وعدد شرافاتها اربعة وعشرون شرافة . كان نزوله عليها في مستهل شهر رمضان ، فخرج اليه أهلها يطلبون الأمان ، وشرطوا شروطاً عليهم فأبى أنْ يجيبهم ، وردّهم خائبين ، وصمّم على حصارها ، ففتحها يوم السبت رابع عشر رمضان بحول الله وقوته وتأييده ونصره، وغنم منها شيئاً كثيراً ، وأطلق للأمراء اموالاً جزيلةً ، ووجد من أسارى المسلمين منالحلبيين فيها خلقاً كثيراً ، كل هذا في مقدار أربعة ايام " (٢).

بعد هذا الفتح العظيم، أرسلالسلطان بيبرسرسالة الىيوهمند الصليبي من إنشاء محي الدين بن عبدالظاهر . وكانت رسالة طويلة ، فصيحة بليغة بدأ بيبرس رسالته بالحط من رتبة الملك الصليبي فجعله قومصاً لأنّه فقد عاصمة ملكه ، وصوّره فاقداً لصوابه ، ولذا دعا له بالرشد والسداد . وقالفي هذهالرسالة : " قد علم القومص الجليل ، المنتقلة مخاطبته - بأخذ انطاكية منه - من البوليسيّة الىالقومصيّة ، الهمه الله رشده ، وقرن بالخير قصده ، وجعل النصيحة محفوظة عنده ...".

---

(١) ابن عبدالظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، ص١٥٣

المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص٩٦٥

(٢) ابن كثير ، البداية والنهايه ، حـ ١٣ ، ص٢٥١-٢٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم شرع في تذكير الملك الصليبي بما أصاب مدينته طرابلس من التدمير والخراب ، ومـــا وقع في صفوف جيشه من القتل والأسر ، ورسم الكاتب صورة لذل الصليبيين ، وعزة المسلمين : فقد غزاهم المسلمون في عقر دارهم وهدموا عمائرهم ، وقصوا أعمارهم ، وأزالوا كنائسهم عن الأرض ولـــم يتركوا لها أثراً . وقد قتلوا كثيراً من فرسان الصليبيين حتى أصبحت جثثهم تلالاً ، وقطع المسلمـــون أشجارهم ، ونهبوا أموالهم ، وسبوا نساءهم ، وتزوجوا بهنّ . وذكّر الملك الصليبي أنّ ما حدث مـــن خراب وتدمير على أيدي المسلمين كان بمعرفته وعلمه . ورسم صورة رائعة لخوف الملك الصليبي ، فقد بلغ الخوف به حداً جعله يتصور أنّ كل صوت يسمعه هو صوت يبحث عنه . وجاء في الرسالة : " قد علـم القومص الجليـل ... ماكان من غزونا طرابلس ، وغزونا له في عقر الدار ، وما شاهد بعـــد رحيلنا من اخراب العمائر ، وهدم الأعمار ، وكيف كنست تلك الكنائس من على بساط الأرض ، ودارت الدوائر على كل دائر ، وكيف جعلت تلك الجزائر من الأجساد على ساحل البحر كالجزائر ، وكيـــف قطرت الرجال ، واستخدمت الأولاد ، وتملكت الحرائر . وكيف قطعت الأشجار ، ولم يترك الا مـــا يصلح لأعواد المجانيق ان شاء الله تعالى والستائر . وكيف نهبت لك ولرعيتك الأموال والحريـــم ... والحواشي ، وكيف استغنى الفقير ، وتأهل العازب ، واستخدم الحريم ، وركب الماشي هـــذا وأنت تنظر نظر المغشي عليه من الموت ، واذا سمعت صوتاً قلت فزعاً : عليّ هذا الصوت ..." .

وبعد ان ذكّره بما أصاب مدينته السابقة طرابلس ، شرع في التحدث عن غزو المسلمين لانطاكيـة ووصف حالة الفزع والخوف التي أصابت اصحابه ورهبانه ، وحدد زمن احتلالها باليوم والشهر والسنـــة وقال " ... كان رحيلنا من طرابلس يوم الأربعاء ، ونزولنا على انطاكية في شهر رمضان ... وداخـــل الرهب الرهبان ، ولان للبلاء القسطلان ، وجاء هم الموت من كل مكان . وفتحناها بالسيف في الساعـــة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان ..." .

ثم رسم صورة مفصلة لذل الصليبيين ، وقوة المسلمين ، وعزّتهم ، فقد قتل المسلمون المدافعين الصليبيين عن انطاكية ، وهم خيرة جنود الصليبيين وفرسانهم ، وهم قد وقعوا صرعى فداستهـــم أرجل الخيـــول .

ثم وصف حال المسلمين وهم يصولون ويجولون في المدينة ، يأسرون وينهبون ، يبيعون ويشتـــرون يقول ابن عبد الظاهر : " ... وقتلنا كل من اخترتـه لحفظها والمحاماة عنها ، فما كان احد منهـــم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الا وعنده شيء من الدنيا ، فما بقي أحد منا الا وعنده شيء منهم ومنها . فلو رأيت خيالتك وهي صرعى تحت أرجل الخيول ، وديارك والنهّابة فيها تصول ، والكسّابة تجول ، وأموالك وهي توزن بالقنطار، واماءك وكل أربع منها تباع فتشترى من مالك بدينار ..." .

ولم ينس ابن عبد الظاهر ان يذكر الملك الصليبي بما حصل لدينه من الذل ، فقد هدم المسلمون كنائسه ، وفرقوا اناجيله المزورة ، وحفروا قبور الرهبان والقديسين ونثروها ، وداس المسلمون مذابح الصليبيين ، وأماكن عبادتهم ، وقتلوا فيها الرهبان ، والقساوسة ، والبطارقة .

يقول ابن عبد الظاهر : " ... ولو رأيت كنائسك وصلبانها قد كسرت ونثرت وصحفها من الأناجيل المزورة وقد نثرت ، وقبور البطارقة وقد تغيّرت ، ولو رأيت عدوك المسلم وقد داس مكان القداس ، والمذبح وقد ذبح فيه الراهب والقسيس والشماس ، والبطارقة وقد دهموا بطارقه ..." . ثم ذكّر ابن عبدالظاهر الملك الصليبي بانتصارات المسلمين السابقة عليه ، وبالحصون التي استرجعها المسلمون منه وهي : دركوش ، وشقيف ، وتل قنس وشقيف كفردبين ، وانطاكية وما احاط بها من حصون وقال : " ... ولتعلم انا قد أخذنا منك ـ ماكنت أخذته من حصون الاسلام ـ وهو : دركوش(١) ، ـ وشقيف (٢)، وتل قنّس (٣) ، وشقيف كفر دبين (٤)، وجميع ماكان لك في بلاد أنطاكية في هذه المدة اقامة ..." . وختم ابن عبدالظاهر رسالته بالاستهزاء بالملك الصليبي ، وبشّره بسلامة نفسه وقد هلك ماسواها من جنده ورعيته ، ودعاه الى الطاعة والانقياد وقال في رسالته : " ... وسلامة النفس هي التي يفرح بها الحي اذا شاهد الاموات ، ولعل الله انما اخرك لان تستدرك من الخدمة والطاعة ما فات، ولما

---

(١) دركوش : حصن قرب انطاكية
ـ ياقوت ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٤٥٢

(٢) شقيف : قلعة حصينة جدا في كهف من الجبل قرب بانياس ، من ارض دمشق بينها وبين الساحل .
ـ ياقوت ، معجم البلدان ، حـ ٣ ، ص٣٥٦

(٣) تل قنّس : حصن قرب معرّة النعمان / من : ياقوت ، معجم البلدان جـ٥ ، ص٤٤

(٤) شقيف كفر دبين : قلعة صغيرة قرب انطاكية ، ودبّين ضيعة كالربض لها .
ـ ياقوت ، معجم البلدان ، حـ٣، ٣٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يسلم أحد يخبرك بما جرى خبرناك ، ولما لم يقدر أحد ان يبشرك بسلامة نفسك وهلاك ما سواها باشرناك بهذه المفاوضة وبشرناك ..." (١).

لقد كانت هذه الرسالة كما يقول القلقشندي صورة الحال في النصرة على المهزوم ، والاستيلاء على بلاده وأمواله ، وسائر ذات يده ، وأسر رجاله ، واسترقاق ذراريهم ونسائهم ، مما فيه ايلام خاطره ، وتقطيع قلبه حسرات على ما ناله ، ونحو ذلك مما يدعو المكتوب اليه الى الطاعة ، ويوجب الانقياد " (٢).

وقيل ان ملك انطاكية لم يسمع بخبر سقوطها بيد المسلمين الا بعد وصول هذه الرسالة .

وفي سنة ٦٦٩ هـ استولى بيبرس على حصن الأكراد ، فانهزم الفرنج الى تلة قريبة منه ، فتبعهم المسلمون ، واحضروا جماعة منهم ، وأطلقوهم صدقة عن ولده الملك السعيد ، وأمّن جميع الفرنج على انهم يتوجهون الى بلادهم . وفي يوم الثلاثاء رابع عشر من شعبان خرج الفرنج من الحصن وتسلمه(٣). ثم أرسل السلطان بيبرس رسالة الى مقدّم الاسبتار أكّد فيها ان إرادة الله فوق مناعة الحصن ، وقوة الحامين له ، وذكره ان استيلاء جيشه على الحصن هو توفيق من الله ، وافتخر بقوة جيش المسلمين وقال في هذه الرسالة التي انشأها محي الدين بن عبد الظاهر : " هذه المكاتبة الى امبريراوك - جعله الله ممن لايعترض على القدر ، ولا يعاند من سخر لجيشه الظفر والنصر ، ولا يعتقد أنّه منجي من امر الله الحذر ، ولا يحمي منه محجور البناء ولا مبنى الحجر ؟ نعلمه بما سهل الله من فتح حصن الأكراد ، الذي حصنته وبنيته ، وخليته وكنت الموفق لو أخليته ، واتكلت في حفظه على اخوتك فما نفعوك،

---

(١) الرسالة في المصادر التاليه :

- ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، ص٣٠٩-٣١٣
- القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٨ ، ص٢٩٩-٣٠٢
- المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق٣ ، ٩٦٦-٩٦٩

(٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ٨ ، ص٢٩٩

(٣) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، ص٣٧٥-٣٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وضيّعتهم بالإقامة فيه فضيعوه وضيعوك ، وما كانت هذه العساكر تنزل على حصن ويبقى ، أوتخدم سعيداً ويشقى " (١).

وفي هذا العام ٦٦٩ هـ استولى بيبرس على حصن عكّار ، وأطلق من فيه ومنّ عليهم ورحّلهم الى طرابلس ، وتسلّم القلعة بعد عشرة ايام ، وحوّل كنيستها جامعا وقد أدى استيلاؤه على حصن عكار الى استسلام عدد من الحصون منها طرسوس ، والمرقب (٢).وعلى اثر هذا الانتصار ارسل بيبرس الى بوهمند الصليبي رسالة فاضتبعبارات الفخر بقوة عساكر المسلمين ، الذين نقلوا المنجنيقات الى أعالي جبال شاهقة ، وصعبة المسالك حتى على الطيور اذا أرادات ان تبني لها أوكارا في تلك الجبال وكيف نصبوا المنجنيقات في أماكن صعبة ودقيقة لا يستطيع النمل ان يسير فيها . وكيف سلكوا أودية سحيقة ، ولم يبالوا بحرارة الشس ، ولا كثرة الامطار ، ولا شدّة الاوحال ـ وقال في هذه الرسالة : " قد علم المقومص ... نزلنا بعد حصن الاكراد على حصن عكار ، وكيف نقلنا المنجنيقات اليها في جبال تستصعبها الطيور لاختيار الأوكار ، وكيف ضربنا في حرّها في مناكدة الأوحال ، ومكابدة الأمطار ، وكيف نصبنا المنجنيقات على أمكنة ينزلق عليها النمل اذا مشى ..." .

وبعد أن وصف شجاعة رجاله وقوتهم منّ على الملك الصليبي باطلاق سراح أسراه وذلك كي يحدثوه كما شاهدوه في هذه المعركة ، وليحذروا أهل طرابلس من تصديقه وعهده ، في نهاية رسالته بهدم كنائسه ، وبسفك دمه ودمجنوده أو أسرهم ووضع القيود في أيديهم . وجاء في هذه الرسالة : " ...ومن بقي من رجالك أطلقوا ولكن جرحى القلوب والجوارح ، وسلموا ولكن من ندب السيوف الى بكاء النوائح ، وأطلقناهم ليحدثوا القومص بما جرى ، ويحذروا أهل طرابلس من أنهم يفترون بحديثك المفترى، ويروهم الجراح التي أريناهم بها نفاذاً ، ولينذروهم لقاء يومهم هذا ، ويفهموك أنّه مابقي من حياتهم الا القليل، وانهم ما تركونا الا على رحيل ، فتعرف كنائسك وأسوارك أنّ المنجنيقات تسلم عليها الى حين الاجتماع عن قريب ، ونعلم أجساد فرسانك ان السيوف تقول لها : إنها عن الضيافة لاتغيب . ... يعلم القومص هذه الجملة المسرودة ويعمل بها ، والا فيجهز مراكبه ومراكب أصحابه ، والا فقد جهزنا قيودهم وقيوده ... (٣).

---

(١) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص٣٧٦

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣، ص٢٥٩

(٣) ابن عبدالظاهر ، الروض الزاهر ، ص٣٨١ / والمقريزي ، السلوك ، جـ١ ، ق٣ ، ص٩٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي هذا العام ٦٦٩ هـ بلغ السلطان الظاهر بيبرس ان ملك قبرص قد ركب الى عكا لينصر الصليبيين فيها على المسلمين ، فأراد السلطان ان يغتنم فرصة غيابه عن قبرص ويحتلها . فجهّز اثني عشر شينيًا لغزو الجزيرة والانتقام من أهلها وملكها ، ولجأ قائد هذه السفن الى الحيلة والخداع لمباغتة العدو ، وذلك بأن طلى ظاهر السفن بالقار ، ورسم على أعلامها الصلبان كما يفعل الصليبيون في سفنهم .وأُنكر بعض المجاهدين على قائدهم هذا العمل ، ولكنهم تقيدوا بأوامره بعد اقتناعهم بأن الحرب خدعة ، وأن مصلحة المسلمين تقتضي اللجوء الى الحيلة لايهام العدو بأن السفن القادمة سفن مسيحية . سارت هذه السفن مسرعة الى قبرص ، ولما وصلت هبّت عليها ريح عاصف فاصطدمت السفن ، وانكسر بعضها وغرقت بمن فيها ، وأسر بعضها بمن فيها ، وأخذ كل ما معهم . ولما علم ملك قبرص أرسل الى السلطان بيبرس يقرّعه ويوبخه ويشمتبه ، فغضب بيبرس وقال : الحمد لله منذ ملكني الله تعالى ما خذلت لي راية ، وكنت أخاف من اصابة عين ، فبهذا ولا بغيره ، وكتب الى القاهرة بانشاء عشرين شينياً ، وأحضر خمس شواني كانت على مدينة قوص من صعيد مصر ، ولازم الركوب الى مكان صناعة السفن الى أن انشئت العشرين التي أمر بها (١).

أمّا اسرى المسلمين في قبرص فقد فادى ببعضهم بيبرس أسرى من الصليبيين ، وبقي في الأسر ستة نفر هم الرؤساء في تلك الغزوة ، وحاول بيبرس شراءهم ، فتغالى الفرنج فيهم وقالوا : " هؤلاء جمرة البحار ، وفرصة الأعمار " . ونقلهم الصليبيون الى عكا ، وجعلوهم في حصن حصين . غير ان بيبرس دبّر أمر انقاذهم ببذل الأموال للمتوكلين بهم ، فسُرِقوا من جبا القلعة ، وخرجوا في مركب ، وكانت بانتظارهم خيل واقفة ، ركبوها ولم يدر بهم أحد في عكا ، ووصلوا الى القاهرة ، وقامت بسببهم فتنة بين الصليبيين في عكا (٢).

أرسل ملك قبرص الصليبي رسالة الى بيبرس مفتخراً بما حصل لسفن المسلمين ، وشامتاً بهم.

---

(١) ابن عبدالظاهر ، الروض الزاهر ، ص٣٨٦-٣٨٧

- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ٢٥٩
- المقريزي ، الخطط ، ج٣ ، ص١٣
- المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص٥٩٤

(٢) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص٤٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأرسل بيبرس له رداً عنيفاً دحّض فيه افتراءاته ، ومزاعمه عن نصر لم يكن هو صانعه . وقد انطلق بيبرس في ردّه على الملك الصليبي من مبادىء العقيدة الإسلامية في التسليم بقضاء الله وقدره والاتكال عليه وقال : " ... ان الله اذا أسعد انساناً دفع عنه الكثير من قضائه باليسير ، وأحسن له التدبير فيما جرت به المقادير ... واتكل واتكلنا ، وليس من اتكل على الله كمن اتكل على الريح ..." .

وردّ على الملك الصليبي بأن الاستيلاء على الحديد ليس امراً عجيباً ، إنما العجيب هو الاستيلاء على الحصون ، ولذا فقد أبلغه باستيلاء المسلمين على حصن القرين (١). وقال : " ... ونحن الآن نبشره بفتح القرين ، وأين البشارة بتملك القرين بالبشارة بما كفى الله ملكنا من العين ، وما العجب ان يفخ بالاستيلاء على حديد ، وحسب الاستيلاء على الحصون المنيعة هو العجب ..." .

وافتخر بيبرس في رسالته بقوة المسلمين ، وشجاعتهم وقارن بين الطرفين وأوضح ان المسلمين يستطيعون ان يبنوا كل يوم ماية قلعة ، و أن ينشئوا المراكب الكثيرة ، وذكّر الملك الصليبي بما كان قد استولى عليه المسلمون من حصون الصليبيين وقال مقارناً : " ... ونحن ننشيء في يوم واحد عدة قطايع ، ولا ينشيء لكم في حصن قطعه ، ونجهز ماية قلعة ولا تجهز لكم في ماية عام قلعة ... وأن عدمت من بحرية المراكب آحاد ، فعندنا من بحرية المراكب ألوف ... وأين الذين يطعنون بالمقاديف في صدر البحر من الذين يطعنون بالرماح في صفوف الصفوف ... فلئن كنتم أخذتم لنا قرية مكسورة فكم أخذنا لكم من قرية معمورة ، وإنْ استوليتم على سكان ، فكم أُخلينا بلادكم من سكان ..." ودعاه في نهاية رسالته الى السكوت وقال : " ... ولو أنّ في الملك سكوتا كان الواجب عليه أنْ سكت وما تكلّم " (٢).

وأخيراً فيمكن القول ان نثر الرسائل في عصر الحروب الصليبية كان أدبا ملتزماً بالتعبير عن حاجات المجتمع المسلم وقضاياه الملحة لاسيما الجهاد ضد الصليبيين . ووصفت الرسائل في ذلك العصر مشاعر المسلمين نحو بيت المقدس ، وترجمت أحلامهم وأمانيهم باستعادته من الصليبيين.

وواكبت رسائل عصر الحروب الصليبية جهاد المسلمين ، وسجلت انتصاراتهم، ووصفت

---

(١) القرين : حصن منيع للإسبتار لساحل الشام استولى عليه بيبرس سنة ٦٦٩ هـ .
- ابن عبدالظاهر ، الروض الزاهر ، ص٣٨٥-٣٨٦

(٢) ابن عبدالظاهر ، الروض الزاهر ، ص٣٨٧-٣٨٨/والمقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص٥٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معاركهم مع أعدائهم ، ورسمت صورة مفصلة لهذه المعارك ، أشارت فيها الى أسلحة المتقاتلين ووصفت الطرفين المتقاتلين ، وأشارت الى أنظمة التعبئة وأساليب القتال ، وتحدثت عن نتائج المعركة ، وأرختها - وعظمت الأبطال ومجدتهم ووصفتهم بالشجاعة والاقدام ، والعفو والتسامح، والكرم والغيرة على الدين ، والحرس على الاسلام والمسلمين ...الخ .

ووصفت رسائل هذا العصر حصون الصليبيين وقلاعهم ومدنهم ، ووصفت هذه الحصون والقلاع والمدن ، وبينت ما لهذه الحصون والقلاع والمدن من أذى على المسلمين ، الأمر الذى جعل المسلمين يسارعون الى احتلالها .

ووصفت رسائل الجهاد في عصر الحروب الصليبية أحوال المجاهدين المادية والمعنوية وحثتهم على الصبر والصمود ومواصلة الجهاد . ودعت المسلمين خارج مصر والشام الى انجاد المجاهدين بالأسلحة والأموال والجيوش . وافتخرت هذه الرسائل بقوة المسلمين ، وردت على تهديدات الصليبيين ، وسخرت بهم وبخيتهم ، وهددتهم بهدف تحطيم روحهم المعنوية .

كانت الحروب الصليبية سبباً في كثرة الرسائل ، وتطورت هذه الرسائل فنياً بسبب وجود ديوان الانشاء في مصر والشام ، ووجود عدد من كبار الكتاب على رأس هذا الديوان ، ومن هؤلاء الكتاب : القاضي الفاضل (١)، والعماد الأصفهاني (٢) ، وابن الأثير (٣) ، وبهاء الدين زهير (٤) ، ومحي الدين بن عبد الظاهر (٥) ، وشهاب الدين محمود (٦) وغيرهم.

---

(١) القاضي الفاضل : ابو علي عبدالرحيم بن علي بن الحسن اللخمي البيساني العسقلاني المصرى كان يلقب محي الدين ، وقيل مجير الدين ، ولد سنة ٥٢٩ هـ بمدينة عسقلان وكان أبوه قاضياً فيها فنسب اليها . تعلم الكتابة والإنشاء في ديوان القاهرة على ابن الخلال ، ثم عمل في الانشاء في دواوين الاسكندرية ودمشق والقاهرة . /عن : ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهره جـ٦ ،ص١٥٦ـ ١٥٧ ، السيوطي ،حسن المحاضرة ،٢٤٢، النويرى نهاية الأرب جـ٨، ص١٠١

(٢) العماد الأصفهاني : ابو عبدالله محمد بن محمد بن حامد المعروف بالعماد الكاتب ، ولد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأصبهان سنة ٥١٩هـ . ودرس في المدرسة النظامية ، ثم رحل الى دمشق واتصل بنور الدين وخدمه ، ثم اتصل بصلاح الدين وخدمه وصار من كبار كتابه ، ينوب عن القاضي الفاضل في ديوان دمشق .

يا قوت ،معجم الادباء ،ج١٩ ،ص١١ـ ١٥ ـ ؛ وابن تغري بردي،النجوم الزاهرة ،ج٦ ،ص٧٣

(٣) ابن الأثير : ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمدبن عبدالكريم ، وليد بجزيرة ابن عمر ، وينسب اليها فيقال الجزري . تفقّه بالموصل ، ثم رحل الى الشام ، واتصل بصلاح الدين وخدمه ، ثم كتب للملك الأفضل علي بن صلاح الدين ، فقرّبه واستوزره ، وأصبح من أخص خواصه ، وكان له شأن سير الأحداث السياسية في مملكة الأفضل بعد موت صلاح الدين.

ابن العماد ،شذرات الذهب ،جـ٥ ،١٨٧

(٤) البهاء زهير : ابوالفضل زهير بن محمد بن علي بن يحي بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم الأزدي المكي القوصي المنشأ المصري الدار . ولد قرب مكة سنة ٥٨١ هـ ، وتربى بقوص من صعيد مصر . خدم الملك الصالح نجم الدين أيوب وأخلص له .

ابن كثير ،البداية والنهاية ج١٣ ،ص٢١٦

(٥) محي الدين بن عبد الظاهر : عبدالله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدي المصري . ولد في القاهرة سنة ٦٢٠ هـ . تولى رئاسة ديوان الانشاء زمنا طويلا ، وخدم ثلاثة من سلاطين المماليك هم : بيبرس ، وقلاوون ، والأشرف خليل ، ووضع ابن عبدالظاهر كثيراً من مصطلحات الكتابة الديوانية وانشاء الرسائل في ذلك العصر ـ وأرخ سير واحداث عصره فألف " الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر " و " الألطاف الخفية في السيرة السلطانية لأشرفية" وله من المؤلفات : " تمام الحمام " و" الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة " .

ـ ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة جـ٨،٣٨٧ ـ المقريزي ،الخطط ج١ ،ص٧

(٦) شهاب الدين محمود : ابو الثناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبي الدمشقي ، ولد سنة ٦٤٤ هـ في حلب ، تولى كتابة الانشاء في دمشق والقاهرة ، ووضع خلاصة تجاربه في الانشاء في كتاب سمّاه : " حسن التوسل في صناعة الترسل "ـ ابن العماد ،شذرات الذهب ،ج٦ ، ص٩٦
العسقلاني ،الدورر الكامنة جـ٥،ص ٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شارك بعض الكتاب حكام المسلمين جهادهم ضد الصليبيين مشاركة فعلية (١). ودونوا مشاهداتهم عن معارك المسلمين على شكل رسائل ومؤلفات ، ونالوا منزلة عالية عند الخلفاء والسلاطين ، فصلاح الدين كان يصف القاضي الفاضل ويذكر فضله ويقول : " ... لا تظنوا اني ملكت البلاد بسيوفكم بل بتعليم القاضي الفاضل ..." (٢).

دوّن كتّاب ذلك العصر أحداثه في مؤلفات هي الان من أهم المصادر عن حروب ذلك العصر، ومن هذه المؤلفات : " الفتح القسي في الفتح القدسي "وفي هذا الكتاب أرّخ العماد معارك صلاح الدين وانتصاراته منذ فتح بيت المقدس الى آخر حياته .

وأرّخ ابن شداد سيرة صلاح الدين ومعاركه في كتاب أطلق عليه : " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفيه " .

وسجل محي الدين بن عبد الظاهر سيرة بيبرس ومعاركه في كتاب سماه " الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر " .

---

(١) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٣٠٩

(٢) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان، حـ ١ ، ص٤٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــــــل الثالـــــــــــــــث

****

الرسالـــــة : ديوانهـــا وبناؤهـــا وأسلوبهـــــــــــــــــــــا

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ديوان الانشاء في القاهـــــــــــرة

ان الحديث عن فن الترسل يقود بالضرورة الى الحديث عن ديوان الانشاء ، فقد كان هـــــــذا الديوان هو الجهاز الذي يتولى مهمة المراسلات الرسمية للدولة في الداخل والخارج ، وكان رئيـــس هذا الديوان يلقب بصاحب ديوان الرسائل أو متولي ديوان الرسائل (١) . ثم اتسعت أعماله لتشمـــــل غير الرسائل - كما هي الحال في عصر الحروب الصليبية والعصور التي تلته - فأطلق عليه ديـــــوان الانشاء ، ولقب صاحبه بصاحب ديوان الانشاء .

أصبح ديوان الإنشاء في القرنين السادس والسابع جهازاً محكم التنظيم ، يعمل فيه كتـــــــاب مدربون ماهرون ، كانوا يختارون من ذوي الثقافة الواسعة ، والكفاية الادارية والسياسية والفكرية .

وقد وجد ديوان الانشاء في مصر منذ القديم ، فزمن وجوده يعود الى أيام الطولونيين . واشتهر من كتابه في زمانهم ابو جعفر محمد بن أحمد بن مودود المعروف بابن عبد كان (٢) . ولما استولى الفاطميـــون على مصر زادت عنايتهم بديوان الإنشاء ، وجعلوا عليه جماعة من أفاضل الكتاب وبلغائهم مابيـــــن مسلم وذمّي (٣) . وقد استهدف الفاطميون من عنايتهم بديوان الانشاء ادارة دولتهم الجديدة ، ونشـــــر معتقدهم الشيعي في مصر والاقطار الإسلامية المجاورة (٤) . ولذا فقد بحثوا عن مهرة الكتاب دون التفريق بين معتقداتهم . ومنحوا كتاب الإنشاء اهتماماتهم المادية والمعنوية . ووصف القلقشندي مكانة صاحب

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ، ص١٠٣

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ، ص٩٥ - والسيوطي ، حسن المحاضرة ، ج٢ ، ص١٣١

ابن عبد كان : من كتاب احمد بن طولون ، عرف بجودة أدبه وفنه ، قال عنه ابن النديم فـــــي الفهرست " كان بليغاً ، مترسلاً فصيحاً ، له ديوان رسائل كبير " - ابن النديم ، الفهرســـــت ، ص١٩٧ ، وعن حياته وفنه راجع : د. شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ص٣٤٨-٣٥١ .

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ، ص٩٦

(٤) د. شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ص٣٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ديوان الإنشاء في مصر فقال : " وهو أول أرباب الإقطاعات في الكسوة والرسوم والملاطفات ولا سبيل ان يدخل الى أبوابه أحد ، ولا يجتمع بأحد من كتابه الا الخواص ، وله حاجب من الأمراء الشيوخ ، وله في مجلسه المرتبة العظيمة والمخاد والمسند ، والدواة العظيمة الشان ، ويحمل دواته أستاذ من خواص الخليفة عند حضوره الى مجلس الخلافة " (١).

ورئيس هذا الديوان أمين أسرار الدولة والخليفة ، وهو دائم الصلة بالخليفة ومستشاره فيما يعرض له من أمور الملك والسلطان ، وكان يسمى كاتب الدست ، ويخاطب بالشيخ الأجل . يقول المقريزي : " وكان لايتولاها الا أجل كتّاب البلاغة ، ويخاطب بالشيخ الأجل ، ويقال له كاتب الدست الشريف .. والخليفة يستشيره في أكثر أموره ، ولا يحجب عنه متى قصد المثول بين يديه ، وهذا الأمر لايصل اليه غيره ، وربما بات عند الخليفة ليالي " (٢).

ولما استقل صلاح الدين بملك مصر ، ولّى القاضي الفاضل على ديوان الإنشاء فصار كاتبه ، ووزيره ومستشاره ، وبقي على ذلك الى أن مات صلاح الدين فكتب بعده لابنه العزيز ، وأخيه العادل (٣).

وازدادت العناية بديوان الانشاء في زمن صلاح الدين ومن تلاه من حكام المسلمين من أيوبيين ومماليك بسبب قيام الحروب الصليبية ، واحتياج المسلمين الى ارسال الرسائل الى الأقطار الإسلامية لطلب النجدة ، او الحث على الجهاد ، أو التهاني بالفتوح ، او ارسال الرسائل الى الصليبيين ، أو ترجمة الرسائل الواصلة منهم . ولما كان صاحب ديوان الانشاء هو الأمين على أسرار المسلمين ، فقد نهاهم الحكام عن كثرة الاختلاط بالناس حتى لايكون اختلاطهم سبباً في افشاء أسرار المسلمين ، فقد صرف الملك الصالح نجم الدين أيوب احد كتاب الانشاء عن منصبه بسبب كثرة خلطته بالناس وقال: " هذا لايحتمل مثل هذا " (٤).

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ، ص١٠٢

(٢) المقريزي ، الخطط ، ج٢ ، ص١١٦

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ، ص٩٧

(٤) المقريزي ، الخطط ، ج٣ ، ص٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر صاحب صبح الأعشى أنّه قد جُعل حاجب لصاحب ديوان الانشاء لايمكن احداً من سائر الناس ان يدخل اليه ، بسبب ما عنده من أسرار السلطان الواجب كتمها . يقول القلقشندي : " ينبغي لصاحب ديوان الانشاء ان يقيم لديوانه حاجباً لايمكن احداً من سائر الناس ان يدخل اليه ، ما خلا أهله الذين هو مغدون بهم ، فإنّه يجمع أسرار السلطان الخفية فمن الواجب كتمها ، ومتى أُهمل ذلك لم يؤمن أنْ يطّلع على ما يكون باظهار سبب سقوط مرتبته ، واذا كثر الفاشون له ، والداخلون اليه ، أُمكن اهل الديوان معه اظهار الأسرار اتكالاً على أنّها تنسب الى أولئك ، فاذا ظل الأمر قاصراً عليهم احتاجوا الى كتمانها يعلمونه خشية ان ينسب اليهم اذا ظهر " (١).

وحفاظاً على أسرار الدولة والسلطان ، لاسيما والمسلمون يخوضون حرباً عنيفة ضد الصليبيين . كان من الشروط الواجب توفرها في رئيس ديوان الانشاء الإسلام . يقول صاحب صبح الاعشى : " اذ هو لسان المملكة المرهب للعدو بوقع كلامه ، والجاذب للقلوب بوقع خطابه ، فلا يجوز ان يولّى أحد من أهل الكفر ، اذ يكون عينا للكفار على المسلمين ومطلعاً لهم على خفاياهم ، فيصلون بها الى ما لا يمكن استدراكه " (٢).

وقد ترتب على زيادة أعمال ديوان الانشاء ، وحاجة السلطان الى صون أسراره إحداث وظيفة كاتب سر السلطان ، وصارت هذه الوظيفة التي استخدمها السلطان قلاوون أرقى وظائف ديوان الانشاء ، وكان فتح الدين بن عبد الظاهر أول كاتب سر* (٣) في تاريخ ديوان الانشاء ، وقد قام صاحب هذه الوظيفة بتدبير شؤون الدولة ، فتعددت واجباته ومهماته في أهميتها وكثرتها ، وقد ذكر المقريزي هذه الواجبات وأشار الى ما لكاتب السر من مكانة فقال : " اما واجبات كاتب السر فهي : التوقيع على الكتب الديوانية الصادرة والواردة ، والنظر فيها ومراجعة السلطان فيما يحتاج الى مراجعة ، ومن واجباته تسفير الأجوبة بعد أخذ علامة السلطان عليها ، وهو الذي يتحدث في مجلس السلطان

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١ ، ص١٣٦-١٣٧

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٦ ، ص٦١

(٣) السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ٢ ، ص١٣١ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص٢٩٣

* فتح الدين محمد بن محي الدين بن عبد الظاهر ، لكن ابو عبدالله كتب للمنصور قلاوون وولده الاشرف خليل بن قلاوون وحظي عندهما ، كانت وفاته سنة ٦٩١هـ - النجوم الزاهره ، جـ٨ ، ص٣٥ / ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٣٣١ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٢٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عند الاجتماعات لفصل أمر من الأمور ، وهو الذي يتوسط بين الأمراء فيما يندب اليه عند الاختلاف ، واليه ترجع أمور القضاة ، ومشايخ العلم ونحوهم في سائر المملكة مصراً أو شاما "(١). أمّا مجلسه فيكون فوق الوزير بعد أن كان يجلس تحت الوزير " (٢)، ولذلك يحتاج اليه سائر أهل الدولة من أرباب السيوف والاقلام ، ولا يستغني عن حسن سفارته نائب الشام فمن دونه ، ولله الامر كله"(٣).

وحفاظاً على أسرار الدولة فقد كانوا يعهدون بوثائق ديوان الانشاء ورسائله الى خازن يحافظ عليها وقد أسندت اليه مهمة الاحتفاظ بالكتب الواردة ، ونسخ الكتب الصادرة والتذاكر ، وخرائط المهمات وضرائب الرسوم " . وكانت هذه الكتب تمر بمراحل عديدة الى أن يتسلمها الخازن ، وهذه المراحل هي من الخطوات اللازمة للحفاظ على أسرار الدولة والسلطان ، وهذه الخطوات هي : نسخ الكتاب، والاشارة الى تاريخ وصوله أو صدوره باليوم والشهر والسنة ، ويوقّع على ذلك الكاتب ، وتوضع بطاقة على مجموعة رسائل الشهر وتسلّم للخازن (٤).

ونظراً لأهمية الخازن في الحفاظ على أسرار الملك والسلطان ، فقد اشترط فيه صفات ، الذكاء والأمانة ، والنزاهة ، وقلة الطمع ، يقول القلقشندي " ينبغي أن يختار لهذه الخدمة رجل ذكي ، عاقل مأمون ، بالغ في الأمانة والثقة ونزاهة النفس وقلة الطمع الى الحد الذى لايزيد عليه ، فان زمام جميع الديوان بيده ، فمن كان قليل الأمانة ، ربما أمالته الرشوة الى اخراج شيء من المكاتبات من الديوان ، وإفشاء سر من الأسرار فيضرّ بالدولة ضرراً كبيراً " .(٥).

---

(١) المقريزي ، الخطط ، حـ٣ ، ص٧١

(٢) المقريزي ، الخطط ، حـ٣ ، ص٧٢

(٣) المقريزي ، الخطط ، حـ٣ ، ص٧٣

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ١ ، ص١٣٦

(٥) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ١ ، ص١٣٥-١٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واشترط القلقشندي على كاتب الملك أو السلطان ان يعرف لغة الكتب التي ترد على ملكه ليفهمها ويجيب عنها من غير اطلاع ترجمان عليها ، لأن ذلك أصون لسر ملكه ، وأبلغ في بلوغ مقاصده يقول القلقشندي : " ولا يخفى ان الكاتب يحتاج في كماله الى معرفة لغة الكتب التي ترد عليه لملكه أو أميره ليفهمها ويجيب عنها من غير اطلاع ترجمان عليها فإنّه أصون لسر ملكه ، وأبلغ في بلوغ مقاصده " (١).

وكانت رسائل الفرنجة التي ترد على ديوان الانشاء منوطة بموظفين مختصين يعملون فيه، كانوا يتسلمون هذه الرسائل حال وصولها للديوان ، فيفحصون ختمها ثم يفكونها ويترجمها بعد ذلك المترجم وكان هذا المترجم يكتب الترجمة في ورقة مفردة ويلصقها بالكتاب الوارد ، ثم يكتب الرد من واقع النص المعرّب (٢).

وكان كتاب الرسائل يعرفون المناصب الإدارية لدى الصليبيين ، والألقاب التي يحملونها سواء كانوا من رجال الدين او العلمانيين . وكان في ديوان الانشاء دفاتر خاصة بهذه الألقاب يستطيع من أراد ها من الكتّاب الرجوع اليها . واشتمل هذا الدفتر كذلك على القاب موظفي الدولة والأمراء والأعيان (٣). وقد كانت هذه الألقاب ضرورية ومهمة جداً في المراسلات الرسمية في الداخل والخارج لايستطيع كاتب اهمالها او الخروج على قواعدها .

وأكد القلقشندي ضرورة تمسّك الكتاب بأصول كتابة الرسائل وقواعدها المشتملة على الألقاب والأدعية وغير ذلك . وعدّ التمسك بهذه القواعد والأصول الطريق الأمثل في الكتابة ، وأكّد أنّ اهمال هذه القواعد والأصول خروج عن الطريق الصحيح في الكتابة والإنشاء . يقول القلقشندى : " ... واذا اعتمدها الكاتب ومشى على نهجها ... طبّق المفصل بالمفصل في الإتيان بالمقصد ، ومتى أهملها وفرّط في مراعاتها ، ضلّ سواء السبيل ، وخرج عن جادة الصواب ، ومن يضلل فما له من هاد " (٤).

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١ ، ص١٦٥

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٨ ، ص١٢٣

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١ ، ص١٣٤

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٦، ص١٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علامة السلطان : وهذه من المهمات المنوطة برئيس ديوان الانشاء فقد كان يتولى وضعها على الرسائل الصادرة عن السلطان (١). وعلامة السلطان عبارة يختارها السلطان لتوضع على الرسائل الصادرة عن ديوانه الى الأمراء والأجناد في الإقطاعات والأمور الأقل أهمية التي يستغني السلطان عن النظر فيها . وقيل ان السلطان نور الدين محمود اتخذ عبارة : " الحمدلله " علامة له[٢]. وأن علامة الناصر محمد بن قلاوون كانت " الله أملي " (٣). اما الأمور المهمة فقد كان السلطان يكتب اسمه بخطه على الرسالة الصادرة بشأنها .

كتّاب الإنشاء: نظراً لاتساع أعمال ديوان الإنشاء فقد وجد فيه طبقتان من الكتّاب هما :

أولا : كتّاب الدست : وهؤلاء يجلسون مع رئيس الديوان بمجلس السلطان ، وهم المعوّل عليهم في إنشاء الرسائل الى الملوك والسلاطين والأمراء ، ويتميز عملهم بالدقة ، والمعرفة الوافية بأصول كتابة الرسائل ، والمعاهدات ، والهدن ... الخ .

ثانيا : كتاب الدرج : وهؤلاء ينسخون ما يوقعه كتّاب السر ، أو كتّاب الدست في دروج من الورق. والدرج هو الورق المستطيل المركب من عدة أوصال متلاصقة (٤). وقد تميز عمل ديوان الانشاء بالدقّة ، ولذا خصصوا كتاباً مهمتهم تصفح الرسائل ، وإصلاح ما قد يقع فيه الكاتب من أخطاء أو زلّات . وكان ابن بري عبدالله بن عبدالجبار الذي عاش حتى سنة ٥٨٢ هـ أحد علماء اللغة الذين أسندت اليهم مهمة مراجعة الرسائل في ديوان الانشاء[٥].

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٦ ، ص٣٥٠

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، ج٢ ، ص٥٥٠

(٣) المقريزي ، الخطط ، ج٣ ، ص٤٣

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ، ص١٣٧-١٣٨

(٥) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٣، ص١٠٨ ،
ياقوت معجم الأدباء ، ج١٢، ص٥٦
ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢، ص٣١٩
المقريزي ، الخطط ، ج٣ ، ص٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخيراً فان عمل ديوان الانشاء قد تميّز بالإدارة والتنظيم ، ومن أبرز مظاهر هذا التنظيم حرص كتّابه على عمل الفهارس الخاصة بالرسائل والإنشاءات والتقاليد والأمانات والمناشير ، وعمل الأضابير الخاصة بالرسائل المترجمة الواصلة الى ديوان الانشاء (١).

ديوان الإنشاء في دمشق

ديوان الانشاء في دمشق قديم ، فهو موجود فيها من أيام معاوية بن أبي سفيان الذى اتخذ ديواناً للرسائل ، وآخر للخاتم لختم الرسائل الصادرة عنه الى الولاة حتى لايغيرها او يعبث فيها من يحملونها الى الولاة (٢).

اعتنى الخلفاء الأمويون بديوان الرسائل ، فبرع فيه عدد من الكتاب النابهين أمثال سالم الذى يكنى أبا العلاء ، كاتب هشام بن عبدالملك ، وختن عبدالحميد ، واستاذه في الانشاء والترسل . وقد وصفه ابن النديم فقال : " كان أحد الفصحاء البلغاء ، وقد نقل من رسائل ارسطاليس الى الاسكندر له رسائل مجموع نحو مائة ورقة " (٣).

وقد تخرّج على سالم اشهر كتاب العصر الأموي ، عبدالحميد الكاتب ، وقد عدّه الثعالبي بداية لفن الكتابة فقال : " بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد" (٤). وقال عنه ابن النديم :" عنه أخذ المترسلون ، ولطريقته لزموا ، وهو الذى سهّل سبل البلاغة ، واحد دهره ، ولرسائله مجموع نحو ألف ورقة " (٥).

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١، ص١٣٥

(٢) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص٢٤

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص١٧١

(٤) الثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج٥٣، ص١٥٤

(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ص١٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعبد الحميد يرجع الفضل في تطوير فن الترسل ، فقد اهتم بمقدمات الرسائل واستعمل التحميدات . يقول المسعودي : " وهو أول من أطال الرسائل والبلاغات واستعمل التحميدات في فصول الكتب، واستعمل الناس ذلك بعد " . غير أنّ هذا الديوان قد تعطّل بعد تحول الخلافة الى العباسيين الذين اتخذوا بغداد عاصمة لهم ، فأضحت بغداد مركزاً للنشاط العلمي والثقافي ، وانصب الاهتمام على ديوان الانشاء فيها . يقول الدكتور شوقي ضيف : " بمجرد أن تحولت الخلافة من الأمويين الى العباسيين ، لم يعد لديوان الإنشاء في دمشق كبير أمر ، بل لقد تعطّل تماما اذ تحولت الكتابة، وتحول معها ديوان الانشاء الى بغداد ، وأصبحنا طوال القرون الثاني والثالث والرابع مشدودين الى ديوان بغداد وكتّابه العظام (١).

وقد حالت الأحوال السياسية والعسكرية المضطربة دون نشوء ديوان انشاء في دمشق في القرن الخامس الهجري. وحين استقر أمر دمشق قليلا في زمن الأتابكه ، وجد فيها ديوان للانشاء نبغ فيه من الكتاب : سنيّ الدولة ابن اخي الشاعر ابن الخياط الكاتب (٢). وسنيّ الدولة هو أبو محمد الحسن بن يحي بن محمد بن الخياط الكاتب الذى قال عنه العماد : " كتب لملوك دمشق الأتابكية، لقيت ولده بدمشق ، فاستشهدته شيئاً من شعر والده ، فذكر أنّ يده في النظم قصيرة، وأنّ غرر رسائله ودرر فضائله عنده كثيرة (٣).

---

(١) د. شوقي ضيف ، عصر الدول والامارات ، ص ٧٨٠

(٢) ابن الخياط الكاتب : ابوعبدالله احمد بن محمد بن علي بن يحي بن صدقة التغلبي ، ولد بدمشق سنة ٤٥٠هـ وكان ابوه خياطاً فاشتهر بالنسبة اليه ، تنقل بين مدن بلاد الشام واتصل بحكامها وملوكها ومدحهم ومن هؤلاء : أمير حماة الذى كتب له فعرف بابن الخياط الكاتب . وأمير حلب المرواسي ، وابن منقذ امير شيزر ، وأمراء طرابلس من بني عمار ، ووالي الفاطميين على صور منير الدولة الجيوشي ، وحاكم دمشق تتش السلجوقي ، وحاكم دمشق آبق ، وطغتكين ، وغيرهؤلاء . وقد توفي سنة ٥١٧ هـ في الحادي عشر من رمضان .

- العماد الاصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، بداية قسم شعراء الشام ، ص١٤٢

- خليل مردم ، الشعراء الشاميون ، ص ٢٩-٢٤٣ ، دار صادر ، بيروت

(٣) العماد الأصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، بداية قسم شعراء الشام ، ص٢٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن رسائله هذا الفصل من منشور بالوزارة يقول فيه : " لما كان محله عندنا خطيراً ، ومكانه لدينا مكيناً أثيراً ، لاقرين يجاريه ، ولا نظيراً يماثله ويباريه ، ولا متطاول يطمع في إدراك معاليه ، شددنا بركنه أركانها ، وصددنا به مكانها ، وعوّلنا عليه فيها واستنهضناه لتوليها ، ورأيناه كفأها وكافيها ، وإن كان له فيها سلف قد مضى ، فانه لايقول الا على ما شيّد وبنى ، وقدّم من المساعي التي نال بها ما تمنى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً " (١).

ومن كتاب ديوان انشاء دمشق في عهد الأتابكة عبدالله بن احمد الحميد بن النقاد ، وقد ظل يكتب في ديوان انشاء دمشق بعد استيلاء نور الدين عليها ، وقد توفي سنة ثمان وستين او تسع وستين وخمسمائة(٢).

ومن كتاب ديوان انشاء دمشق في زمن نور الدين : موفق الدين خالد بن القيسراني ، كان كاتباً مجيداً متقناً ، له كتابة جيدة محرّرة ، توفي في أيام صلاح الدين سنة ٥٨٨ هـ (٣).

كتب لنور الدين أبو اليسر شاكر بن عبدالله بن محمد التنوخي المعرّي الدمشقي الذى عاش خمساً وثمانين سنة ، كانت وفاته سنة ٥٨١ هـ (٤). وفي أواخر حياته استعفى نور الدين من الكتابة فأعفاه ، وولّى العماد الأصفهاني مكانه على ديوان الإنشاء . خدم العماد نور الدين حتى وفاته ، ثم رحل عن دمشق الى الموصل ، وفيها سمع بقدوم صلاح الدين الى دمشق ، فرجع الى الشام ، واتصل بصلاح الدين ومدحه ، فقرّبه واستخدمه في ديوان الإنشاء ، وعلت منزلته عنده حتى أصبح نائبا عن القاضي الفاضل وقت غيابه (٥).

---

(١) العماد الأصفهاني خريدة القصر ، بداية قسم الشام ، ص٢٣٦

(٢) العماد الأصفهاني ، الخريده ، بداية قسم شعراء الشم ، ص٣١٤

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٤، ص١٣

(٤) العماد الأصفهاني ، الخريدة ، قسم الشام ، حـ٢ ، ص٣٥-٣٧

- ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، حـ٥ ، ص٢٧

(٥) ياقوت ، معجم الأدباء ، حـ١٩ ، ص١٨-٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد وفاة صلاح الدين التحق العماد بخدمة الملك الأفضل علي بن صلاح الدين فترة من الزمن ثم ترك خدمته ، واشتغل بالتدريس في المدرسة العمادية بدمشق الى أن توفي سنة ٥٩٧ هـ(١).

ومن كبار كتّاب دمشق الوزير ضياء الدين بن الأثير ، الذي وزر للملك الأفضل علي بن صلاح الدين وصار من أخص خواصه ، وكان له شأن كبير في سير الأحداث السياسية في مملكة الأفضل (٢).

ومن كبار كتاب ديوان انشاء دمشق في العصر الأيوبي جمال الدين بن شيت ، الذي كتب للملك المعظم عيسى ، وكان فاضلا جيد الترسل (٣). وقد وضع خلاصة تجاربه في الكتابة في كتاب سماه " معالم الكتابة ومغانم الإصابة " .وكان هذا من المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها القلقشندي في " صبح الأعشى " في حديثه عن قواعد الإنشاء وقضاياه المختلفة في عصر الأيوبيين(٤). توفي جمال الدين بن شيت في دمشق سنة ٦٢٥ هـ بعد ان تولى الانشاء في عدة دواوين منها : قوص والاسكندرية وبيت المقدس ودمشق (٥). ونظرا لأهمية كتابه " معالم الكتابة ومغانم الإصابة في إرساء قواعد الانشاء الديواني في القرنين السادس والسابع فقد خصصته ببعض الحديث : يقع الكتاب في سبعة أبواب ، تحدث مؤلفه في الباب الأول عن آداب الكاتب التي يجب ان تلازمه . وذكر من هذه الآداب : التقوى ، النصيحة لمن يخدمه العفة وتجنب الرشوة ، عدم التقدم على صاحبه ومخدومه بالإجابة ، وأنْ لايتجسّس عليه ، حسن الاستماع والاصغاء عند حديث مخدومه معه . وان لايسيء في مجلسه ، وان يتعامل مع مخدومه بما لا يحط من قدره، وان يتجنب المزاح معه ، وان يلطف القول معه في كل وقت حتى عند نصحه ... الخ .

---

(١) ابوشامة ، الروضتين، حـ٢ ، ص٢٢٥

الصفدي ، الوافي بالوفيات ، حـ١ ، ص١٣٥

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، حـ٥ ، ص٣٨٩-٣٩٠

ابن العماد ، شذرات الذهب ، حـ٥ ، ص١٨٧-١٩٠

(٣) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٤ ، ص٢١٥

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٣٣٢، ٣٣٣، وغيرها

حـ٧ ، ص ٨٧، ٨٨ ، وغيرها

(٥) ابوشامة ، ذيل الروضتين ، ص١٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وخصّ كتّاب الملوك والدولة ببعض الصفات أهمها : الأمانة في أهله وماله ، ونفسه ـ وتحدّث الكاتب في هذا الباب عن الدواوين ، وكتّابها ، وأنواعها كديوان الجيش ، ود يوان الإقطاع ، وديوان المال .

وتحدث ابن شيت في الباب الثاني عن فواتح الرسائل ، والأدعية في أوائل الكتب ، وعنوان الكتاب وطيّه ، وخطّه ، والتحميدات في أوائله والدعاء على الأعداء ، وتحدّث ابن شيت عن خواتم الرسائل .

أمّا الباث الثالث فتحدث الكاتب فيه عن الخط ، وحروفه ، وبري القلم ، و إمساكه وتحدث في الباب الرابع عن البلاغة ، وما يتصل بها ، والسجع وأنواعه ، والمحسنات البديعية الأخرى ، وأورد أمثلة تطبيقية عليها .

وجعل الكاتب الباب الخامس للألفاظ التي لايستغني عنها الكاتب . وتحدث في الباب السادس عن الأمثال التي يستحسن بالكاتب ان ينثرها في كلامه وهي أمثال منظومة ومنثورة . وخصّص الباب السابع للحديث عن الأخطاء الشائعة عند الكتاب ، وأعطى أمثلة على هذه الأخطاء ومن هذه الأخطاء التي أوردها قولهم : " فلان يطابق فلاناً ويريدون بذلك أنّه يوافقه ، وهو غلط لان المطابقة المضادة كالليل والنهار ، والضحك والبكاء ، وما أشبه " . وتحدّث في هذا الباب عما يكتب بالباء والألف وغير ذلك من الألفاظ التي يخطئ في استعمالها كثير من الكتّاب . وختم هذا الفصل بحديث موجز عن كتابة الهمزة .

وأخيرا فإنّ من كبار كتاب دمشق في عصر الحروب الصليبية الشهاب محمود أبو الثناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبي الدمشقي ، الذى ولد في حلب سنة ٦٤٤ هـ وتقدم في فن الكتابة حتى رئس ديوان انشاء دمشق والقاهرة (١). وقد وضخلاصة تجاربه في الكتابة والانشاء في كتاب سمّاه " حسن التوسل في صناعة الترسل "، ويعد الكتاب من المصادر المهمة عن فن الترسل في عصر الحروب الصليبية . و .. تناول المؤلف فيه الحديث عن الأمور التالية :

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٤ ، ص١٢٠، والعسقلاني ، الدرر الكامنه ، حـ٥ ، ص٩٢ والكتبي ، فوات الاوفيات ، حـ٤ ، ص٨٢ ، وابن العماد ، شذرات الذهب، حـ٦، ص٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أوّلا : الأمور الكليّةالتي يجبان يكون عليها كتاب الانشاء : تحدث الشهاب محمود في هذا الفصل عن حاجة الكاتب الى التعلم والتثقف بالقرآن والحديث والنحو واللغة والشعر والحكم والأمثال والخطب والأحكام السلطانية . وحث الشهاب محمود الكاتبعلى التحلي بالخلق وحسن التعامل معالناس .

ثانيا : الأمورالخاصة : وفي هذا الجزء تحدث الشهاب محمود عنالبلاغة باعتبارها أهم العلوم التي يحتاجها الكاتب بعد كتاب الله جل شأنه . وقد جعل البلاغة عماد ثقافة الكاتب المبتدىء، فهي التي تصقل ذوقه ، وتجلّي ثقافته ، وتحي تفكيره ، وتبرز شخصيته وتخلق أسلوبه في صورة بديعة من الفن والصناعة والجمال . وقد تحدث فيهذا الجزء عن فن البديع وعرض ستة وثمانين نوعامن أنواع البديع المعروفة فيزمانه .

ثالثا : خصائص الكتابة : وقد تحدث في هذا الجزء عنالحل ، والاقتباس ، والاستشهاد بالشعر والأمثال والحكم ...الخ .

رابعا : رسائله : ضمّن الكاتب كتابه مجموعةمن رسائلهالديوانية والخاصة وهذه الرسائل فيالحث على الاستماتة والاستبسال بالحرب ، والحث علىأخذ الثأر وفي ذم المهزوم المتخاذل فيالمعركة وفي وصف الطيور والجوارح ، والخيل ، ووصف الحصون وقد حاول في بعضها تقليد القاضي الفاضل في وصف الفتوة، وفي وصف الرمي بالبندق وغير ذلك .(١).

العلاقة بين ديوانانشاء القاهرهوديوان انشاء دمشق:

بقي ديوان القاهرة أعظم دواوين الإنشاء في مصر والشام ، ونظراً لاتساع أعمال هذا الديوان ، وكثرة العاملين فيه ، فقد كان يطلق على صاحبه لقب متولي دواوين الإنشاء . وقد كان ديوان دمشق يليه في الأهمية ، غير أنّه لايطلق علىمتوليه الا لقب صاحب ديوانالإنشاء بالشام . وكان ديوان حلب يأتي

---

(١) الشهاب محمود ، حسن التوسل الىصناعة الترسل ، تحقيق اكرم عثمانيوسف ، منشورات وزارة الثقافه والاعلام ، دار الرشيد ، سلسلة كتب التراث ، ٨٦ ، ١٩٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في المرتبة الثالثة ، وكان يطلق على صاحبه : صاحب ديوان المكاتبات . أمّا باقي الدواوين في غـــــزّة والكرك ، والإسكندرية وغيرها ، فكان يطلق على رؤسائها كتّاب الدرج ، ولم يطلق عليهـــــــم كتـاب الســـر (١).

وربما كان ديوان دمشق مقدمة لتولي ديوان القاهرة اذا أظهر صاحبه كفاية وفناً واحتيج اليـــــه ولا أدلّ على هذا من تولي الشهاب محمود ديواني دمشق والقاهره (٢).

ثقافة كتـــاب الانشـــــــــاء

نظراً للمكانة الرفيعة التي احتلها ديوان الانشاء في الحياة السياسية ، والثقافية في مصر والشـــام في القرنين السادس والسابع ، ونظراً لما كان لرئيس ديوان الانشاء من أهمية ومنزلة ، فقد أشار كثيـــر من النقاد الى ما يجب ان يكون عليه رئيس ديوان الانشاء وكتّابه من ثقافة ومعارف (٣) ، فابن الأثير الـــزم كاتب الانشاء أنْ لايترك فناً الا عرفه وتشبث به مهما كان هذا الفن ساذجاً أو بسيطاً . والسبب هو انـــه معرض ان يكتب في أبسط الأمور . يقول ابن الاثير : " وبالجملة فان صاحب هذه الصناعة يحتاج الـــى التشبث بكل فن من الفنون حتى إنّه يحتاج الى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء ، والماشطـــــة عند جلوة العروس والى ما يقوله المنادي في السوق على السلعة ، فما ظنّك بما فوق هذا ؟ والسبب فـي هذا انه مؤهل لان يهيم في كل واد ، فيحتاج ان يتعلق بكل فن " (٤) . ومن العلوم التي عدّها النقـــاد ضرورية لكاتب الانشاء .

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ١ ، ص١٠٤

(٢) الشهاب محمود ، حسن التوسل ، ص٢، وعمر موسى باشا ، الادب العربي في العصر المملوكـــــي والعثماني ، جـ١ ، ص٤٠٣

(٣) من المصادر التي تحدثت عن ثقافة كتاب الانشاء :
ابن الأثير ، المثل السائر ، جـ١ ، ص٤٣و٤٤/وشهاب الدين محمود، حسن التوسل في صناعة الترســـل ص٧٥-١٠٠ /والنويري ، ونهاية الارب ، جـ٧ ، ص٢٧-٣٤

(٤) ابن الأثير ، المثل السائر ، جـ١ ، ص٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أوّلا: أنْ يعرف اللغة العربية ، وأن يميز بين الألفاظ الحوشية والألفاظ غير الحوشية وأنْ يتجنب الألفاظ الحوشية في كتابته .

ثانيا : ان يعرف الكاتب النحو . وليس المطلوب من الكاتب التعمق في النحو ، وانما الهدف من معرفته ازالة الضرورة ، وعدم اللحن .

ثالثا : ان يحفظ كتاب الله وأن يعرف عن الآيات القرآنية مناسباتها وأسباب نزولها وان يعرف الأمر والنهي فيها ، وأحكامها ، وما فيها من ايجاز واعجاز .

رابعا : ان يحفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخصوصا في السير والمغازي وان ينظر في معانيها ، لان الفصاحة والبلاغة بعد كتاب الله في أحاديث من اوتي جوامع الكلم (١).

خامسا :ان يعرف تاريخ العرب ووقائعهم وأيامهم ، لأنها من الأمور الضرورية لصناعته . يقول شهاب الدين محمود :فاذا لم يكن صاحب هذه الصناعة عارفا بكل يوم من هذه الأيام عالما بما جرى ، لم يدر كيف يجيب عما يرد عليه من مثلها ولا ما يقول اذا سئل عنها ، وحسبه ذلك نقصاً في صناعته وقصوراً عما يتعين عليه من معرفته وحسن الجواب فيه عند السؤال (٢).

سادسا :ان يحفظ خطب الصحابة والبلغاء من السابقين فانها تشحذ الهمم ، وتفتق الأذهان ، وترسم في الخواطر، وتكمن في الأفكار .

سابعا :ان يحفظ كثيراً من اشعار العرب القديمة والحديثة ، وان يعرف معانيها وشروحها .

ثامنا : ان يعرف جملة من الفقه يعرف بها الفرض والواجب والسنة والمندوب والحرام والحلال والمكروه .

تاسعا : ان يعرف علوم البلاغة ، البيان والمعاني والبديع وهذه من الأمور الخاصة التي تلزم الكاتب .

---

(١) ابن الأثير ، المثل السائر ، جـ١ ، ص٤٤

(٢) شهاب الدين محمود، حسن الترسل ، ص٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عاشراً :ان ينظر في رسائل المتقدمين دون حفظها لما في النظر فيها من تنقيح القريحة وإرشاد الخاطر ، وتسهيل الطرق ، والنسج على منوال المجيد ، والاقتداء بطريقة المحسن .

حادى عشر : ان يعرف الأحكام السلطانية ، فقد يحدث ان يموت إمام المسلمين ويتولى من هو قاصر ولا يعرف هذه الأحكام ، فالذى ينوب عن إمام المسلمين أو الخليفة في هذا الشأن هو كاتب الديوان

ثاني عشر : جمال الخط .

لقد كان من الواجب ان تكون ثقافة كاتب الإنشاء شاملة وواسعة ومتنوعة تؤهله لأن يقوم بمهام منصبه خير قيام ، وهو منصب رفيع ومهم لايصلح الا النابغون من الكتّاب .

وصف رسائل القرنين السادس والسابع

أولا - وصف الرسالة الديوانية عند الفاطميين

كان للفاطميين اسلوبان في رسائلهم ، الأول خاص بالرسائل الصادرة عن الخليفة والثاني خاص بالرسائل الواردة الى الخليفة والمرفوعة اليه من عماله وولاته .

وصف الرسائل الصادرة عن الخليفة الفاطمي:

كانت تبدأ بالبسملة ، ثم يقال بعد ذلك سلام عليك ، فان امير المؤمنين يحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، ويسأله ان يصلّي على محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وعلى آله الائمة المهديين ويسلم تسليماً . ثم يقال اما بعد وتقص المعاني معنى معنى . فان كان الموضوع أمراً أمر به الامام قبل انقضاء الكلام فيقول : " وأمر امير المؤمنين بكذا ...." ثم يقال بعد ذلك : " فاعلم ذلك من أمير المؤمنين ورسموا عمل بحسبه ".

وتختتم هذه الرسالة بالسلام التام : " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " ان كان المخاطب من الطبقة العالية ، وان كان المخاطب أقل شأنا فتختتم بالسلام فقط (١).

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٦ ، ص٤٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا - وصف الرسالة الواردة الى الخليفة

كانت الرسالة تبدأ بالبسملة، ثم يصلي المرسل على الخليفة بأفضل الصلوات وأشرف التحيات ويوصف الخليفة بسيدنا الإمام الفلاني، أمير المؤمنين، ويصلي على آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ان كان له أبناء، فان لم يكن له أبناء قيل المنتظرين. ويصف الكاتب المرسل بالعبد، ويذكر الناحية التي بعث الكتاب منها أو يشرف عليها ويتولاها. ويذكر أخبار ولايته، ويبين استقرار احوالها بوجود امير المؤمنين، ثم يتخلص الى مقصوده بقوله: العبد ينهي كذا وكذا ...ويذكر مايريد، ثم يشير الى نهاية رسالته بالقول: أنهى العبد ذلك ليستقر علمه بالموقف الأشرف ان شاء الله تعالى، ويطلب الأذن والسماح فيما أراد عمله في الكتاب أو يطلب رأي أمير المؤمنين الخليفة، ويختمه بالسلام التام (١).

لقد كانت الرسائل تعنى بالتفريق بين ما يصدر عن الخليفة وما يرد اليه، ولم ينوّع الكتاب في أساليب كتابة هذه الرسائل كما أصبح الحال في العصور التاليه عند الأيوبيين والمماليك.

ثانيا : الرسالة في العصرين الأيوبي والمملوكي

أساليب افتتاح الرسائل في العصرين الأيوبي والمملوكي

كثرت أساليب افتتاح الرسائل في العصرين الايوبي والمملوكي، ولعلها قد زادت على مجموع ما عرف عبر عصور الأدب العربي السابقة من أساليب ، ومن هذه الاساليب.

أوّلا : الدعاء. ويكون الدعاء للديوان في الرسائل الصادرة الى الخليفة والديوان هو ديوان الإنشاء لان الرسائل عنه صادرة، واليه واردة وسبب مخاطبتهم ديوان الخليفة الخضعان والتذلّل عن مخاطبة الخليفة نفسه (٢). ويكون الدعاء بدوام العز وبسط الظل، والنصر على الأعداء ... الخ.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ص٦، ص٥٢١

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، حـ٦، ص٤٩٦، ومآثر الأناقة في معالم الخلافة، حـ٣، ص٣٢٢-٣٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثاله ما بدأ به ابن الأثير رسالة الى الخليفة : " ادام الله سلطان الديوان العزيز النبوي، وجعل دولته ديوان الفتوح ، وصعين النصر الممنوح ، وبسط يده في أعدائه وأوليائه بالدم المسفوك والنوال المسفوح ، ولا زالت آيامه للجدود مسالك ، وأبوابه للوفود مناسك ، وجنوده في الأرض أملاكا وفي السماء ملائك " .

اما الرسائل الى غير الخليفة من حكام المسلمين كالسلطان او الأمير او غيرهم من اكابر المسلمين فكان الدعاء فيه للمقام ، او المقر ، أو الجناب ، حسب ما يناسبه من الألقاب ومثاله هذا الافتتاح لرسالة من انشاء محي الدين بن عبد الظاهر عن الملك الاشرف خليل بن قلاوون الى أمير اليمن يبشره بفتح طرابلس الشام . فقد بدأ رسالته " أعز الله نصرة المقام وأوفد عليه كل بشرى أحسن من أختها .. "(٢). ومثاله : " أعز الله نصرة الجناب العالي ..(٣)، " جدد الله البشائر الواردة على المجلس السامي القضائي (٤)، وسرّ الله خاطر المجلس السامي " (٥).

---

(١) ديوان رسائل ابن الأثير ، حـ١ ، ص٧١، وانظر بعض الرسائل المرسة الى الخليفة التي افتتحت بهذا الأسلوب في المصادر التاليه:

- القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ ٦ ، ص٤٩٦
- ديوان رسائل ابن الاثير ، حـ١ ، ص٦٦، ٧٠، ٧٣
- ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٣٤

(٢) النويري ، نهاية الأرب ، حـ٥ ، ص١٥٦

(٣) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٤٢(رسالة من انشاء تاج الدين بن الأثير بمناسبة فتح المرقب .

(٤) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٢ ، ص٣١٩ ، (رسالة من انشاء فتح الدين عبدالله بن القيسراني بفتح قيسارية .

(٥) المصدر السابق ، حـ٢ ، ص٣٣٨ (رسالة بشرى بفتح صفد).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : الدعاء لغير الديوان بما فيه تعظيم الخليفة ، فقد أنشأ القاضي الفاضل رسالة الى الخليفة العباسي في بغداد على لسان صلاح الدين وبدأها بهذا الدعاء : " أسعد الله عظماء الاملاك بالانتساب الى الخدمة الشريفة ، وأوزعهم ما أمرهم به من طاعتها ، وخلّد ملك الديوان العزيزى النبوى ما دامت الافلاك قائمة ، والنجوم ناجمة ..." (١).

ثالثا : ان تفتتح الرسالة بآية من القرآن الكريم تناسب موضوعها . وهذا الأسلوب يناسب موضوع الجهاد كثيراً ، ولذا فقد افتتحت به كثير من رسائل الجهاد ، من ذلك رسالة بشرى الى نور الدين بانتصار صلاح الدين على الصليبيين في غزّة سنة ٥٦٦ هـ ، حيث بدأها القاضي بالفاضل بالآية القرآنية : " فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم " (٢). وهناك رسائل اخرى كثيرة بدأت بآيات من القرآن الكريم . وذلك لملاءمة القرآن لموضوع الجهاد ، ودلالة الآية على مضمون الرسالة من نصر أو هزيمة أو خيانة أو غير ذلك(٣).

رابعا : ان تفتتح الرسالة بالصلاة على الخليفة على مذهب من يجيز الصلاة على غير الأنبياء . ومثال هذا الأسلوب ما بدأ به صلاح الدين رسالة الى الخليفة العباسي في بغداد يبشره فيها بفتح بلد من بلاد النوبة ، فقد بدأ هذه الرسالة بقوله : " صلوات الله التي أعدّها لأوليائه وادخرها ، وتحياته التي قذف بشهبها شياطين أعدائه ، دمرها ، وبركاته التي دعا بها كل موّحد فأجاب ، وانقشع بها غمام الغم وظلام الظلم فانجاب عن انحاب ، وزكاته التي هي للمؤمنين سكن ..."(٤).

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٥٠٤

القلقشندي ، مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، حـ٣، ص٣١٨

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، حـ١، ق٢، ص٤٨٩ / الآية القرآنية من سورة آل عمران ، ١٧٤

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٥٠٦

- النويري ، نهاية الأرب ، حـ٥ ، ص٢٢٤-٢٢٥
- أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٩٦
- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٦ ، ٣٦٧
- المقريزي ، الخطط ، حـ١ ، ٤١٦

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٥١١

القلقشندي ، مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، حـ٣ ، ص٣٠٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامسا : ان تفتتح الرسالة بالسلام على الخليفه ، كماكتب السلطان صلاح الدين الى الخليفة في بغداد ، يعتذر عن تأخر الرسائل ، ويذكر بعض أخبار الصليبيين ٠

بدأ القاضي الفاضل هذه الرسالة بقوله : " سلام اللهالأطيب ، وبركاته التي يستدرها الحضّر والغيّب ، وزكواته التي ترفع أوليا ءه الىالدرج ، ونعمه التي لاتجعل على أهل طاعته في الدين من حرج ، وعلى مولانا سيد الخلق ، وساد الخرق ٠٠٠ الخ " (١)٠

سادسا : ان تبدأ الرسالةبخطبة ، قد يبدوها بآية قرآنية ، ثم بحمدالله على نصره لأوليائه الصالحين ، وخذلانه للكفّار والمنافقين ، وبحمده على ان يسّر للمسلمين هذا الخليفة ، وحقّق للمسلمين الأمن والأمان ، وأبعد عنهم الخوف ٠ ولا بأس علىالكاتب ان يكرر الحمد في رسالته أكثر من مرّة ، وأفضلها ما تكرر فيه الحمد ثلاث مرّات (٢)٠ وقد جعل القلقشندي هذا الأسلوب أفضل الأساليب وأعلاها (٣)٠

سابعا : انتبدأ الرسالة بألفاظ مثل " صدرت المكاتبة " أو " أصدرت المكاتبة " أو " أصدرناها " أو أصدرنا هذه المكاتبه (٤)٠

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٦ ، ص٥١٥

القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، ج٣ ، ص٣١٥

(٢) ابن شيت ، معالمالكتابة ، ص ٤٨/ ووردت رسالة في الروضتين ، ج٢ ، ص٩٦، فيها ثلاث تحميدات ٠

القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٦ ، ص٥١٧

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٦ ، ص٣٣٢-٣٣٣

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٦ ، ص٣٤١

القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٧ ، ص٢٣

اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج٢ ، ص٣٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثامناً : أنْ تفتتح الرسالة "بيقبل الأرض"، ومثال هذا الأسلوب ما بدأ به القاضي الفاضل رسالة الى صلاح الدين أثناء حصار الصليبيين سنة ٥٨٥ هـ ، فقد بدأها بقوله : " المملوك يقبل الأرض بين يدى مولانا الملك الناصر ..." (١). وقدنسب القلقشندي هذا الأسلوب الى القاضي الفاضل ، وجعله من مخترعاته ويبدو أن لفظة يقبّل الارض أو سواها كيقبل اليد هي من أساليب ابتداء الرسائل الإخوانية " (٢).

تاسعاً : أن تفتتح الرسالة بلفظ " يخدم الجناب " أو " يخدم المجلس " . وقيل إنّ هذا الأسلوب من مخترعات القاضي الفاضل ، ثم تداولها الكتاب بعده الى زمن القلقشندي حيث رفضوها وتركوها (٣).

عاشراً : أن تفتتح الرسالة بلفظ هذه المكاتبة ، ومثال هذا الأسلوب كتاب بشرى بفتح حصن الإنشاء العمادي بدأه ب " هذه المكاتبة مبشرة بالفتح الأهنى ، والنصر الأسنى ..."(٤). وقديشير افتتاح الرسالة الى سبب انشائها كقول القاضي الفاضل في افتتاح رسالة مرسلة الى نورالدين على لسان صلاح الدين : " سبب هذه الخدمة الى مولانا العادل ..."(٥).

حادي عشر : أن تفتتح الرسالة بلفظ كتابنا . كما بدأ القاضي الفاضل رسالة على لسان صلاح الدين الى بعض أمراء الشام في التعزية بوفاة نور الدين "(٦).

(١) ابوشامة ، الروضتين ، ج٢ ، ص١٦٦

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٦، ص٣٣٩-٣٤٠

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٦، ص٣٤٣

(٤) ابوشامة ، الروضتين ، ج٢ ، ص١٣٢

(٥) أبوشامة ،الروضتين ، ج١، ق٢، ٢٦، /القلشندي، صبح الأعشى ، ج٧، ٢٧

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٧ ، ص٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

افتتاح الردود على الرسائل الواصلة للديـــوان

تفتتح الرسائل الصادرة عن الديوان كردود على رسائل وصلت اليه بكلمات تشير الى هـــــذا مثل : " وصل كتابك " ومثالها الرسالة التي كتبها القاضي الفاضل على لسان صلاح الدين الى أمـــير مكة (١)، ومثالها ايضاً رسالة تهنئة من إنشاء القاضي الفاضل بفتح أحد الحصون (٢). ومن هـــــذه الألفاظ لفظة " ورد على الملوك أو " ورد الكتاب " ومثاله رسالة صلاح الدين الى أمراء الشـــام يوبخهم فيها على صلح عقدوه مع الصليبيين عقب وفاة نور الدين . فقال في مقدمتـــــه :" ورد الخبر ... " (٣). ومثاله أيضاً رسالة من انشاء القاضي الفاضل في جواب كتاب ورد علـــى صلاح الدين مخبراً فيه بالحركة للقاء الصليبيين (٤). ومن هذه الألفاظ أيضاً : عرضت مكاتبتـــه على أمير المؤمنين أو السلطان (٥).

التخلص الى الغـــرض

عدّ التخلص الى الغرض الذي أنشئت الرسالة من أجله من ضرورات الكاتب (٦). وقد اعتمـــد الكتّاب على بعض الكلمات للتخلص الى غرضهم مثل : موضحة لعلمه : توضح لعلمه ، يبدي مطالـع أنهى ، ينهي ، اما بعد(٧) وتقدمت مطالعات الخادم ...(٨). أو " قد علم ..." (٩)، او أي كلمـة يراها الكاتب مناسبة للتخلص من صدر كتابه وافتتاحيته الى الغرض الذي أنشيء من أجله الكتاب.

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ٧ ، ص١٠٧

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١١٣

(٣) ابو شامة ، الروضتين ، حـ١، ص٢، ص٥٩٤

(٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٣ ، ص٣٢٤

(٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ٦ ، ٣٤٥

(٦) ابن الاثير ، المثل السائر ، حـ١ ، ص١٢٢

(٧) القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ٦ ، ص٣٣٩، ٣٣٣، ٣٤٣، ٣٤١

(٨) رسالة لابن الأثير في ديوان رسائله ، حـ١ ، ص٧٠

(٩) رسالة لابن الأثير في ديوان رسائله ، حـ١ ، ص٧٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اختتام الرسائـــــــل

لقد اصطلح الكتاب على أساليب يختمون بها رسائلهم ومن هذه الأساليب :

أولا: الدعاء : ومن أدعيتهم : " وللرأى العالي فضل السمو والفكرة ان شاء الله (١)٠ وكان ابن الأثيـــر يختم رسائله بدعاء : " وللآراء العالية مزيد العلو ان شاء الله تعالى " (٢)٠ وربما اختتمت الرسالـة بخطبة فيها كثير من الأدعية لاسيما اذا كانت الرسالة مرفوعة الى مقام عال كالخليفة ٠ فقد ختـــم القاضي الفاضل رسالته الى الخليفة بمناسبة فتح القدس بخطبة فيها كثير من الأدعية قال فيهـــــا " ٠٠٠ جمع الله لأمير المؤمنين طاعة خلقه ، وأذلّ رقاب الباطل سيف حقه ، وجعل الله ما هـــو قبضته في الأخرى قبضة أمير المؤمنين في الأولى ٠٠٠٠ الخ " (٣)٠ وهذا الأسلوب ملائم للرسائـــل المرفوعة الى الخلفاء والملوك والسلاطين ٠

ثانيا : الأمـر : وهذا الأسلوب خاص بالرسائل الصادرة عن الملوك والسلاطين الى عمالهم ، فقد كانـت تنهى بأمر يلزم العامل بماجاء في الرسالة ٠ ومن عباراتهم المشهورة في تلك العصور "٠٠٠ فاعلـم بهذا واعمل بـه " (٤)٠

ثالثا : ان يختتم الكتاب بالسلام ، ومثال هذا الأسلوب رسالة القاضي الفاضل الى ملك المغرب (٥)٠

وأخيرا فان نظرة على الرسائل في زمن الفاطميين ، ثم من تلاهم من أيوبيين ومماليك يتبـــين ان تطوراً كبيراً في الكم والنوع والمضمون والشكل قد طرأ على الرسائل الديوانية في العصريـــن الأيوبي والمملوكي ، فقد ازدادت الرسائل عدداً بسبب حاجة المسلمين اليها في ظروف الحـــرب

---

(١) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٤٩و٥٠

(٢) ديوان رسائل ابن الأثير ، حـ١ ، ص٧١و٧٣و٧٥

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٥٠٦

(٤) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٥٠

(٥) ابو شامة ، الروضتين ، ح٢ ، ص١٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المختلفة مع الصليبيين ، وازداد عدد دواوين الإنشاء بسبب رغبة كل أمير ان يكون الى ديوان خاص برسائله ، وازداد عدد الكتّاب ، وازدادت تبعاً لذلك مصطلحات الكتابة الديوانية ، وتنوعت أساليب البدء والختام . وصار من الواجب ان تحفظ قواعد الانشاء الديواني في كتاب يرجع اليه من أراد (١).

رسوم رسائل المسلمين الى الصليبيين

اقتضت طبيعة الحرب التي دارت بين المسلمين والصليبيين في عصر الحروب الصليبية، ان يتبادل الطرفان الرسائل ، وأن يعقدا الهدن والمواثيق التي تنظم علاقات الطرفين . وقد تنوعت موضوعات هذه الرسائل والهدن ، فبعضها كان على شكل تهديدات متبادله (٢). وبعضها كان بهدف ايجاد التفسير المناسب لبعض التصرفات السياسية أو العسكرية ، وتحديد المسؤول عن خرق هدنة (٣). واستهدفت بعض الرسائل تكوين أحلاف سياسية وعسكرية (٤). وقد بادلهم بعض حكام المسلمين في بعض المناسبات كما فعل صلاح الدين مع بردويل الذى تولى العرش بعد وفاة أبيه ، فأرسل اليه رسالة من انشاء القاضي الفاضل ، عزّاه فيها بوفاة والده ، وهنّأه بتولي العرش(٥). ومن هذه الرسائل : رسالة الملك الجواد الأيوبي أحد أمراء الملك الكامل الى الإمبراطور فردريك الثاني حاكم صقلية في شعبان سنة ٦٣٠ هـ يؤكد فيها استمرار العلاقات الودّية بينه وبين الامبراطور .

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ص١٣٥

(٢) المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص٣٣، والخطط ، حـ١ ، ص٤١٠
رسالة لويس التاسع في تهديد الملك الصالح نجم الدين ايوب
رد الملك الصالح على هذه الرسالة في :
المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق٢، ص٣٣٤-٣٣٥، والخطط ، حـ١ ، ٤١٠و٤١١

(٣) محي الدين بن عبدالظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، ص١٥٠
المقريزي، السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص٩٦٥

(٤) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٤ ، ص٢٣٤-٢٣٧

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى ، حـ٧ ، ص١١٥-١١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن الرسالة كانت رداً على رسالة سابقة من الإمبراطور الصليبي بدليل انها بدأت بلفظ : " وردت المكاتبه الكريمة الصادرة عن المجلس العالي ...(١).

وكان يتولى ايصال هذه الرسائل رسل وسفراء لهم منزلة رفيعة عن الحاكم المرسل فقد أشار القلقشندي الى أن رسالة صلاح الدين الى بردويل قد أرسلت مع سفارة خاصه يرأسها احد امرائه (٢).

وقد عقد الطرفان المعاهدات التي تنظم العلاقات بين الطرفين في السلم والحرب (٣). ووضع كتاب ديوان الإنشاء رسوماً لمخاطبة المسؤولين الصليبيين من مدنيين وعسكريين ، وقد احتفظ القلقشندي بطائفة من هذه الرسوم ومثالها :

أوّلا : رسم مخاطبة البابا ، وفي هذا الرسم يدعو الكاتب للبابا بالبهجة والسرور ، ويكثر من النعوت التي تضفي الاحترام والقداسة والكبر على مقام البابا ، ومن هذه النعوت : الجليل ، القديس ، الروحاني ، الخاشع ، العامل وغيرها . وعلى الكاتب ان يكثر من النعوت الشخصيّة البابا ، وأن يوضّح مكانته في أبناء ملته . ومثال هذه النعوت : قدوة الطائفة العيسوية ، مملّك ملوك النصرانية حافظ الجسور والخلجان ، ملاذ البطاركة والأساقفة والقسوس والرهبان ، تالي الإنجيل ، معرّف طائفة التحليل والتحريم . وعلى الكاتب ان لا ينسى حبل المودة ، فيشير الى صداقته لملوك المسلمين وسلاطينهم (٤).

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٧ ، ص١١٧-١١٨

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٧ ، ص١١٥-١١٧

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١٤ ، ص٣٩-٤٢، ٥١-٦٣

- المقريزي ، السلوك ، ج١ ، ص٩٨٥-٩٩٥

- د. عمر كمال ، الدبلوماسية الاسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين ، ص١٥٣-١٥٥

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٦ ، ص١٧٣، ج٨، ص٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : رسم مخاطبة ملوك الفرنجة : وفي خطاب الملوك أكثر الكتاب من النعوت ، فوصفوا ملوك الفرنجة بالأجلّ ، والاغرّ ، والكبير ، والخطير ، والعالم ، والعامل ، والعادل وغير ذلك ، وأشاروا بمكانته في ملته ، وانتمائه اليها ، ودفاعه عنها "فوصفوه بعضد الأمة الفرنجية " " وفخر أبناء المعمودية " و " عمدة الممالك" و " ضابط العساكر المسيحية "وغير ذلك . ولم ينس كتاب المسلمين مجاملة ملوك الفرنجة والدعاء لهم بالعز والجود والنعمة (١).

ثالثا : رسم مكاتبة الملكة الصليبية ، وفي هذه الصورة أكثر كتاب المسلمين من النعوت التي تضفي صفة الاحترام والإجلال على الملكة كالمبجّلة ، والموقّرة .. الخ. وزادوا على ذلك فنعتوها بالعلم في ملتها ، والعدل في مملكتها، واشاروا الى إخلاصها لدينها وانتصارها له . وأكدوا صداقتها لملوك المسلمين وسلاطينهم (٢).

رابعا : رسم مكاتبة المسؤولين عن المدن التجارية ، وقد احتفظ القلقشندي بصورة مكاتبة دوق البندقية ، وحكام جنوة . وفي هذا الرسم كثير من الفاظ التبجيل والاحترام ، مثل ، الجليل، المبجل ، المكرّم ، الموقّر ، وغير ذلك . وفي هذا الرسم بعض الالفاظ التي تؤكد شجاعة الدوق مثل : البطل ، الهمام ، الضرغام ، الغضنفر .

وفي هذا الرسم إشادة بمكانة الدوق في ملته وبني دينه مثل : مجد الملة النصرانية، فخر الأمة العيسوية ، أكابر دين النصرانية . وكان يختم الكاتب هذا الرسم بالإشارة الى الصداقة بين الدوق وملوك المسلمين (٣).

خامسا : رسم مكاتبة القومص الصليبي وصورته : " القومص الجليل ، المعز الهام ، البطل الضرغام فخر الأمة المسيحية ، رئيس الطائفة الصليبية ، كبير الأمة العيسوية ". (٤).

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص١٧٦ / القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٧ ، ص١١٨

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص١٧٩ ، حـ١٤ ، ص٤٠

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ١٧٩ ، حـ٨ ، ص٤٧

- .لقلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٨ ، ص٤٦

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى ، حـ٨ ، ص٢٩٩ / ابن عبدالظاهر : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٣٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واهتم الكتاب بالدعاء لملوك الصليبيين وقناصلهم وأمرائهم في الحالات المناسبة. ومن صور هذه الأدعية صورة دعاء وردت في رساله الملك الجواد الأيوبي (١). الى الإمبراطور فردريك الثاني امبراطور صقلية ونصه :

" وردت المكاتبة الكريمة الصادرة عن المجلس العالي المولى الملك الأجل ... معزّ إمام روميه ، ثبّت الله لديه نعمة ، وعزّز موارد جوده وديمه ، وأمضى صوارخ عزائمه ، وأعلى هممه ولابرحت أنوار سعده تتلألأ، وأخبار مجده تبسط وتتعالى ، وسحائب الألسنة الناطقة بحمده تستهل وتتوالى الى أنْ يتجلى جيد الضحى بعقود الليل ...(٢).

ومن صور الأدعية في الرسائل المرسلة الى الصليبيين هذه الصورة : " ... وجعل له من السلامة يداً لاتزعزعه من أوطانه ، ولا تنزعه من سلطانه ، ولا توجد له الا استقراراً لتيجانه ، واستمراراً بملكه على مادارت على حصونه مناطق خلجانه ، ولا برحت ثمار الودّ تدنو من أفنانه"(٣).

ويبدو أنّ هذه الرسائل كانت ترسل الى الصليبيين مكتوبة باللغة العربية ، فتترجم الى لغة الصليبيين في دواوين إنشائهم عند وصولها . فقد ذكر ابن جبير في رحلته ، أنّه شاهد في دواوين النصارى كتّاباً يعرفون العربية قراءة وكتابة ، ولا شك ان أمثال هؤلاء كانوا يتولون ترجمة الرسائل العربية الواصلة الى هذه الدواوين (٤).

(١) الملك الجواد - هو يونس بن مودود بن العادل - ابي بكر بن ايوب . ملك دمشق بعد عمه الملك الكامل محمد بن العادل . ثار عليه اهل دمشق وأخرجوه منها ، فذهب الى سنجار، وكيفا ثم خرجتا عن يده . وقد سجنه الملك الصالح الى أن كانت وفاته سنة ٦٤١ هـ .

- ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٣، ص١٦٣-١٦٤

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٧ ، ص١١٧

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٨ ، ص٥١

(٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٣، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخيرا بقي ان نقول ان رسوم رسائل المسلمين وأدعيتهم في الرسائل المرسلة الى الصليبيين ماهي الا جزء من نظام شامل ينظم العلاقات الدبلوماسية الإسلامية مع الصليبيين (١).

مصطلحات الرسائل الديوانيه

كثرت مصطلحات الرسائل الديوانية في العصرين الأيوبي والمملوكي، وأكثر هذه المصطلحات من وضع كبار كتاب الإنشاء امثال : القاضي الفاضل، ومحي الدين بن عبد الظاهر، وشهاب الدين محمود وغيرهم . ونظرا لكثرة هذه المصطلحات فقد جمعت في دفتر خاص، وضع في ديوان الانشاء مرجعا لمن أراد من الكتّاب (٢) .

كان الكتاب يخاطبون الخليفة بالعتبات الشريفة، والأبواب العالية، ومحل الشرف ومقر الرحمة، وغير ذلك من الألفاظ التي تضفي الإجلال والتعظيم على شخصية الخليفة (٣). وخاطبوا السلاطين بلفظ المجلس العالي (٤). وخاطبوا الأمراء ونواب السلاطين بالمجلس السامي(٥).

أكثر الكتاب في الرسائل المرسلة الى القضاة وعلماء الدين من ذكر النعوت، لأن هذه الصفات صادرة عن السلطان او الأمير او غيرهم ولذا فهي فخر لهذا القاضي أو ذاك، ومن هذه النعوت : الكبير، العالم، الفاضل، الأثير، الأكمل، الأوحد، الرئيس، الزاهد، جمال الإسلام، فخر الأنام

---

(١) د. عمر كمال توفيق، الدبلوماسية الاسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين (٤٩١ هـ - ٦٩٠ هـ) الاسكندريه، ١٩٨٦

(٢) القلقشندي، صبح الاعشى، جـ١، ص١٣٤، ٣٥-١٣٦

(٣) رسالة من انشاء القاضي الفاضل في صبح الاعشى، جـ٦، ص٥٠٧

- ورسالة اخرى من العصر المملوكي في صبح الاعشى، جـ٧، ص١٣٠

- القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٧، ص١٢١

(٤) من الرسائل التي خاطبت السلطان بلفظ المجلس :

- صبح الاعشى، جـ٧، ص١١١-١١٢، ٣٥٤

(٥) ابوشامة، الروضتين، جـ٢، ص٣٧- رسالة مرسلة الى الملك العادل في مصر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شرف العلماء ، جلال جلال الرؤساء ، فخر الأكابر ، شمس الشريعة ، صفوة الملـــــــــــــوك والسلاطين (١). ومن هذه النعوت ايضا ، ضياء الاسلام ، شمس الشريعة ، حجة الأئمة ، سيّد الحكام قدوة العلماء ، ولي أمير المؤمنين (٢). وقلّل الكتاب من النعوت في الرسائل المرسلة الى السلاطين والملوك لأنهم لا يحتاجون الى تعريف ، واكتفوا في رسائلهم بذكر الأشياء التي تكون فيه مثـــــل الصالح ، أو العالم ، وأما غير ذلك فيقنع باللقبين المشهورين احدهما نعته المفرد ، والثانـــــي نعته المضاف الى الدين (٣). وأما الكتابة عن السلطان الى من دونه فالنعوت فيها لها قيمة لأنهـــا على سبيل التشريف ولذا فقد زيد منها (٤).

أما المرسل الى ديوان الخلافة العباسية فيذكر نفسه في الرسالة بالعبد ان كان والياء وان كـــان ملكاً بالخادم (٥).

أمّا الكتابة الى الملوك من الأجناد كلهم فالمملوك مع النسبة الى أشهر ألقاب الملـــــــك كالناصري للناصر ، والعادلي للعادل . وتلي كلمة المملوك في المنزلة : عبده وخادمه ، والعبـــــد مفردة ومملوكه ، والعبد الخادم ، والخادم ، وعبده وخادمه ، وأخوه ، وشاكر فضله ، وشاكر إحسانه وشاكر موليه ، ومحبه ، ووادّه ، وشاكره ، ويليها ذكر الإسم ، ويليها العلامة (٦). أمّا رسائـــــل السلطان الى كتابه ، فيكتفى فيها بوضع علامته (٧).

---

(١) رسالة في السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ملاحق السلوك ، ص١

(٢) رسالة في السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ملاحق السلوك ، ص٣

(٣) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص ٤٠-٤١

(٤) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٤١

(٥) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٣٤

(٦) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٣٤

(٧) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واصطلح على أنْ يترجم القضاة وعلماء الدين عن أنفسهم في الرسائل المرفوعة للملوك بالخادم لأنّه لايليق بهم الفاظ الملوك والعبد ، وربما ترجم أهل الورع منهم بالعبد الفقير الى الله تعالى (١).

اما السلطان فيترجم عن نفسه في رسائله الى القضاة ورجال الدين بأخيه وولده (٢). اما الدعاء للسلطان وأعيان الدولة في الرسائل فيكون بلفظ : لازال ولا برح وخصّوا السلطان ببعض الألفاظ مثل : أعزّ الله نصره ، وخلد ملكه ، وضاعف اقتداره (٣). ولا يكتب عن السلطان الى أحد ممن في ممالكه بلا زال ولا برح الا أن يكون الكتاب عنه الى مثله كنائبه إن كان نائباً عنه (٤).

لايكتب عن السلطان الى أحد ممن هو تحت امرته الا بنون الجمع للدلالة على العظمة (٥). ويجب ان يوسّع بين السطور في الرسائل الصادرة عن السلطان ، ولا يجب هذا في الرسائل الصادرة الى السلطان (٦).

يخاطب السلطان في الرسائل المرسلة اليه بمولانا ولا يخاطب بسيدنا ، لان الثانية كأنها خصصت بأصحاب المراتب الدينيه (٧).

النعوت في الرسائل

ميّز كتاب الانشاء في ذكر النعوت في رسائلهم ، فجعلوا بعضها خاصاً بأقارب الملوك لاتطلق على سواهم ومنها فخر الملوك ، وجمال الملوك ، وعلاء الملوك ، وزين الملوك . وخصوا

---

(١) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٣٥

(٢) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٣٦

(٣) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٣٧

(٤) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٣٨

(٥) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٤٠

(٦) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٤٠

(٧) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير الأقارب من عمال السلاطين والملوك بألقاب : عمدةالملوك والسلاطين ، وذخيرة الملـــــوك ، واختيار الملوك . وجعلوا للأمراء أقارب الملوك والسلاطين ألقاباً خاصة مثل " معين الملوك ، وعـــون الملوك ، ونصرة الملوك ."

اما الأمراء والأعيان فخصوهم بألقاب : حسام امير المؤمنين ،وسيف أميرالمؤمنين ، ومصطفـى أمير المؤمنين ، ومجتبى امير المومنين ، وعمدة أمير المؤمنين . ونعتوا كباركتاب الدولـــــة بخاصة اميرالمؤمنين ، وخالصة أمير المؤمنين ، وثقة امير المؤمنين ، وصنيعةأمير المؤمنيـــــن وغير ذلك (١).

الشكلوالنقط وجمال الخـط

من الشروط التي يحسن اتباعها عندما يكون الكتاب صادراً عن السلطانعدم الإكثار من شكلـــه ونقطه . اما الرسائل المرفوعة اليه فلا بأس من ايضاحها وإزالةالإبهام عنها ، فان كثرة أعمـــــال السلطان لاتسمح له بالتدقيق في الألفاظ ، ولذا فمن الواجب ان تتصف بالوضوح ، ويجب ان تتصـــف الرسائل المرفوعة الى السلطان بجمال الخط لانّ عدم جمال الخط يعني عدم العناية بالمرسل اليـــه، وهذا غير لائق مع السلطان (٢).

تاريخ الكتـــــــاب

يجب تاريخ الرسائل الصادرة عنالسلاطين والأعيان ، وتؤرخ هذهالرسائل بالليالي ، فيقـــــال بعد ان شاء اللهتعالى : وكتب لأربع خلون أو لاثنتي عشرة ليلة خلت ... الخ . وذلك احتـــــرازا من نقص الشهـر . أمّا الرسائلالمرفوعة الىالسلاطين فتؤرخ باليوم ، فيقول : أصدرها المملـــــوك في الثالث أو الرابع ، وصدرت خدمته .. ولا يقول : وكتبت (٣).

---

(١) ابن شيت ، معالمالكتابة ، ص٤١-٤٢

(٢) ابنشيت ، معالمالكتابة ، ص٤٣-٤٥

(٣) ابن شيت ، معالمالكتابة ، ص٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طـــيّ الرسالـــــة

ميّز الكتّاب الكتب الصادرة عن السلاطين والملوك وكل رسالة صادرة من أعلى الى أدنـــــــى عن غيرها ، فجعلوا طيّها قدر أربعة أصابع أما غيرها فقد أوجبوا طيّها بقدر اصبعين (١)٠ وتعارف الكتاب على طريقة أخرى لطي الرسالة وهي : أن تجعل مدورة كأنبوبة الرمح (٢)٠

ختم الرسالـــــة

من الواجب ختم الرسالة ، وقد قيل : " ان كرم الكتاب ختمه " (٣)٠ وكانت للكتّاب ثلاث طـــرق مشهورة لختم الكتاب وهي :

أوّلا : طريقة الإلصاق بأحد أنواع اللصاق المعروف في تلك العصور ومنها النشأ ٠

ثانيا : طريقة الخزم : وتعني أن يخزم الكتاب من وسطه بالأشفار حتى تنفذ من بعض طيّات الكتـــاب ثم تخرج من وجه الورق أيضا ، ويدخل فيه دسره من الورق كالسير الصغير ، ويقطع طرف الدســـرة ثم يلصق على ذلك بشمع أحمر ٠

ثالثا : طريقة السحو : وهي أن يلصق على الرسالة بعد طيّها قصاصة من ورق كالسير في عرض رأس الخنصر وتلفّ على الكتاب ، ثم يلصق رأسها وتسمى القصاصة سحاءة أو سحاية ، وأصله من السحو وهو القشر ٠ ويبدو ان هذه الطريقة كانت شائعة في الرسائل الإخوانية ، فقد قال القلقشندى : "٠٠٠ ويكون ذلك فـــي المترددة بين الاخوان " (٤)٠ والحقيقة ان مصطلحات الرسائل قد ازدادت زيادة كبيرة ، حتى أصبـــح من الصعب على كاتب ان يلمّ بها حفظاً ، ولذا فقد وضع بعض الكتّاب مؤلفات خاصة بهذه المصطلحات وغيرها من قضايا الإنشاء ككتاب " معالم الكتابة " " وحسن التوسل" ويرجع السبب في كثـــــرة المصطلحات رغبة كل كاتب في أن ينسب له شكل من أشكال التجديد في بدء أو ختام (٥)٠

---

(١) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٤٦/

- القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٣٥٢

(٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٣٥٢

(٣) ابن شيت ، معالم الكتابة ، ص٤٦

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٣٥٦، ٣٥٧

(٥) د٠ محمود مصطفى ، الادب العربي في مصر ٠٠٠، ص٣٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصول كتابة الرسائل الديوانية في القرنين السادس والسابع في مصر والشام (١).

لقد أصبحت للكتابة في هذين القرنين أُصول عامة ، وقواعد مقررة يحسن بالكاتب المجيد مراعاتها في رسائله والا عدّ من المقصرين ، ومن هذه الأُصول والقواعد :

أوّلا : حسن الافتتاح : وهذا يعني ان يحسن الكاتب افتتاح رسالته بالنظم أو النثر وذلك ليكون داعية لاستماع مابعده . ويلزم للمطلع الجيد أمران هما :

أوّلا : الابتداء بالحمد لله لأن النفوس تتشوق الى الثناء على الله ، او الابتداء بالسلام الذى جعله الشارع مفتتح الخطاب . اوافتتاح الرسالة بما فيه تعظيم المكتوب اليه من تقبيل الأرض او اليداو الدعاء له او غير ذلك " لأن أمر المكاتبات مبني على التملق ، واستجلاب الخواطر وتألف القلوب " (٢).

ثانياً : مراعاة الأُمور التي تجعل الافتتاح حسناً من سهولة اللفظ ، وصحة السبك، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو . او كما يقول ابن الأثير : " أن يكون مطلع الكتاب عليه جدّه ورشاقة فان الكاتب من أجاد المطلع والمقطع " (٣).

الاصل الثاني : براعة الاستهلال:

وهو ان يأتي الكاتب في صدر المكاتبة بما يدل على عجزها . فان كان الكتاب بفتح أتى في أوّله بما يدل على التهنئة ، وان كان الكتاب بتعزية أُتي في صدره بما يدل على التعزية . وبراعة الاستهلال قد تقع بالتحميد ، وقد تقع مع الابتداء بالتقبيل ، وقد تقع بالابتداء بالدعاء المعطوف

---

(١) صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٢٧٤-٣١٥

(٢) صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٢٧٥

(٣) ابن الأثير ، المثل السائر ، حـ١ ، ص١٢١ ، ص١٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على المبتدأ به بأن يكون الدعاء مناسباً للحالة المكتوب فيها (١)

الأصل الثالث : أن يأتي في المكاتبة بمقدمة يصدر بها تأسيسا لما يأتي به في مكاتبته ٠ مثل أنْ يأتي في صدور كتب الحث على الجهاد بذكر افتراضه على الأمة ، وما وعد الله تعالى به من نصر أوليائه وخذلان اعدائه ، واعزاز الموحدين ، وقمع الملحدين ٠٠٠ الخ ٠وفي صدور كتب الفتح بانجاز وعدالله الذى وعده أهل الطاعة من النصر والظفر واظهار دينه على الدين كلّه ٠ ومن الأمور التي يجب مراعاتها في المقدمات : أن يضع الكاتب للأمر الخاص مقدمة خاصة ، وللأمر العام مقدمة عامة ، وأن لايطيل في موضع الاختصار ، ولا يقتصر في موضع الإيجاز ، وأن لايجعلها بعيدة المأخذ ٠ وان لايخرج بمقدمته الى الإملال والإضجار الذى تتبرم به النفوس لاسيما نفوس الملوك وذوى الأخطار الجليلة (٢)٠ وفي جميع الأحوال " إنّه لايحسن بالكاتب أنْ يخلي كلامه - وإن كان وجيزاً - من مقدمة يفتحه بها ، وإن وقعت من حرفين او ثلاثة ليوفي التأليف حقّه "(٣)٠

الأصل الرابع : ان يفرق بين الألفاظ المستعملة في الرسائل ، وأن يضعها في مواضعها فعلى سبيل المثال هناك فرق بين " أصدرنا " و " أصدرناها " وأصدرت " أو " صدرت " ٠فلفظة الإصدار المقترن بالضمير أعلى رتبة من غيرها لأنها تشير الى مصدرها وهو الرئيس ٠ وهناك أمثلة كثيرة تشبه المثال السابق (٤)٠

الأصل الخامس : ان يعرف ما يخص كل منصب من المناصب الجليلة من الأدعية ، وأن يميّز بين الأدعية لأن بعض هذه الأدعية أرفع من الأخرى ٠ لقد جعلوا أدعية للملوك والسلاطين ، وأخرى للولاة ، وثالثة للوزراء ، ورابعة للقضاة ، وخامسة للتجار ٠٠٠ الخ ٠ وخصّوا أهل الكفر بنوع من الأدعية تناسبهم(٥) ٠ وكان على الكاتب ان يجعل الدعاء المودع في صدر الرسالة مشتقاً من الموضوع الذى بنيت عليه الرسالة ، والا فلا عليه ٠ فاذا كان موضوع الرسالة في التهنئة كان الدعاء مشتقاً من هذا المعنى ، وان كان موضوعها العزاء اشتق الدعاء من هذا المعنى ٠ وكان الكتاب يعرفون كثيراً من الأدعية التي تناسب

---

(١) صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٢٧٦-٢٧٧

(٢) صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٢٧٨-٢٧٩

(٣) صبح الأعشى ، حـ٦، ص٢٧٨

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٢٨٠-٢٨٣

(٥) القلقشندي ، صبح الأعشى حـ٦، ص٢٨٤-٢٨٦، و حـ٧، ص١٣٨-١٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كل موضوع (١).

الأصل السادس : أن يذكر الكاتب في رسالته الألقاب الخاصة بالمناصب الادارية في تلك العصور كالمقر ، والجناب ، والمجلس . وأنّ يعرف ما يناسب كل منصب من الألقاب والنعوت والأدعية(٢).

الأصل السابع : أن يلائم بين الألفاظ والمعاني ، فاذا كتب في وصف المعارك والفتوح فعليه أنْ يختار الألفاظ الجزلة ، وان يطيل في التعبير عن الحادثة وايصال معناها الى أفهام سامعيه من الخاص والعام (٣).

الأصل الثامن : أن يقتبس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، أو ينثرها في غضون رسالته ، وان يضمّن رسالته الأشعار والأمثال والحكم والوصايا وينثرها في رسالته (٤).

الأصل التاسع : أن يعرف الكاتب مقادير قطع الورق ، وسعة الطرّة ، والهامش ، ومقدار ما بين السطور، وما يترك آخر الكتاب ...الخ (٥).

الاصل العاشر : حسن الاختتام ، وهذا يعني اختيار الدعاء المناسب ، والألفاظ السهلة والمعاني الواضحة (٦).

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى ، حـ ٦ ، ص٢٨٧-٢٩٣

(٢) ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ص ١٢٤، ١٢٥
القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٩

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ٢٩٦-٢٩٩

(٤) ابن الأثير ، المثل السائر ، حـ١ ، ص١٢٤، ١٢٥
القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٣٠٣-٣١٢

(٥) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٣١٣-٣١٤

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٣١٢-٣١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخصائص الأسلوبية لرسائل الجهاد

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخصائص الفنّية لرسائل الجهاد في عصر الحروب الصليبيـــــة

الطريقـــة الفاضليـــــــة

امتازت رسائل الجهاد في عصر الحروب الصليبية بميزات وخصائص النثر الفني في ذلك العصـــر ، وكان النثر الفني في ذلك العصر ينهج نهج القاضي الفاضل في الإنشاء ، هذا النهج الذي برع فيـــــه الفاضل حتى نسب اليه فقالوا : الطريقة الفاضلية (١) . وسمات هذه الطريقة هي : الإكثار من السجـع ، والطباق ، والجناس ، والتورية والإكثار من اقتباس آيات القرآن الكريم ، ونثرها في الكتابة كما لـو كانت من أصلها . والاكثار من تضمين الأشعار والاستشهاد بها ونثرها في الرسائل والإنشـــــاءات والاستشهاد بالأمثال المنظومة والمنثورة في الرسائل ، والإكثار من الوصايا والأقوال المأثورة والحكم ونثرها والاستشهاد بها في الرسائل . كذلك كان من خصائص الطريقة الفاضلية الاعتماد على التصوير ، وحشد الصور المتنوعة من تشبيهات واستعارات وكنايات .

لقد برع القاضي الفاضل في إنشاء الرسائل ، ونجح في طريقته بسبب سعة ثقافتـــــــه ، وتوفر محصوله من اللغة والأدب والفكر ، مما جنّبه التكلف والتكرار (٢) . ومما يؤكد براعته ويـــدل عليها ماذكره عنه أبو شامة في الروضتين حيث قال : " ... فما كرّر دعاء ذكره في مكاتبته ، ولا ردّد لفظاً في مخاطبته ، بل تأتي فصوله مبتكرة مبتدعة " (٣) .

---

(١) احمد حسن الزيات ، تاريخ الادب العربي ، ص٢٠٥

- د . محمود مصطفى ، الادب في مصر ، ص١٤

- د . احمد احمد بدوى ، القاضي الفاضل دراسة ونماذج ، ص٥٧-٥٨

- د . محمد عبد المنعم خفاجي ، الآداب العربيه في العصر العباسي الثاني ، ص٥٢

(٢) د . احمد احمد بدوى ، الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية ، ص٣٥٩

(٣) أبو شامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٢٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحذا كثير من كتاب رسائل الجهاد في عصر الحروب الصليبية حذو القاضي الفاضل في انشائه غير انهم لم يبلغوا مستواه ، وكانت صنعة بعضهم ثقيلة ، ومتكلّفة كما هو الحال في كثير من انشاء العماد الاصفهاني (١)، ورسائل ابن الأثير (٢).

المحسنات البديعية في رسائل الجهاد

أكثر كتاب رسائل الجهاد من المحسنات البديعية من سجع وجناس وطباق وتورية وغير ذلك. ومن هؤلاء الكتاب العماد الأصفهاني ، الذى كان شغوفاً بهذه المحسنات الى درجة أنه ألّف كتاباً كاملاً لم يفارق السجع جملة من جمله . كذلك كان نهجه في كثير من رسائله شغوفاً بالصنعة ، مكثراً منها ، ومن ذلك هذا النص من رسالة انشأها بعد استيلاء الفرنج على عكا سنة ٥٨٧ هـ . يقول العماد : " ... قد عرف أمر عكا وان العدو قصدها ورصدها ، ونزلها ونازلها ، وقابلها وقاتلها ،وبرك عليها بكلكله ، وحفل عندها بجحفله . وتواصلت اليها جموعه أفواجا ، وجلب البحر نحوها على أثياجه أمثال امواجه امواجاً ..." (٣). فالسجع في النص السابق واضح في جميع فواصله . ومن المحسنات البديعية التي أكثر منها الكتّاب الجناس ومن ذلك هذا النص للعماد من الرسالة السابقة يصف فيه حال أهل عكا . يقول العماد : " ... وما برحوا على مصابرة ومكابرة ، ومقارعة ومعاقرة ، ومكافحة وملافحة ، ومواقعة ومواقحة ومطاحنة ومناطحة ..." (٤).

ففي النص السابق جناس تام وناقص في معظم الكلمات كمصابرة ومكابرة ، ومقارعة ومعاقرة ، ومكافحة وملافحة ...الخ.

ومن المحسنات البديعية الطباق ، ومن نصوص رسائل الجهاد التي أكثرت من ايراده هذا النص لابن الأثير : " ... ولما فصلت الحرب حاز المسلمون من المغانم أوقارا، ومحو من الصحائف أوزارا .

---

(١) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص٤٥٥

(٢) ديوان رسائل ابن الأثير ، حـ١ ، ص٧٣-٧٥

(٣) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص٥١٤

(٤) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص٥١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فغـدوا ثقالاً من الأسلاب خفافاً ممّا خطّ في الكتاب ، وكان الخادم نذر دم طاغية الكرك وهـو ممن أثخن في بلاد الإسلام قتلا وأسراً ، وسلفت له وقائع كلها ينطلق عليها اسم الكبرى ولايقال فيه الصغرى ...(١). ولقد طابق ابن الأثير في النص السابق بين أوقاراً ، وأوزاراً ، وحاز ومحى وثقالاً وخفافاً ، وقتلاً وأسراً ، وكبرى وصغرى .

وعني كتاب رسائل الجهاد بالتورية ، وأكثر ابن عبد الظاهر منها في رسائله ، فمن ذلك ما جاء في رسالته الى بوهمند ملك انطاكية بعد ان استولى عليها بيبرس : " ... وكيف فارقنا بلادك وما بقيت فيها ماشية الا وهي لدينا ماشية ، ولا جارية الا وهي في ملكنا جاريه ...." . فقد ورّى ابن عبد الظاهر في كلمة جارية ، وماشية .

صحيح ان كثيراً من رسائل الجهاد قد غلب عليها التزويق اللفظي والبديعي، وهو المنهج الذى كان سائداً في عصر الحروب الصليبية ، الا أنّ بعض الكتّاب كان في بعض الرسائل قليل العناية بالمحسنات البديعية ، وكان همّه في تلك الرسائل ان يعبّر عن معانيه ويوضحها دونما تكلّف للبديع خاصة في أوقات المسلمين العسكرية الحرجة . وعلى سبيل المثال فان القاضي الفاضل كان اقل عناية بالمحسنات البديعية في مجموعة من الرسائل التي أرسلها الى صلاح الدين أثناء حصار الصليبيين عكا ، ومرابطة صلاح في مواجهة جيوشهم سنة ٥٨٥ هـ - ٥٨٧ هـ (٢). وهذا نص من واحدة رسائله، : " ... فما المملوك وكل من يعرف الأمر الا كأهل الصراط رب سلّم رب سلم . فنسأل الله سبحانه وتعالى ان لايكلنا الى انفسنا فنعجز ولا الى الناس فنضيع ، ومجهود أهل الارض قد انتهى ، وبقي ما يفعله الله ، والخير منتظر فيه ، والفرج بالقوت قد سيّر في البحر من خمسة عشر يومًا ، والفرج بالنفقة قد سير في البر من عشرة أيام ، والله مولانا ما تنجّز شيء من هذا الأمور الا بأن تضرب الوجه بالشوك ، وتستحلب الحجارة ، وينبّه النوام ، وتُبح الأصوات من التذكار ، وتحفى الأقلام من الكتابة ..." (٣). وهكذا مضى القاضي الفاضل الى نهاية هذه الرسالة مؤثرًا التقليل من السجع والمحسنات البديعية الأخرى دونما تكلف لها الا ماجاء عفو الخاطر .

---

(١) ديوان رسائل ابن الأثير ، حـ١، ص٦٩

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٦٥-١٦٩

(٣) ابو شامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الكتّاب الذين تحللوا من الصنعة البديعية الا من بعض فواضل السجع البهاء زهير في رسالته التي ردّ فيها على تهديدات لويس التاسع سنة ٦٤٧ هـ . وكان المسلمون في هذا الوقت في حيرة واضطراب ، لايدرون ماذا يصنعون بالعدو الذى قدم بجيوشه الجرّارة لاحتلال مصر ، وسلطان المسلمين مريض ، وزاد في ألمه ومرضه هذه التهديدات التي تلقاها في رسالة لويس التاسع . ولذا كان همّ البهاء زهير ان يفنّد مزاعم الملك الصليبي ، ويدحض ادعاءاته ـ وجاء في هذه الرسالة :" : فانّه وصل كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك ، وعدد أبطالك ، فنحن أرباب السيوف ، وما قتل منا قرن الا جددناه ، ولا بغى علينا باغ الا دمرناه ، فلو رأت عيناك ايها المغرور حدّ سيوفنا ، وعظم حروبنا ، وفتحنا منكم الحصون والسواحل ، ... " (١).

وخاض المسلمون معركة حامية في المنصورة سنة ٦٤٨ هـ ، انتهت الى انتصارهم وانهزام أعدائهم، ففرحوا فرحًا شديداً ، وأنشأ سلطان المسلمين تورانشاه بن نجم الدين أيوب رسالة الى جمال الدين ابن يغمور نائبه في الشام يبشره فيها ويبشر المسلمين كافة بانتصار المسلمين، ودحر المعتدين وكانت نشوة الفرح بالنصر أكبر من ان يتكلّف تورانشاه المحسنات البديعية أو يتصيّدها، ولذا أنشأها على البديهة فكانت نموذجًا طيّبًا لرسائل التهاني بالفتوح . يقول تورانشاه في رسالته :" الحمدلله الذى أذهب عنا الحزن " ، " وما النصر الا من عند الله " ، و " يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، و " أمّا بنعمة ربك فحدث " وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ". نبشّر المجلس السامي الجمالي، بل نبشر المسلمين كافة بما منّ الله على المسلمين من الظفر بعدو الدين ، فانه قد استكمل أمره، واستحكم شرّه ، ويئس العباد من البلاد والأهل والأولاد ، فنودوا لاتيأسوا من روح الله . ولما كان يوم السبت مستهل السنة المباركة ، وهي سنة ثمان واربعين ، تمّم الله على الإسلام بركتها ، فتحنا الخزائن ، وبذلنا الأموال وفرّقنا ، وجمعنا العربان والمطوعة وخلقاً لايعلمهم الا الله ، جاؤوا من كل فجّ عميق ، ومكان سحيق . ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل فأبينا . ولما كانت ليلة الأربعاء ، تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم وقصدوا دمياط هاربين، فسرنا في آثارهم طالبين ومازال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل ، وقد حلّ بهم الخزي والويل . فلما أصبحنا يوم الأربعاء ، قتلنا منهم ثلاثين الفاً غير من ألقى نفسه في اللجج ،وأما الأسرى

---

(١) المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص٣٣٣

لمقريزي ، الخطط، حـ١ ، ص٤١٠-٤١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحدّث عن البحر ولا حرج . والتجأ الفرنسيس الى المنية وطلب الأمان ، فأمنّاه وأخذناه وأكرمنـــاه وتسلّمنا دمياط بعون الله تعالى وقوته وجلاله وعظمته " (١).

ولا شك ان فئة من الكتاب آثروا أسلوب الترسل والتحلل من كثرة المحسنات البديعيـــة ولا أدل على ذلك من ان ابن شداد ـ المقرب الى صلاح الدين، ومرافقه في كثير من معاركه ، وأحد كتابـه الكبار ـ ألّف كتابه " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " دون ان يلتزم فيه بالإكثار مـــن المحسنات البديعية . ويبدو ان عبدالله بن احمد المقدسي كان من الكتاب الذين آثروا الترســـل والتحلل من البديع الا ماجاء عفو الخاطر ودون قصد ، يشهد على ذلك رسالته في وصف حطيّن وممّـــا جاء فيها : " ولو حمدنا اللمعز وجل طول أعمارنا ، ما وفينا بعشر معشار نعمته التي أنعم بها علينا من هذا الفتح العظيم ، فانا خرجنا الى عسكر صلاح الدين ، وتلاحق الأجناد حتى جاء النـــاس من الموصل وإربل وديار بكر ، فجمع صلاح الدين الأمراء ، وقال لهم ..." (٢).

اقتباس القرآن الكريم ونثره في رسائل الجهاد

أكثر الكتاب من اقتباس آيات القرآن الكريم والاستشهاد بها في رسائل الجهاد ، ونثروهـــا في رسائلهم وكأنها من أصل كتابتهم .

ان إكثار الكتاب من القرآن الكريم في رسائلهم ، يرجع الى رغبة الكتّاب في إرضاء أذواق النقـــاد الذين كان يعدون القرآن الكريم من مستلزمات الكاتب الرئيسة ، وإن قدرة الكاتب على الإكثار من نثـــر القرآن ، وحله في كتابته ، هي من مظاهر إبداعه ، واجادته في فن الترسل (٣).

لقد حرص كبار الكتّاب في مصر الحروب الصليبية على تدريب الطلاب القادمـين الى ديـــوان الإنشاء لتعلم الكتابة على حل القرآن والأشعار ، فقد تحدث القاضي الفاضل عن طلبه العلم في مصـــر

---

(١) المقريزي ، الخطط، ص٤١٦

(٢) ابوشامة ، الروضتين ، ج٢ ، ص٨٢-٨٣

(٣) ابن الأثير ، المثل السائر ، ج١ ، ص٣٧

شهاب الدين محمود ، حسن التوسل ، ص٧٢، ٣٢٣، ٣٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

: " أرسلني والدي وكان اذ ذاك قاضياً بثغر عسقلان الى الديار المصرية في أيام الحافظ - وهو أحد خلفائها - وأمرني بالمسير الى ديوان المكاتبات ، وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجلاً يقال له ابن الخلال ، فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرّفته من أنا وما طلبتي ، رحّب وسهّل ثم قال: ما الذي أعددت للفن الكتابة من الآلات ؟ فقلت : ليس عندي شيء سوى اني أحفظ القرآن وكتاب الحماسة. فقال : في هذا بلاغ ، ثم أمرني بملازمته (١).

ووجد كتّاب رسائل الجهاد في آيات القرآن الكريم ما يسند أفكارهم ، ويقويها ويرسخها ويوصلها . ووجدوا في آيات القرآن الكريم ما يدعم كثيراً من معاني الجهاد التي تحدثوا عنها في حالة ضعف المسلمين وقوتهم . لابل وجدوا في آيات القرآن الكريم ما يعوّض عن أفكارهم او يختصرها . فاستهلوا رسائلهم بها ، فقد وجد تورانشاه في آيات القرآن الكريم ما يعبّر عن فرح المسلمين بالنصر على الصليبيين في معركة المنصورة سنة ٦٤٨ هـ ، ولذا بدأ رسالته بمجموعة من آيات القرآن التي كانت أشدّ توضيحا لفرح المسلمين ، وأجمل تعبيرا (٢). فقد بدأ رسالته بالآيات القرآنية . " الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن " (٣). " وما النصر الا من عند الله " (٤)، و " يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله " (٥) " وأمّا بنعمة ربّك فحدّث " (٦) ، " وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها "(٧).

ووجد البهاء زهير في آيات القرآن الكريم ما يسدّ مسدّ كثير من الكلام في الرد على تهديد لويس التاسع سنة ٦٤٧ هـ (٨). فقد ذكّره بعاقبة ظلمه وعدوانه على المسلمين مستعيناً بآيات القرآن الكريم التي تعجّ بالتهديد بالرد المفحم ، ولكن دون تفصيل وتصريح . وهذا ما يعطي المعاني عمقاً

---

(١) ابو شامة ، الروضتين ، حـ١ ، ق٢، ص٤٨٧-٤٨٨

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، حـ٦ ، ٢٦٧ ، المقريزي ، السلوك ، حـ١ ، ق٢ ، ص٣٥٦-٣٥٧ والخطط ، حـ١ ، ٤١٦

(٣) سورة فاطر الآية ٣٤

(٤) الانفال الآية ١٢٦

(٥) الروم الآية ٤

(٦) سورة الضحى الآية ١١

(٧) سورة ابراهيم الآية ١٤

(٨) الرسالة في :المقريزي ،السلوك ، حـ١ ، ص٣٣٣، والخطط حـ١ ، ص٤١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبعد، فتفسر باحتمالات متعدده . فقد بدأ رسالته بالآيات القرآنية :" وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " (١)، " واتى أمر الله فلا تستعجلوه" (٢) " ولتعلمنّ نبأه بعد حين "(٣) ورد على افتخار الملك الصليبي بكثرة جيوشه بآية قرآنية تبين ان النصر لايكون بكثرة عدد ولا عده ، انما النصر يكون بعون الله وتأييده . فقد ردّ عليه بالآية القرآنية :" كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين " (٤).

وأكثر القاضي الفاضل من اقتباس آيات القرآن الكريم ونثرها في غضون كتابته حتى تبدو إنشائه كأنها من أصلٌ . ففي رسالته الى الخليفة العباسي التي يبشّره فيها بفتح بيت المقدس قال عن نعمة النصر " انها بحر للأقلام فيه تسبيح طويل" ، وفي هذا نثر للآية القرآنية " ان لك في النهار سبحاً طويلاً " (٥). وقال عن حال الصليبيين وقد اشتد حصار المسلمين لهم :" وظنوا انها من الله مانعتهم " . وفي هذا نثر للآية القرآنية :" وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله " (٦). وقال عن الصليبيين وقد طلبوا الإمهال في النزال : إنه " عرفهم في لحن القول " . وفي هذا القول نثر للآية القرآنية :" ولعرفتهم بسيماهم ولتعرفنّهم في لحن القول " (٧). وقال عن أسوار القدس وقد تهاوت بعد عصيان : " ان الخراب أخذ عليها موثقاً فلن تبرح الأرض " وفي هذا نثر للآية القرآنية :" فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي " (٨). وقال عن الكافر الصليبي وقد اشتدّ به " ياليتني كنت تراباً (٩). وعن الكفار وقد أيقنوا بمصيرهم وهزيمتهم :" جاء أمر الله وغرّهم بالله الغرور" (١٠).

وهكذا فقد استعان الكتاب بآيات القرآن في رسائلهم ، ووضعوها في المكان المناسب لها فجاءت معبرة عن معانيهم أدق تعبير وأبلغه .

---

(١) سورة البقرة ، الآيه الاخيره

(٢) سورة النحل ، الايه ١

(٣) سورة ص الآيه ٨٨

(٤) سورة البقره ، الآيه ٢٤٩

(٥) سورة المزمل ، الآيه ٧

(٦) سورة الحشر ، الآيه ٢

(٧) سورة محمد ، الآيه ٣٠

(٨) سورة يوسف ،الآيه ٨٠

(٩) سورة النبأ ،آيه ٤٠"يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا "

(١٠) سورة الحديد، آيه ١٤ ، والنص من رسالة في صبح الاعشى ، ج٦ ، ص٤٩٦-٥٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تضمين الأشعار والأمثال والحكم والأقـــوال

استعان كتاب رسائل الجهاد لترسيخ افكارهم بالأشعار والأمثال والحكم والأقوال والوصايا العربيـة وغير العربية . وقد اكثر كتّاب رسائل الجهاد من تضين الأشعار أو نثرها في رسائلهم كبراهيـــن وأدلة على صدق معانيهم وصحتها واستقامتها . فقد استعان ابن الأثير بالشعر لوصف حال الصليبيـــن بعد انتصار المسلمين عليهم في حطين ، وبيّن ما أصابهم من الذل والهوان مستشهداً ببيت المتنبّي :

فمثلما هـم وبسطهـم حـــرير وصبّحهـم وبسطهـم تـــراب (١)

واستشهد ببيت من الشعر لوصف حال أسرى الصليبيين في حطين وقد لطختهم الدماء فقال : " وجـــيء بالأسرى كالأنعام المعقلة ، والصور الممثلة ، خاشعة أبصارهم ، دامية أبشارهم " وضمّن كلامه بيـت أبي تمام التالـــي:

جرحى اليجرحى كأن جلودهـــم يطلى بها الشيّان والعـــلام(٢)

واستشهد ابن الأثير في رسالة أخرى* ببيت شعر لأبي تمام من أجل توضيح فكرة قتال المسلمين للصليبيين على ثغر عكا سنة ٥٨٥ هـ . وهذا البيت هو :

ثلمناهم بالمشـــرفي وقلّمـــا تثلّم امـــر القوم لا تهدّمـــا (٣)

واستشهد ببيت للمتنبي لحث الخليفة العباسي في بغداد على انجاد صلاح الدين بالاموال (٤). وهـــذا البيت هـــو :

وثقنا بأن تعطي فلو لم تجد لنـــا لخلناك قد أعطيت من قوة الوهـــم (٥)

---

(١) ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي ، حـ١ ، ص٨٥ ، دار الكتاب العربي ، بيروت

(٢) ديوان ابي تمام ، شرح التبريزى ، حـ٣ ، ص١٥٧ ، تحقيق محمد عبد عزام ، دار المعارف

* استشهد ابن الاثير بالبيتين السابقين في رسالة له يعارض بها رسالة ابن الاثير . والرسالة في ديوان ابن الأثير ، حـ١ ، ص٦٦-٦٠ . * الرسالة من ديوان رسائل ابن الاثير ، حـ١ ، ص٧١

(٣) ديوان ابي تمام ، حـ٣ ، ٢٣٧

(٤) الرسالة في ديوان ابن الاثير ، حـ١ ، ص٧٣-٧٥

(٥) ديوان المتنبي ، حـ٤ ، ص١٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الكتاب الذين أكثروا من الاستشهاد بالشعر القاضي الفاضل . فقد ختم رسالة الى صلاح الدين يصف فيها فرحهم بانتصار المسلمين في حطين ، واستعادتهم بيت المقدس بالبيت التالي :

تلك المكارم لا قعبان لبن وذلك السيف لاسيف ابن ذى يزن (١)

وهذا البيت مأخوذ من قول الشاعر عبدالمؤمن الأصفهاني في البيتين التاليين :

هذى المكارم لاثوبان من عدن خيطا قميصاً فعادا بعد أسمالا

هذه المناقب لاقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا(٢)

وضمّن القاضي الفاضل رسالة الى سلطان اليمن يستقدمه فيها لقتال الصليبيين بيت جرير (٣) :

ان الكريمة ينصر الكرم ابنها وابن اللئيمة للئام نصور (٤)

وأكثر القاضي الفاضل من الاستشهاد بالشعر في مجموعة من رسائله أرسلها الى صلاح الدين أثناء محنة عكا في الفترة من ٥٨٥هـ - ٥٨٧ هـ(٥). فقد وصف صلاح الدين بأنه ينوب عن المسلمين في الجهاد ضد الصليبيين ، وأنه يمثل الإسلام والتوحيد ، في مقابل الشرك والوثنية ، واستشهد لتأكيد هذا المعنى ببيت شعر هو :

ولست بملك هازم لنظيره ولكنك الإسلام للشرك هازم(٦)

وهو مأخوذ عن بيت المتنبي :

ولست مليكاً هازماً لنظيره ولكنّك التوحيد للشرك هازم(٧)

(١) الرسالة في الروضتين ، حـ١٢ ، ص٣٢٢

(٢) ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب ، ص٤٤٤، دار القاموس، بيروت

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٧ ، ص٢٥

(٤) ديوان جرير ، ص٢٣٣

(٥) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٦٦-١٦٩

(٦) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٦٨

(٧) ديوان المتنبي ، ص١٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يكتف كتاب رسائل الجهاد بالاستشهاد بالشعر ، بل تعدوا ذلك الى نثره في غضون رسائلهم كما لوكان من أصل كلامهم . ومثال ذلك ماورد في رسالة من انشاء ابن عبد الظاهر ، بمناسبة فتح طرابلس سنة ٦٦٨ هـ حيث يقول : " فما لبثوا الا مقدار ما قيل لهم : دونكم والاحتطاب . ونقل المجانيق على الخيل وعلى الرقاب ، حتى جرّوها بأسرع من جر النفس ، وأجروها على الأرض ، سفائن ، وكم قالوا : " السفينة لاتجرى على اليبس (١) وهذه العبارة الأخيرة هي نثر للشطر الثاني من بيت أبي العتاهية :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها انّ السفينة لاتجري على اليبس(٢)

وقال تاج الدين ابن الاثير في رسالة يتحدث فيها عن فتح حصن المرقب :

" ... فلم تزل تعاديهم الفتك وتراوحهم ، وتماشيهم الحرب وتصايحهم ، وترسل اليهم رسل المنايا ، وتوقر سهامهم الأنها من الحبايا ، وترميهم بعذاب واصب ، " وتكلهم الى هم ناصب"(٣) وفي الجملة الاخيرة نثر لبيت شعر النابغه :

كليني لهمّ يا أميمة ناصب وليل اقاسيه بطيء الكواكب(٤)

نثر الأمثال والحكم والوصايا

لم يكتف كتاب رسائل الجهاد بالشعر لتثبيت افكارهم وترسيخها ، بل استعانوا بالأمثال واستشهدوا بها في رسائلهم . فقد قال القاضي الفاضل في رسالة يصف فيها ناراً تلتهم حصنا : " وبات الناس في ليلة الجمعة مطيفين بالحصن والنيران به مطيفة وعليه مشتملة، وعذبان ألسنتها على تاجه مهدله مسدلة ... وبنفسج الظلماء قداستمال جلناراً ، والشفق قد عمّ الليلة فلم يختص آصالا ولا اسحاراً ، ونفحاتها حميمية وقودها الناس والحجارة ، والبلا ينادي

---

(١) النويري ، نهاية الأرب ، حـ٥ ، ص٥٨

(٢) ديوان ابي العتاهية ، ص٢٣٠، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٤

(٣) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٤٧

(٤) ديوان النابغة ، ص٤٠ ، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم ، دار المعارف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلسان مصابها (١): " اياك اعني واسمعي ياجاره" (٢). فالعبارة الأخيرة هي مثل عربي مشهور .

وقال شهاب الدين محمود في رسالة البشرى : " فحل بهم الذل ونزل ، وخافوا فتكات تلك السيوف التي تسبق العذل ، وثبت من لم يجد وراءه مجالاً وهو يقول (٣): " مكره أخوك لابطل " (٤). وواضح أن الجملة الاخيرة هي مثل عربي مشهور . ومن الوصايا والأقوال التي استشهد بها كتاب الرسائل ما قاله القاضي الفاضل في رسالة الى صلاح الدين يحثه فيها على الصبر :" ... واعلم ان مثوبة الصبر فوق مثوبة الشكر ، ومن ربط جأش امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٥) : " لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت ايهما أركب " (٦) . ومن الوصايا ماجاء في رسالة القاضي الفاضل الى صلاح الدين يقول فيها " ... ومما يستحسن من وصايا الفرس : ان نزل بك امر فيه حيلة فلا تعجز، وان نزل بك ماليس لك فيه حيلة والعياذ بالله فلا تجزع ..." (٧). ومن الحكم ماجاء في رسالة للبهاء زهير :" ... والى قول الحكماء : إنّ الباغي له مصرع ، وبغيك يصرعك والى البلاء يقلبك " (٨) .

الاطناب والايجاز في رسائل الجهاد

تباينت رسائل الجهاد من حيث طولها او قصرها ، وذلك بسبب اختلاف المناسبات والأسباب التي كانت وراء إنشائها ، واختلاف كتابها وتباين قدراتهم الفنّية فقد اتّصفت رسائل التهاني بالفتوح

---

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب ، حـ٢ ، ص٨٥

(٢) المثل في: الحسن اليوسي ، زهرة الأكم في الامثال والحكم ، ص١٤٠ ، تحقيق محمد حجي ، ومحمد الأخضر ، ط١ ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨١ .

(٣) الرسالة اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٥٢

(٤) المفضل الضبي ، أمثال العرب ، ص١١٢، دار الرائد ، بيروت

(٥) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٦٩

(٦) الثعالبي ، التمثيل والمحاضرة ، ص٢٩ ، تحقيق عبدالفتاح الحلو ، القاهره ، ١٩٦١ .

(٧) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٦٩

(٨) الرسالة في الرد على تهديدات لويس التاسع . المقريزي ، الخطط، ص٤١٠-٤١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووصفها بشكل عام بالطول ، وصال الكتاب في هذه الرسائل الى ذكر كثير من الدقائق والتفاصيل التي تتعلق بسير المعركة وأبرز الكتاب في هذه الرسائل امر العدو ، فوصفوه بالشجاعة والإقدام ووصفوا حصونه بالحصانة والمنعة ، وشدّة الأذى على المسلمين . ولجأ الكتاب الى تهويل أمر العدو لابراز عظمة الفتح ، وشجاعة جيوش المسلمين . وفصّل الكتاب أساليب جيوش المسلمين في الإستيلاء على مدن الصليبيين وحصونهم (١). وكانت رسالة القاضي الفاضل على لسان صلاح الدين الى الخليفة العباسي في بغداد أطول رسائل التهاني بالفتوح والتبشير بها (٢).

واتسمت رسائل الاستنجاد المرسلة الى ملوك المسلمين خارج بلاد الشام ومصر بالطول أيضا . وكانت تطيل في عرض الوضع العسكري للمسلمين ، وتتحدث عن إمدادات الصليبيين المتنوعة التي تصل من الغرب . وتطنب في شرح حال المجاهدين المادية والمعنوية ، وتبيّن حاجتهم الى المساعدات المادية من الأموال والأسلحة والأقوات والأطعمة ، وتحث المرسل اليه على سرعة إرسال النجدات(٣).

وكانت رسائل التهديد والوعيد متوسطة في طولها غالباً ، باستثناء رسالة محي الدين بن عبدالظاهر في تهديد بوهمند التي اتصفت بالطول حيث زادت على ثلاث صفحات من كتاب صبح الأعشى (٤).

---

(١) من هذه الرسائل :

- ابوشامة ،الروضتين ، حـ٢ ، ص٩٦-١٠٢
- ديوان رسائل ابن الاثير ، حـ١ ، ص٦٦-٦٩
- ذيل مرآة الزمان ، حـ٢ ، ص٣١٨-٣٢١، ٣٣٨-٣٤٣، ٣٧٤-٣٨١
- ذيل مرآة الزمان، حـ٤ ، ص٢٤١-٢٥٥
- النويري ، نهاية الأرب ، حـ٥ ، ص١٥٦-١٦٠

(٢) ا لقلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ٦ ، ص٤٩٦-٥٠٤

(٣) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٧١-١٧٣

القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٧ ، ص٢٣-٢٧

(٤) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٨ ، ص٢٩٩-٣٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذا كان موضوع الرسالة سبباً في طولها واطنابها ، فان رغبة الكتّاب في تحقيق أكبر قدر من المحسنات البديعية في رسائلهم كانت سبباً ثانياً من أسباب اطناب الكتّاب في رسائل الجهاد . ولذا فقد أكثروا من العطف والترادف ، ومن الأمثلة على ذلك ماجاء في رسالة القاضي الفاضل الى ملك المغرب حيث قال : " ... ولم يؤخر فتح البلاد بعدها الا ان فزع الكفار بالشام استصرخ بأصل الكفار من الغرب ، فأجابوهم رجالاً وفرساناً ، وشيباً وشباناً ، وزرافاتٍ ووحداناً ، وبراً وبحراً ومركباً وظهراً ، وركبوا اليهم سهلاً ووعراً ، وبذلوا ماعوناً وذخراً .... وجلب الكفار الى المحصورين بالشام كل مجلوب وملأوا عليهم ثغريهم من كل مطلوب ، مابين أقواتٍ وأطعمة ، وآلاتٍ وأسلحة ، وحديد مضروب وزبره ، ونقدي ذهب وفضة ، الى أن شحنوا بلادهم رجالاً مقاتلة ودخائر للعاجلة من حربهم والآجلة ...(١).

اما بقية رسائل الجهاد فكان معظمها متوسط الطول يفي بالغرض الذى أنشئت الرسالة من أجله . وكان عدد قليل من رسائل الجهاد قصيراً ، ومثال ذلك رسائل القاضي الفاضل على لسان صلاح الدين الى أخيه الملك العادل في مصر ، التي يأمره فيها بقتل أسرى الحجاز ، الذين حاولوا الاعتداء على المقدسات الإسلامية فيها وينبش قبر الرسول الأعظم (٢)، وهذا نص واحدة منها : " نحن نهنّي المجلس السامي بظفره ، ولم لايكلمه وبنصره ، ولم لايعجله وبشكره ، وليس في قتل هوءلاء الكفار مراجعة ، ولا للشرع في ابقائهم فسحة ، ولا في استبقاء احد منهم مصلحة ، ولا في التغاضي عنهم عند الله عذر معقول ، لا حكم الله في أمثالهم بمشكل ولا مجهول . فليمض العزم في قتلهم لتناهي أمثالهم عن فعلهم ، وقد كانت عظيمة ما طرق الإسلام بمثلها ، وقد أتى الله بعدها بلطيفة أجراها عن يد من رآه من أهلها "(٣).

المعارضات في رسائل الجهاد

كان القاضي الفاضل امام المترسلين في عصره ، بل قدوة ومعلماً لجيلٍ من الكتاب اعجبوا بفنه ، وساروا على طريقته ، وعارضوا رسائله . لقد شهد كثير من الكتاب والنقاد بتقدم الفاضل في الترسل فقال عنه العماد : " إنه كان في صناعته كالشريعة المحمدية ، نسخت الشرائع ، ورسخت بها

---

(١) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٧٢

(٢) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٣٦-٣٧

(٣) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصنائـــع " (١)٠ وقيل عنه ، " لم يخلق في صناعة الترسل من بـعده مثله ، ولا من قبله بأكثـــر من مائتي عام " (٢)٠ وقال النويري في نهاية الأرب : "٠٠٠ البعانتهت صناعة الإنشاء ووقفت ، وبفضله أقرت أنباء الزمان واعترفت ، ومن بحر علمه رويت ذو الفضائل واغترفت ، وأمام فضله القت البلاغـة عصاها ، وبين يديه استقرت به نواها ، فهو كاتب الشرق والغرب في زمانه وعصره ، وناشر الوية الفضـل في مصره وغير مصره ، وكل فاضل بعد الفاضل فضلةٌ وكل قد عرف له فضله " (٣)٠

لقد سار كثير من الكتاب على طريقة القاضي الفاضل التي كانت تعتمد على الاكثار من المحسنات البديعية ، والاستشهاد بالقرآن والامثال والأشعار والحكم والوصايا والأقوال ونثرها ، والاكثار من الصور البيانية ، والتشابيه ، والاستعارات والكنايات وغير ذلك ٠ وجدّ الكتاب في معارضة القاضي الفاضـل بقصد الاتيان برسائل في مستوى رسائله او تتفوق عليها ٠ ومن هؤلاء الكتاب : العماد الاصفهاني ، وابن الاثير ، ومحي الدين بن عبدالظاهر وغيرهم ٠

كانت رسالة القاضي الفاضل الى الخليفة العباسي في بغداد بمناسبة فتح بيت المقدس ابداعـــاً حاول الكتاب تقليده والإتيان بمثله ، ومن هؤلاء العماد الأصفهاني الذى أنشأ رسالة يعارض فيها رسالـة الفاضل قال فيها عن الصخرة المباركة : " ٠٠٠ ولقد غسلت من أدران الكفر وأدناسه ، وطهّرت مـــن أرجاس أنجاسه بمياه العيون التي بها قذيت ، وصقلت بشفاه المؤمنين وطالما بأيدى الشرك صديـت ، وأعيد اليها ذكر الله بعد طول الغربة ، وتذكرت بصحبة الأولياء ما سلف لها في عهد الصحابة رضـــي اللهعنهم من طول الغربة ٠ ودنا المسجد الأقصى فأقصى منه الساجد للشمس ، وسكن العلماء والفقهاء في مواطن البطرك والقس ٠٠٠ " (٤)٠

وما رض . ابن الاثير القاضي الفاضل في رسالة أنشأها بمناسبة انتصار المسلمين ، على الصليبيـــن في حط ين ، واستيلائهم على طبرية ، وقد ارسلت الرسالة الى الخليفة العباسي في بغداد (٥)٠ وعارضه

---

(١) الحموي ، ثمرات الاوراق ، ص٩٧

(٢) السبكي ، طبقات الشافعية ، حـ٤ ، ص٢٥٣

(٣) النويري ، نهاية الارب ، حـ٨ ، ص١

(٤) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٩٨

(٥) ديوان رسائل ابن الأثير ، حـ٢ ، ص٦٦-٧٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيضا في رسالة تتضمن فتح بيت المقدس واستنقاذه من أيدى الصليبيين (١). وأنشأ رسالة في معارضة القاضي الفاضل تصف قتال الأسطول على ثغر عكا سنة ٥٨٥ هـ (٢). وعارضه في رسالة أرسلها الى الخليفة يطلب فيها إمداد صلاح الدين وجيوشه بالأموال بسبب حاجتهم الماسة اليها وذلك خلال حصار الصليبيين لعكّا سنة ٥٨٥هـ .

وهذا نص من كتاب ابن الاثير في طلب الأموال من الخليفة : " ... غير ان العدو قد علم اقلالهم فزادت أطماعه ، وكثرت اشياعه ، وانشب مخالبه في الثغر المحصور ، وفوّق اليهم سهم الواتر عن الساعد الموتور . والخادم قد انفق حتى أملق ، وأخرج حتى أحوج ، وكلما سدّ خرقا وسّعت الايام في خرقه ، وقذفه البحر من امداده بمثل طعمه ، ومثل خلقه ... وقد جاهدتها عساكر المسلمين صابرة ، ورابطتها مصابرة ، وهي مموّة على حدّ الاقدام ، وضرّ الاعدام ، ولا يزيد ثباتها الا نجدة المال التي هي انفع من نجدة الرجال "(٣).

عواطف المسلمين ومشاعرهم في أدب رسائل الجهاد

التزم كتاب رسائل الجهاد بالتعبير عن عواطف المسلمين وتصويرها في ظروف الحرب المختلفة في السراء والضراء ، وفي النصر والهزيمة ، وفي القوة والضعف . ولم يمنع هؤلاء الكتاب عملهم الرسمي للحكام والسلاطين من النجاح في تصوير مشاعر المسلمين ، والصدق في التعبير عنها . ومن الرسائل التي تصوّر فرح المسلمين بالنصر ، رسالة ارسلها القاضي الفاضل وهو في دمشق الى السلطان الناصر صلاح الدين بعد تحرير القدس سنة ٥٨٣ هـ .وهذا نص الرسالة :

" كتب المملوك هذه الخدمة والرؤوس الى الآن لم ترفع من سجودها ، والدموع لم تمسح من خدودها ... وكلما فكر الخادم ان البيع تعود وهي مساجد ، والمكان الذي كان يقال فيه : ان الله ثالث

---

(١) أبو شامة ، الروضتين ، حـ٢، ص١٩٨

(٢) ديوان رسائل ابن الأثير ، حـ٢ ، ص٧١-٧٣

(٣) ديوان رسائل ابن الأثير ، حـ٢ ، ص٦٩-٧١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثلاثة ، يقال اليوم فيه : إنّه الواحد ـ جدد الله شكراً ، تارة بفيض من لسانه ، وتارة بفيض من جفنه ، سروراً بتوحيد الله تعالى الحق المبين ، وأنْ يقال محمد رسول الله الصادق الأمين ، وجزى الله يوسف خيراً عن إخراجه من سجنه ، والمماليك ينتظرون المولى ، وكل من أراد أنْ يدخل الحمام بدمشق قد عزم على دخول حمام طبرية .

تلك المكارم لاقعبان من لبن وذلك السيف لاسيف ابن ذي يزن

وللألسنة في هذا الفتح تسبيح طويل ، وقول جميل (١).

لقد استطاع القاضي الفاضل أن يصور مشاعر المسلمين بالانتصار على الصليبيين وتحرير بيت المقدس أجمل تصوير وابدعه . فقد أطال المسلمون سجودهم شكراً لله ، وانهمرت عيونهم بالدمع فرحاً بنصر الله ، وخرجوا من دمشق مسرعين الى بيت المقدس ليشهدوا هذا الفتح المبارك العظيم. ان هذا الفيض من المشاعر التي غمرت المسلمين ، وهذا الفرح الذي عمّهم كان سببه انتصار الدين . ولذا فان عواطف المسلمين هي عواطف دينية نابعة من العقيدة ، فمصدر سرور المسلمين هو ارتفاع كلمة لا اله الاّ اللّه محمد رسول الله على مآذن الأقصى وبيت المقدس ، واختفاء دين الشرك والوثنية من ربوع بيت المقدس .

لقد وفق القاضي الفاضل كل التوفيق في نقل مشاعر فرح المسلمين بعودة بيت المقدس وصوّر مشاعرهم خير تصوير .

ولما حاصر الصليبيون عكا سنة ٥٨٥ ـ ٥٨٧ هـ ، وصفت الرسائل حال المسلمين من جراء هذا الحصار ، وكشفت عن حالة المعاناة والألم التي يعيشها ، وأشارت الى سبب هذه المعاناة وهو كثرة الذنوب ، وبينت أنّ المسلمين عاجزون عن دفع هذه المعاناة ، ودعت هذه الرسائل الى الاستعانة بالله ، والإكثار من الدعاء له ليكشف البلوى . يقول القاضي الفاضل : " ... نحن في ضرّ مسّنا ، ولا نرجو لكشفه الا من ابتلى به ، وفي طوفان فتنة ، ولا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ،

---

(١) ابو شامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٨٢-٨٣

ابن كثير ، البداية والنهاية ، حـ١٢ ، ص٣٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولنا ذنوب قد سدّت طريق دعائنا ، فنحن أولى بأن نلوم أنفسنا ، ولله قدر لاسلاح لنا في دفعه الا أن نقول لاحول ولا قوة الا بالله ، وقد أشرفنا على أهوال قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب، وقد جمع العدو لنا وقيل لنا اخشوه ، فقلنا حسبنا الله ونعم الوكيل ، متنجزين بذلك موعود الانقلاب بنعمة من الله وفضل ، فما نرجو الا ذلك الفضل العظيم ، وليس لنا إلا الاستعانة بالله ..." (١).

ولما سقطت عكا سنة ٥٨٧ هـ عبّرت الرسائل عن حزن المسلمين ، ودعا كتابها الى الصبر والتسليم بقضاء الله وقدره (٢). ونجد مثل هذه الأفكار في رسالة انشأها القاضي الفاضل وارسلها الى والي بيروت عز الدين اسامة ، عندما استولى الصليبيون على بيروت سنة ٥٩٤ هـ (٣).

الصورة البيانية في رسائل الجهاد

أكثر الكتاب من الصور البيانية في رسائل الجهاد ، وقد تنوعت هذه الصور فجاءت على شكل تشبيهات او استعارات او كنايات ... وغيرها .

وقد تنوعت مصادر هذه الصور ، فبعضها كان مستمدا من القرآن الكريم ، والثقافة العربية الاسلامية ، والحياة الدينية للمسلمين .

واستمد الكتاب كثيراً من صورهم من البيئة التي كانوا يعيشون فيها ، بما في هذه البيئة من حيوانات ، وجبال ، ووديان ، وأنهار ، وبحار ، ونباتات ، وطيور ... الخ .وأخذ الكتاب بعض صورهم من جو المعركة ، وما فيها من خيول وأسلحة بمختلف أنواعها كالسيوف والدروع والسهام..الخ

وكانت بعض صور رسائل الجهاد مجرّدة . وبعض صور رسائل الجهاد كانت مأخوذة من الحياة

---

(١) أبوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٦٨-١٦٩

(٢) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص٥١٩

(٣) النويري ، نهاية الأرب ، حـ٥ ، ص٢٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاجتماعية التي يعيشها المسلمون وما فيها من ظواهر اجتماعية وما فيها من أثـــــــــــــــاث وحلـــــي .

فمن الصور الدينية التي وردت في رسائل الجهاد ، ماقاله القاضي الفاضل عن بيت المقـــــــدس وقد عاد اليه الاسلام فقد جاء في رسالته المشهورة الى الخليفة العباسي بهذه المناسبة : " ... وكـان اليوم مشهوداً ، وكانت الملائكة شهوداً ، وكان الكفر مفقوداً ، والاسلام مولوداً (١).

ووصف القاضي كثرة جموع الصليبيين يوم فتح القدس بيوم الحشر وقال : " ... فلما نازلهـــــا الخادم رأى بلدا كبلاد ، وجمعا كيوم التناد .. " (٢).

وصور حال الصليبيين وقد أصابهم الذل بعد استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس على الكفـــــار يوم الحشر وقد أصابهم الذل وقال القاضي الفاضل : " ... وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة " (٣).

ووصف العماد الاصفهاني الدبابة التي نصبها الصليبيون على عكا سنة ٥٨٧ هـ بداية الارض التـــي تقوم عندها القيامة وقال : " ... وكل دبابة كأنها دابة الارض التي تقوم عندها القيامة "(٤). وصـــوّر ابن الاثير مقتل أرناط في حطين بالاضحية وقال : " ... وجعله أضحية لعيد النصر لأضحية لعيد النحر "(٥) ووصف تاج الدين بن الأثير خوف الصليبيين بعد استيلاء المسلمين على قلعة المرقب بهذا للناس يـــوم القيامة وقال : " ونفخ في الصور بل في السور فاذا هم قيام ينظرون (٦).

---

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٥٠٠

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٥٠١

(٣) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٦ ، ص٤٩٩

(٤) العماد الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص٥١٦

(٥) ابن الأثير ، ديوان رسائل ابن الاثير ، حـ٢ ، ص٦٧

(٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٨ ، ص٣٩٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصور تاج الدين ابن الأثير تساقط قلعة للصليبيين وتهدمها ، بالصلاة وما فيها من حركات تنهي بالتسليم وقال : " ٠٠ وساهموها صلاة الخوف ، فلسهامها الركوع ، ولبروجهم السجود، ولقلعتهم التسليم (١)٠

ومن الصور المأخوذة من البيئة الطبيعية : صورة مراكب الصليبيين وأعدادهم الكبيرة التي شبهت بالأمواج ٠ فقد جاء في رسالة : " ٠٠٠ ومن خبر الكفار أنهم الى الآن على عكا يمدهم البحر بمراكب اكثر عدة من أمواجه " (٢)٠ وقال العماد الاصفهاني أيضا :" وجلب البحر نحوها على أثباجه أمثال امواجه أمواجا "(٣)٠

ووصفت الرسائل حصن الكرك وهو بيد الصليبيين بقطع الطريق الى مصر والحجاز ويغدر بالمسلمين بالذئب فقد جاء في رسالة : " وقعد بأرصاد العزائم ، وصار ذئباً للدهر في ذلك الفج، وعذراً لتارك فريضة الحج" (٤)٠

ووصفت الرسائل كثرة عساكر الإسلام بالبحر ، والغيث ، فقد قال تاج الدين ابن الأثير " وعساكرنا بحمدالله مثل البحر اذا طما ٠٠ والغيث اذا هما ٠٠" وصور هذه العساكر في قوتها بالسيل الجارف فقد قال عنها " وجئناهم مجي السيل ٠٠" ووصف ثبات هذه الجيوش بثبات الجبال وقال "٠٠ والطود اذا سما " وصورها في شجاعتها بالأسد وقال :" ٠٠ والليث اذا حمى " (٥)

ووصف العماد الأصفهاني المنجنيق بالجبل في ضخامته وقال : " ٠٠ وزاحفوه بكل منجنيق كنيق "(٦)٠ووصف ابن الأثير ، كثرة دماء الصليبيين في حطين بالطوفان وقال : " فلم يعصمهم الجبل من طوفان القتل " (٧)٠

---

(١) المقريزي، السلوك ، حـ١ ، ق٢، ص١١٠٩

(٢) القلقشندي ، صبح الأعشى ، حـ٧ ، ص١٢٧

(٣) العماد الاصفهاني ، الفتح القسي ، ص٥١٤

(٤) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص٥٥

(٥) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٤٣

(٦) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ، ص٥١٦

(٧) ديوان رسائل ابن الأثير ، حـ٢ ، ص٢ ، ص٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووصفت رسالة عساكر المسلمين التي تسلقت جبال لبنان بالأوعال وقال محي الدين بن عبدالظاهر : " .. واندفعوا في تلك الأوعار اندفاع الأوعال " (١).

ومن الصور المستمدة من البيئة وصف قلعة حمص في رسالة بلفظ القاضي الفاضل فيقول فيها : " ... والشيخ الفقيه قد شهد ما يشهد به من كونها نجماً في سحاب ، وعقاباً في عقاب وانملةً اذا خضبها الأصيل كان الهلال لها قلامة (٢).

فالقاضي الفاضل يشبه القلعة بالنجم وهي يحيط بها السحاب بالهامة التي تحيطها العمامة، وهي سبائك الأصيل وقد القت عليها الشمس بضوئها العسجدي الأحمر كالأنملة قائمة عليها الخضاب ورشح تشبيهها بالأنملة تشبيهً الهلال بقلامة الظفر " .

ومن الصور المستمدة من جو المعركة وما فيها من دماء ، وأسلحة ، وأدوات ماجاء في رسالة لابن الأثير عن صورة المجاهدين في صبرهم فقد قال : " واعتصموا بدروع صبر لادروع حديد(٣). ووصف شهاب الدين محمود حصن المرقب وقد عاد الى ديار الإسلام بالسهم وقال : " .. وعاد سهماً في كنانة الاسلام " (٤). ووصف كمال الدين بن العطار تطويق المسلمين لقلعة المرقب بإحاطة الأغماد بالسيوف وقال : " .. وأحاطت بها إحاطة الأغماد بقواضيها " (٥). ووصفت احدى رسائل الجهاد فرسان المسلمين وشجعانهم بالسيوف وجاء فيها : " هم فوارس كمناصلهم رونقاً وضياء " (٦) . ووصف

---

(١) النويري ، نهاية الأرب ، حـ٥ ، ص١٨٥

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، حـ١ ، ص٢٣٩

(٣) ديوان رسائل ابن الأثير ، حـ٢ ، ص٦٥

(٤) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٥٣

(٥) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٢٥٥

(٦) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، حـ٤ ، ص٣٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العماد الأصفهاني سفن الصليبيين بالقلاع وقال : " ٠٠ ووصلت كل قطعة كأنها قلعة (١)٠ ومن الصور التي أخذها الكتاب من واقعهم الاجتماعي وصف احاطة جنود الاسلام التامة بقلاع الصليبيين بإحاطة السوار بالمعصم ٠ فقد قال تاج الدين بن الأثير : " وأحطنا بها كما يحيط باليد السوار " وجاء في رسالة أخرى ان عملية تطويق جيوش الإسلام للصليبيين تشبه إحاطة الطوق بالعنق: " وتدفّقت الجيوش فملأت الأفق ، وأحاطت بهم إحاطة الطوق بالعنق " (٢)٠ ووصفت رسائل الجهاد دين النصرانية في ضعفه وعدم قوته بالزجاج الذى يقبل الكسر ولا يسرع اليه الجبر ٠ يقول القاضي الفاضل : " ٠٠ ومنهم من ركب ثبج البحر ٠٠٠٠ لينصر ديناً يشبه الزجاج ، يقبل الكسر ولا يسرع اليه الجبر " (٣)٠

ووصف العماد المنجنيق الذى قد جهز لإطلاق الحجارة بالحامل التي تعاني من آلام الولادة في آخر مراحلها وقال : " ويرامونها بكل منجنيق عظيم الخلق كأنه حامل على الطلق ٠٠٠"(٤)٠ وصورت رسالة اخرى المنجنيق بالفحل ، والقلاع بالأنثى ، وجاء فيها ، " وعلموا ان المجانيق فحول لاتثبت لها الإناث التي عريت من النفع بأيديهم ٠٠"(٥)٠ ومن الصور المعنوية وصف شجاعة فرسان المسلمين وجنودهم بانهم اذا مشوا يهزجون المرح بالتيه٠ فقد جاء في رسالة : " اذا مشوا الى الحرب مزجوا المرح بالتيه فيظن في أعطافهم كسل " (٦)٠ ووصفت رسالة منعة قلعة وكأن بينها وبين الأيام ذماماً " وكأنّ بينها وبين الأيام ذماماً "(٧)٠

---

(١) العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص٥١٦

(٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ٨ ، ص٣٩٧

(٣) ابوشامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٧٢

(٤) العماد الاصفهاني ، الفتح القسي ، ص٥١٥

(٥) القلقشندي ، صبح الاعشى ، حـ٨ ، ص٣٩٦

(٦) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ص٣٤٠

(٧) المصدر السابق ، ص٣٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووصف ابن الأثير نزول العدو على ثغر عكّا وإحاطته بها فقال : " ونزل عليه نزول الظلماء على النور (١).

وقال القاضي الفاضل عن السفن التي دعا ملك المغرب الى إرسالها : " ... فيملأها عليهم جواري كالأعلام .. تطلع علينا معشر الإسلام آمالا ، وتطلع على الكفّار آجالا" (٢).

وهكذا فقد أكثر الكتاب من صورهم وأخيلتهم في رسائل الجهاد ، وقد تنوعت مصادر هذه الصور فكانت مستمدة من البيئة الاجتماعية ، والحياة الحربية ، والحياة الدينية ، وبعضها كانت صورًا من البيئة الطبيعية ، وبعضها كانت صورًا معنوية مجرّدة .

---

(١) ديوان ابن الأثير ، حـ٢ ، ص٧١

(٢) ابو شامة ، الروضتين ، حـ٢ ، ص١٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــــــه

لقد تحدّثت في الفصل الأول من هذه الرسالة على الأحوال السياسية في بلاد الشـــــام ومصـــر ، واتضح من خلال عرض الأحداث ان الفوضى السياسيةوالعسكرية سادت بلاد الشام قبل قـــدوم الصليبيين لاسيما بين الخلافتين العباسية والفاطمية واتباعهما .

في ختام هذا البحث أقول : هل أوضح البحث ما وعد به في المقدمة من جلاء دور نثر الرسائـــل في حمل رسالة الجهاد ، وترجمة مشاعر المسلمين في عصر ابتلوا فيه بعدوان استهدفهم أرضـــــا ودينًا وانسانًا وحضارةً ؟ .

لو كان نثر الرسائل أدبا ملتزما بالتعبير عن أحاسيس المسلمين في مصر والشام ، فاكتفـــي في المرحلة الاولى للعدوان الصليبي بترجمة أماني المسلمين وأحلامهم باسترجاع بيت المقدس، وعـــبّر عن ايمانهم بالجهاد وسيلة لاسترداد الارض والقضاء على الخطر الصليبي .

وواكب نثر الرسائل المعارك مع الصليبيين ، وسجّل انتصارات المسلمين ووصفها وهنّـــأ المسلمين بها . وأشارت رسائل الجهاد الى أسلحة المتقاتلين ووصفتها ، ووصفت حصون الصليبيـــين وقلاعهم ومدنهم وعساكرهم .

وفي أوقات المحن والشدائد حثتالرسائل على الصبر والثبات ودعت الى الجهاد واستنفـــرت المسلمين في مصر والشام ، واستنجدتبالخليفة في بغداد وسلطان اليمن ، وملكالمغرب .

وردت الرسائل على تهديدات الصليبيين ، برسائل أشدّ تهديداً ، ووصفت قوة المسلميـــــن وسيطرتهم التامة على أرض المعركة في وقت كانوا حقيقة أقوياء ويشعرون بالتفوق على عدوهم . وهكذا نجد أنّ رسائل الجهاد قد واكبت مراحل الحروب الصليبية ووصفتها ، ممايجعلها وثائق هامة تطلعنا في هذه الأيامعلى الأحوال السياسية والنفسية للمتقاتلين في ذلكالعصر .

أمّا رسائلالجهاد من الناحية الفنيّة فهي نماذج راقية للرسائل في ذلك العصر فهي قـــــد كتبت بأقلام أكبر كتّاب ذلك العصر كالقاضي الفاضل ، والعماد الأصفهاني وابن الأثير ، والشهـــاب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محمود ، وتاج الدين بن الأثير ، وابن العجمي ، ومحي الدين بن عبد الظاهر وغيرهم .

ومن صفات هذه الرسائل انها أدب اسلامي عبّر عن احداث العصر وقضايا الحرب منطلقاً من العقيدة الاسلامية ونظرتها الى الجهاد، فكان النصر في هذه الرسائل نعمة تستحق الشكر ، والهزيمة قضاء وقدر تستوجب الصبر .

ولا تختلف هذه الرسائل في بنائها ومصطلحاتها وأساليب بدئها وختامها كثيرا عن بناء الرسالة في ذلك العصر . على ان الكتّاب كانوا يراعون أن تنسجم مقدمّة الرسالة مع موضوعها في الجهاد .كذلك كانت خصائصها الأسلوبية قريبة من خصائص نثر الرسائل ، واعتمد الكتاب في رسائلهم خصائص أسلوب القاضي الفاضل أوطريقته التي عرفت بالطريقة الفاضلية ، فأكثر الكتاب في رسائلهم من المحسنات البديعية ، والاستشهاد بالشعر والأمثال والحكم والوصايا ونثرها والاستشهاد بالقرآن ونثره ، والإكثار من الصور البيانيه .

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرست الموضوعـــــــات

الموضوع	الصفحه
* - المقدمه	١-٦
*- الفصل الاول	٧-٤٣
الاحوال السياسيه في بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية	٧-١٠
احوال الخلافة الفاطمية ،	١١-١٢
الهجوم الصليبي على بلاد الشام	١٢-١٤
المسلمون في مواجهة الصليبيين	١٥-٤٣
الفصل الثاني :الجهاد في أدب الرسائل	٤٢-
ترجمة احلام المسلمين	٤٤-٤٥
الدعوة للوحدة وذم التخاذل	٤٥-٤٧
التهاني بالفتوح والانتصارات	٤٧-٥٠
وصف المعارك والانتصارات	٥٠-٦٥
الاسرى في رسائل الجهاد	٦٥-٦٨
التقليل من شأن الهزائم	٦٨-٦٩
الدفاع عن الحكام	٦٩-٧١
الحث على الصبر والجهاد	٧١-٧٥
رسائل الاستنجاد	٧٥-٧٩
الاسلحة وآلات القتال	٧٩-٨٤
الحمام الزاجل في خدمة المرابطين	٨٤-٨٥
وصف الحصون والقلاع	٨٥-٩١
رسائل التهديد والوعيد	٩٢-١٠٣
الفصل الثالث الرسالة - ديوانها وبناؤها وأسلوبها	١٠٤-١٦٢
ديوان الانشاء في القاهره	١٠٤-١١١
ديوان انشاء دمشق	١١١-١١٧
ثقافة كتاب الانشاء	١١٧-١١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصف الرسالة الديوانية عند الفاطميين	١١٩-١٢٠
أساليب افتتاح الرسائل في العصرين الايوبي والمملوكي	١٢٠-١٢٥
التخلص الى الغرض	١٢٥-١٢٦
اختتام الرسائل	١٢٦-١٢٧
رسوم رسائل المسلمين الى الصليبيين	١٢٧-١٣١
مصطلحات الرسائل	١٣١-١٣٦
أصول كتابة الرسائل الديوانية	١٣٦-١٣٨
الخصائص الاسلوبية لرسائل الجهاد	١٣٩-١٦٠
الطريقة الفاضلية	١٣٩-١٤٠
المحسنات البديعية في رسائل الجهاد	١٤٠-١٤٣
اقتباس القرآن ونثره	١٤٣-١٤٦
تضمين الأشعار والأمثال والحكم والأقوال	١٤٦-١٤٩
الاطناب والايجاز	١٤٩-١٥١
المعارضات	١٥١-١٥٣
عواطف المسلمين ومشاعرهم	١٥٣-١٥٥
الصورة الادبية	١٥٥-١٦٠
الخاتمه	١٦١-١٦٢
المصادر والمراجع	
فهرست البلدان	
فهرست الاعلام	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصـــــــــــادر

١- ابن الأثير الجزري ، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق د٠ احمد الحوفي ، ود٠ بدوى طبانه ، ط١ ، ١٩٥٩٠

- ابن الأثير الجزري ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق محي الدين عبد الحميد مكتبة البابي الحلبي ، ١٩٣٩٠

٢- ابن الأثير الجزري، ديوان رسائل ابن الاثير ، تحقيق د٠ نورى القيسي ، وهلال ناجي دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ٠

٣- ابن الأثير ، عزالدين ابي الحسن علي ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ٠

٤- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب ، القاهره ، ١٩٣٥٠

٥- ابن جبير ، رحلة ابن جبير، دار صادر بيروت ، ١٩٥٩٠

٦- ابن حجة الحموي ، تقي الدين ابي بكر علي بن محمد بن حجة الحموى القادرى الحنفي ، خزانة الأدب وغاية الأرب ، دار القاموس ، بيروت ٠

٧- ابن حجة الحموي القادري ، ثمرات الأوراق في المحاضرات ، تحقيق د٠ مفيد محمد قمحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٠

٨- ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد ، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر بيروت ٠

٩ - ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٤٠

ابن شداد ، النوادر السلطانيه والمحاسن اليوسفية ، ط دار المؤيد ، ١٣١٧

١٠- ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، دار المسيرة ، بيروت ٠

١١- ابن عبدالظاهر ، محي الدين ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق عبدالعزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٢- ابن عبدالظاهر ، محي الدين ، الدر النظيم من ترسل عبدالرحيم ، تحقيق د٠ احمد بدوى مكتبة نهضة مصر ٠

١٣- ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ٠

١٤- ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق د٠ محمود زايد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧١٠

١٥- ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨
ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق د٠ سهيل زكار ، دمشق

١٦- ابن كثير ، الحافظ أبو الفداء ، البداية والنهاية ، دار الفكر ، بيروت ٠

١٧- ابن النديم ، الفهرست ، دار المعرفه ، بيروت ٠

١٨- ابن واصل الحموي ، جمال الدين محمد بن سالم ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، دار الكتب ، الدار المصريه ، القاهره ٠

١٩- ابو شامة المقدسي ، شهاب الدين ابو محمد عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، دار الجيل ، بيروت ٠

٢٠- ابو شامة ، الروضتين في إخبار الدولتين ، تحقيق د٠ محمد حلمي احمد ، ود٠ محمد مصطفى زيادة ، منشورات وزارة الثقافه والارشاد القومي ، القاهرة ٠

٢١- ابو شامة المقدسي ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع (ذيل الروضتين) عني بنشره عزت البيطار ، دار الجيل ، بيروت ٠

٢٢- أبو تمام ، ديوان ابي تمام ، شرح التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف ٠

٢٣- أبو العتاهية ، ديوان ابي العتاهية ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٤٠

٢٤- الحسن اليوسي ، زهرة الاكم في معرفة الامثال والحكم ، تحقيق د٠ محمد حجي ود٠ محمد الاخضر ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨١٠

٢٥- الثعالبي ، التمثيل والمحاضرة ، تحقيق عبدالفتاح الحلو ، القاهره ، ١٩٦١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٦- السيوطي ، جلال الدين، حسن المحاضرة في إخبار مصر والقاهره ، المطبعة الشرقيه، القاهره ٠

٢٧- الشهاب محمود الحلبي ، حسن التوسل في صناعة الترسل ٠ تحقيق د٠ اكرم عثمان يوسف سلسلة كتب التراث ، بغداد ، ١٩٨٠٠

٢٨- العماد الاصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح ، الدار القومية للطباعة والنشر ٠

٢٩ العماد الأصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق د٠ شكرى فيصل، دمشق ، ١٩٥٩٠

٣٠- القرشي ، عبدالرحيم بن علي بن شيت ، تحقيق قسطنطين مخلص ، بيروت ، ١٩١٣٠

٣١- القلقشندي ، شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندى، صبح الأعشى، المطبعه الاميريه ، القاهرة ٠

٣٢- القلقشندي ، شهاب الدين احمد بن علي بن احمد القلقشندى ، مآثر الأناقة في معالم الخلافة تحقيق د٠ عبد الستار احمد فراج ، سلسلة التراث العربي ، الكويت ، ١٩٦٤٠

٣٣- المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق د٠ محمد مصطفى زيادة مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهره ، ١٩٥٧٠

٣٤- المقريزي ، تقي الدين احمد ، اغاثة الامة بكشف الغمة ، تحقيق جمال الدين الشيال ٠

٣٥- المقريزي ، تقي الدين احمد ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآ ثار ، دار التحرير للطبع والنشر ، القاهره ، ١٢٧٠٠

٣٦- المفضّل الضبي ، أمثال العرب ، دار الرائد ، بيروت ٠

٣٧- النويري ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب ، نهاية الارب في فنون الادب ط٠ دار الكتب ، القاهره ٠

٣٨- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابوعبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي البغدادي، معجم الأدباء ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٠٠

٣٩- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابوعبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي البغدادى، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٤٠

٤٠- اليونيني ، قطب الدين موسى بن محمد اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، ١٩٦١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجـــــــــع

١- د٠احمد احمد بدوى ، الحياة الادبيه في عصر الحروب الصليبية في مصر والشام ٠
- دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهره ٠

٢- د٠ احمد احمد بدوى ، القاضي الفاضل دراسة ونماذج ، مكتبة نهضة مصر ٠القاهره ٠

٣- احمد حسن الزيات ، تاريخ الادب العربي ، دار الحكمة ، بيروت ٠

٤- احمد الاسكندرى ، المفصل في تاريخ الادب العربي ، بولاق ، ١٩٣٦٠

٥- أنيس المقدسي ، تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ٩٨٢٠

٦- بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، نقله د٠ رمضان عبدالتواب ود٠ يعقوب بكر ، دار المعارف القاهـــره٠

٧- بطرس البستاني ، أدباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، دارالجيل ، بير وت ٠

٨- د٠ جوزيف نسيم يوسف ، العدوان الصليبي على مصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١٠

٩- د٠ حامد زيان غانم ، الصراع السياسي والعسكرى بين القوى الاسلامية زمن الحروب الصليبيـــه دار الثقافه ، القاهره ٠

١٠- د٠ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية في مصر وسوريا وبلاد المغرب ، مكتبة النهضـة ، القاهره ، ١٩٥٨٠

١١- د٠ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، دار احيـــــاء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٦٧٠

١٢- د٠ حسين احمد امين ، الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين المعاصرين لها ، القاهره، ١٩٨٣٠

١٣- خليل مردم ، الشعراء الشميون ، دار صادر ، بيروت

١٤- رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، دار الثقافه ، بيروت٠

١٥- د٠ سعيد عاشور ، الحركه الصليبية ، القاهرة ، ١٩٧١٠

١٦- د٠ شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والامارات) دار المعارف ، القاهرة ٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٧- د٠ شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، القاهرة ٠

١٨- د٠ عبداللطيف حمزه القلقشندى في صبح الاعشى ، وزارة الثقافه والارشاد القومي ، القاهرة ٠

١٩- د٠ عبداللطيف حمزه ، أدب الحروب الصليبية ، ط٢ ، ١٩٨٤٠

٢٠- د٠ عمر الساريسي ، نصوص من أدب عصر الحروب الصليبية ، دار المنارة ، جدّه ، ١٩٨٥٠

٢١- د٠ عمر كمال توفيق ، الدبلوماسية الاسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين ، الاسكندرية ـ ١٩٨٦٠

٢٢- د٠ عمر فروخ ، تاريخ الادب العربي ، دار الحكمه ، بيروت ٠

٢٣- د٠ عمر موسى باشا أدب الدول المتتابعة (الاتابكية والايوبية والمملوكية) دار الفكر الحديث ، بيروت ، ١٩٦٧٠

٢٤- محمد الحبيب بن الخوجة ، الترسل وابن عبدالظاهر ، مطبعة الترقي ، نهج القاهره ، تونس٠

٢٥- د٠ محمد زغلول سلام ، الادب في عصر صلاح الدين مؤسسة الثقافه الجامعيه ، الاسكندرية٠

٢٦- د٠ محمد زغلول سلّام ، الادب في العصر اليوبي ، دار المعارف ، مصر ٠

٢٧- د٠ محمد سيد كيلاني ، الحروب الصليبية وأثرها في الادب العربي في مصر والشام ـ دار الكتاب القاهره٠

٢٨- د٠ محمد عبدالمنعم خفاجي ، الآداب العربية في العصر العباسي الثاني مكتبة الكليات الازهرية٠

٢٩- د٠ محمد كامل الفقي ، الأدب في العصر المملوكي ، دار الموقف العربي ، ١٩٨٤٠

٣٠- د٠ محمد عمارة، العرب والتحدي ، الكويت ، ١٩٨٠٠

٣١- محمد ماهر حمادة ، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الاسلامي مؤسسة الرسالة ٠

٣٢- د٠ محمود مصطفى ، الأدب العربي في مصر من الفتح الاسلامي الى نهاية العصر الايوبي دار الكتاب العربي ، القاهره ، ١٩٦٧٠

رسائل جامعيه

****

١- عبدالقادر ابوشريفة ، صورة الصليبيين في الادب العربي ، رسالة ماجستير ، الجامعه الاردنيه ـ ١٩٧٨٠

٢- فاطمة محمود السعدي ، فلسطين في أدب القرن السادس، رسالة ماجستير ، الجامعه الاردنيه ـ ١٩٨٠٠

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرست البلـــــدان

أثارب ، ٢٤ ، ٢٧

ارسوف ، ١٣ ، ٤٣، ٥٠، ٥١، ٥٥، ٩٤

انطاكية، ٩، ١٢، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٣١، ٤٣، ٩٥

انطرسوس ، ١٣

بانياس ، ٢٨، ٣١، ٣٣، ٤٥

بصرى ، ٣٠

بعلبك، ٢٢، ٣٣، ٨٨

بغداد، ٢٤، ٧٥، ٧٦، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٢

بلبيس ، ٣١، ٣٢

بيتالمقدس ، ٣، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧،١٨، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥
٤٩، ٥٠، ٦٩، ٧٢

بيتالاحزان ، ٤٨

بيت لحم ، ١٩، ٤١

بيروت ، ١٤، ١٩، ٣٥، ٣٨، ٧٠، ٧١، ٧٢

تبنين ، ٣٨، ٤١

تل باشر ، ٣١

حارم ، ٣١

حطين ، ٣٤، ٣٥، ٣٩، ٥٢، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٨

حلب ، ٧، ٩، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٣، ٤٧، ٩٥

حماه ، ١٥، ٢٣، ٢٦، ٨٩، ٩٠

حمص ، ١٥، ١٦، ٢٣، ٢٦، ٣٣، ٨٧

حيفا، ١٣

دمشق، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٥، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٤٢، ٧٣، ١١١، ١١٦، ١١٧

دمياط، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٧٣

شيزر ، ١٠، ١٥، ٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ص ، ٤٣، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٦٠

صور ، ٨، ١٤، ١٨، ٢، ٢٣، ٣٥، ٣٦

صيدا ، ١٣، ٢٣، ٣٠، ٤١

طبرية ، ٨٥، ٨٧

طرابلس ، ٦ ، ٨ ، ١٣، ١٦، ١٨، ٣١، ٤٣، ٥٩، ٩٥، ٩٦، ٩٩

عسقلان ، ٧، ٢٠، ٢١، ٣٥

عكا ، ٣، ١٣، ١٦، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٥٠، ٦٩، ٧١، ٧٥، ٧٩، ٩١، ١٠١، ١٤١، ١٦٠

عيذاب ، ٦٦، ٩٥

غزّه ، ٥٠، ٥٤، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٨٦، ١١٧

القاهره ، ٧٤، ١٠٠، ١٠٥

قيساريه ، ٧٤، ١٠٠، ١٠٥

الكرك ، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ١١٥، ٨٥

كفر طاب ، ١٥، ٢٨

نابلس، ٧٣

الناصره ، ٤١

مرقب ، ٥٠، ٥٥

المنصوره ، ٣٩، ٤٢، ٤٣، ٥٠، ٧٣، ٩٤

الموصل ، ٨، ٢٦، ٢٩، ٤٧

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" فهرست الاعـــــــــلام "

اتسز ، ص٧ ، ٨

اسدالدين شيركوه ، ٣١ ، ٣٢

الافضل بن بدر الجمالي ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١

بدرالجمالي ص١١ ، ١٨

بيبرس ، ٤٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٤١

تتش ، ٨ ، ٩ ، ١٠

توانشاه ، ٤٢ ، ١٤٢ ، ١٤٤

جمال الدين بن يغمور ، ١٤٢

خليل بن قلاوون ، ٤٣ ، ١٢١

رضوان بن تتش ، ١٠ ، ٢٣ ، ٢٥

دقاق ، ص١٠

زين الدين بن نجا ، ٨٦

سليمان بن قتلمش ، ٩

شاور ، ١١

شجرة الدر ، ٤٢

صلاح الدين ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٨٦
٨٧ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٦

طغتكين ، ٢٢ ، ٢٥

العادل ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٢

عمادالدين ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨

قسيم الدوله آقسنقر ، ٩

قلا وون ، ٤٣

الكامل ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٧٣ ، ٩١ ، ١٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نجم الدين ايوب ، ٤٢، ٧٤، ٩٢، ١٠٦

نورالدين ، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٤٤، ٧٥، ٨٤، ١١٣

المستنصر ، ١١، ١٢

ملكشاه ، ٩

الملك المعظم ، ٤٠ ، ٧٦

مودود، ٢٤، ٢٥

****

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit